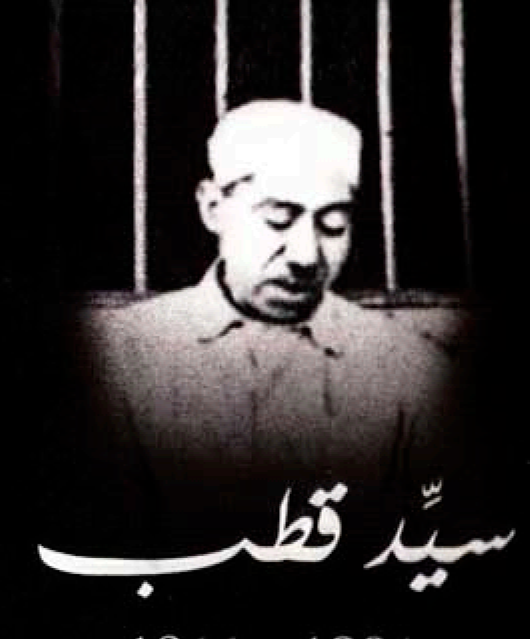


سيِّد قطب

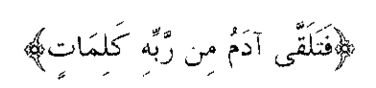
1906 - 1966

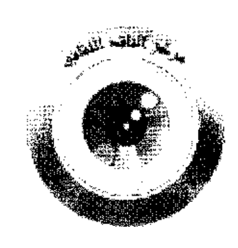




أن نفسي ليس ترضى أيَّ نفسٍ تقبل العيش كسكان القبور؛




﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾



الناقد الثقافي
الدراية لا الرواية
2008

الطبعة الأولى 2008م
ديوان الأعمال الشعرية الكاملة
مع دراسة في أشعار سيد قطب.
المؤلف سيد قطب.
تقديم د. حسن حنفي.
فُسح في الجمهورية العربية السورية
من قبل وزارة الإعلام برقم 96927
بتاريخ 2008/3/4م

مركز الناقد الثقافي

مؤسسة ثقافية فنية مستقلة

دمشق – ساحة عرنوس – بناء واحة عرنوس –بجانب السفارة البلغارية الدور الرابع –

مكتب رقم ١ – ص ب : ٣١٤٩٠

أسس عام ٢٠٠٧ بمدينة دمشق .

– رسالة المركز :

- أن يكون عربياً، مسلماً، إنسانياً، عالمياً، يشع بحروفه الفاهمة حواراً، وتلاقياً، وتعارفاً، وحكمة ..
- محاولة جادة للخروج من القوالب الجاهزة والأفكار المعتادة والقناعات المحنطة .
- الناقد الثقافي لن يكون حبيس منظومة دائرية أو حلقة فكرية مفرغة بل هو إسعاف وإنعاش للفكر والوجدان .

تتم التحويلات المالية باسم مركز الناقد على الحساب التالي :

IN USD ($)

Correspondent bank :	**COMMERZBANK / FRANKFUR**
SWIFT:COBADEFF	BANQUE BEMP SAUDI FRANSI
Beneficiary bank :	(MARKAZ AL NAKED/BBSF)
SWIFT : BBSFSYDA	**(0125719/BBSF)**
Name of the final beneficiary :	
Account number of the final beneficiary :	

IN SAUDI ARAB RIYAL (SAR)

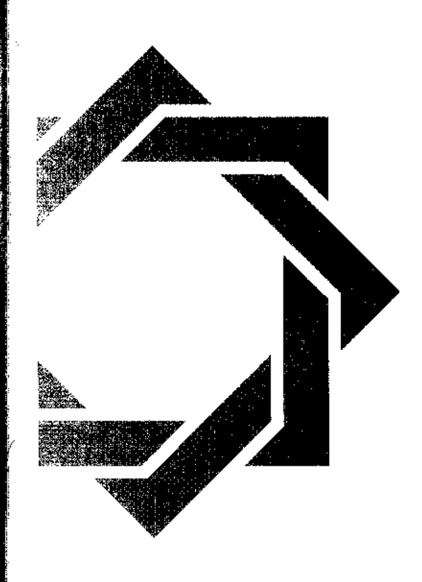
Correspondent bank :	**BANQUE SAUDI FRANSI**
SWIFT : BSFRSARI	BANQUE BEMP SAUDI FRANSI BBSF
Beneficiary bank :	(MARKAZ AL NAKED/BSF):
SWIFT;BBSFSYDA	
Name of the final beneficiary	**(0125719/BSF)**

تحذير وإنذار

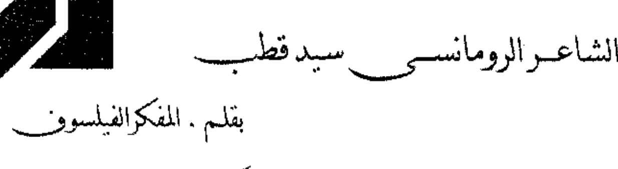
سيد قطب

الأعمال الشعرية الكاملة

دراسة في أشعار سيد قطب
تقديم الدكتور حسن حنفي







الشاعر الرومانسي سيد قطب

بقلم . المفكر الفيلسوف

الدكتور حسن حنفي

سيد قطب هو الإمام الشهيد عند الإسلاميين . وهو المفكر الشهيد عند مجموع المفكرين. وهو الناقد الأدبي عند جماهير النقاد، وهو الشاعر الرومانسي المنتسب إلى مدرسة (أبوللو).

والحقيقة أن سيد قطب له جوانب متعددة طبقاً لمراحل حياته. فهو الشاعر الرومانسي فى العشرينيات (١٩٢٥-١٩٤٥)، وكاتب قصص الأطفال.

وهو الناقد الأدبي فى الأربعينيات (١٩٤٥-١٩٥٠) في (النقد الأدبى، أصوله ومناهجه)، (التصوير الفنى فى القرآن)، (مشاهد القيامة فى القرآن).

وهو المفكر الإسلامي في الخمسينيات (١٩٥٠-١٩٥٤) ابتداء من (العدالة الاجتماعية فى الإسلام) (١٩٤٩)، (معركة الإسلام والرأسمالية) (١٩٥٠)، (السلام العالمى والإسلام) (١٩٥١)، (المستقبل لهذا الدين) (١٩٥٣)، و(فى ظلال القرآن) على مدى عشرين عاماً.

والمرحلة السياسية (١٩٥٤-١٩٦٥) وفيها أسوأ ما كتب (معالم على الطريق) الذي كتب وهو في السجن تحت آلام التعذيب الذى يكفّر فيه المجتمع ويقسّمه إلى إسلام وجاهلية، نور وظلام، إله وطاغوت، إيمان وكفر. ولا حوار بين الحق والباطل إلا أن يقضي الحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴿وقُلْ جَاءَ الحَقُّ وزَهَقَ البَاطِلُ إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ (الإسراء ١٧/٨١)[1].

[1]- حسن حنفي: الدين والثورة في مصر ١٩٥٢-١٩٨١/ ٥ الحركات الإسلامية المعاصرة ،القاهرة، مدبولي ١٩٨٨،ص١٦٧-٣٠٠

كان الشعر مرحلة من العشرينيات حتى الأربعينيات لم تستمر. كانت أول قصيدة (وردة ذابلة) عام ١٩٢٥ وآخر قصيدة (أخي) عام ١٩٥٢[1] وهو في السجن. وكانت الذروة في الثلاثينيات خاصة عام ١٩٣٤

❖ كان يمكن تصنيف قصائده طبقاً لموضوعاتها، ولكن كان من الأفضل بيان خصائصها الشعرية وموضوعاتها. ويتضح سيد قطب شاعر الغزل ثم التأمل ثم الحنين ثم الوصف ثم الرثاء. ولا يأتى شاعر التمرد والوطنيات إلا فى النهاية.

❖ هو شعر تقليدي عمودي وليس شعراً حديثاً. يستعمل الألفاظ العربية غير المتداولة كما هو الحال فى الشعر الجاهلى. يحتاج إلى شرح اللغويين والنحاة. يغلف الروح الرومانسية بغلاف لغوى وغطاء لفظى يمنع من الإحساس الجمالى المباشر بالمضمون الشعرى. قد يرى النقاد فيه بعض الصنعة والتكلف فى الصياغة. ومع ذلك يبدو المضمون الرومانسى واضحاً. لم يدخل معارك الشعر الحديث كما فعل العقاد، وطه حسين، وصلاح عبد الصبور، بل دخلها فى الرواية فى عرضه لثلاثية نجيب محفوظ، وانتصاره للجديد ضد القديم، للعقاد على طه حسين. له قصته مثل (الأيام) لطه حسين وهي (طفل من القرية) و(يوميات نائف فى الأرياف) لتوفيق الحكيم.

❖ وهو شعر عاطفى وجداني رومانسي. ينبع من أعماق النفس (خبيئة نفسى). فالشاعر غريب فى العالم يدعو فى (دعاء الغريب).

يخطو الزمن به وثبا. يتوه فى الصحراء، وتغوص أقدامه فى (أقدام فى الرمال).

---

١ ـ له فى عام ١٩٣٤ ـ ٤١ ـ قصيدة.

يحن إلى الماضى وإلى أيام الصبا وتذرف الدموع (الحنين والدموع). ويشعر بالحرمان فى (ريحانتى الأولى أو الحرمان)، والحاجة إلى الإشباع الروحى وإلى (هتاف الروح)، ينبع شعره من أعماق القلب (هدأت يا قلبى). يمجد الإبداع فى الفن والحياة وكما كتب فى ١٩٣١م فى محاضرة قدمها مهدى علام: (مهمة الشاعر فى الحياة). وظل كذلك حتى فى مرحلته الإسلامية عندما كتب (الإسلام حركة إبداعية فى الفن والحياة). ويتردد لفظ (الحياة) عشرات المرات فى قصائده: (خريف الحياة)، (عودة الحياة)، (رسول الحياة)، (سر انتصار الحياة)، (داعى الحياة)، (تحية الحياة)، (حلم الحياة).

وهو شعر واقعى يصف الجوانب السلبية فى الإنسان، وفى الحياة كما يصفها القرآن، ووصف الإنسان بالجدل والتسرع والغرور والجهل والظلم. لديه إحساس بالاضطراب والحنق فى (اضطراب حانق). والأقدار تسخر من الإنسان فى (سخرية الأقدار). والدنيا خراب فى (خراب). والنفس ضائعة فى (النفس الضائعة). والصديق مفقود فى (الصديق المفقود). والغد مجهول فى (الغد المجهول). وهو غريب فى العالم فى (غريب) و(دعاء الغريب). يرثى عهداً ولّى فى (رثاء عهد) و(عهد ذاهب). والشعاع خابٍ فى (الشعاع الخابى). والشاطئ مجهول فى (إلى الشاطئ المجهول). والشاعر فى وادى الموتى فى (السر ... أو الشاعر فى وادى الموتى). والخطيئة تغمر وجود الإنسان فى (الخطيئة). وللقصيدة مصرع فى (مصرع قصيدة).

والخلود خدعة فى (خدعة الخلود). والنظرة موحشة فى (نظرة موحشة). والناس فى خصام فى (خصام). والأفواه ظامئة فى (الظامئة). واللحن حزين فى (اللحن الحزين).

والحب فى مصرع فى (مصرع حب). والحب مكروه فى (الحب المكروه)، والبكاء على أطلال الحب فى (على أطلال الحب). والسلوان أكذوبة فى (أكذوبة السلوان). والكأس مسمومة فى (الكأس المسمومة). والوردة ذابلة فى (وردة ذابلة). والجمال عبث فى (عبث الجمال)، واليوم خريف فى (يوم خريف). والجبار عاجز فى (العاجز الجبار)، والجمال حزين فى (جمال حزين). والهرة سوسو ماتت فى (موت سوسو). وللفاجعة صدى فى (صدى الفاجعة). والبدارى مأساة فى (مأساة البدارى). والحنين يذرف الدمع فى (الحنين والدموع). والحياة نكسة فى (نكسة).

وفى الوقت نفسه هو شعر مثالى يعبر عن حضور المثل الأعلى فى الإنسان، كما هو الحال عند الرومانسيين الألمان فختة وشلنج. يعبر عن الجوانب الإيجابية فى الإنسان كما يفعل القرآن فى بر الإنسان بوالديه. يريد الصعود إلى القمة فى (على القمة). يعشق المحال فى (عاشق المحال). يحقق الحلم القديم فى (حلم قديم) و(جولة فى أعماق الماضى). الشعراء فيه سعداء فى (سعادة الشعراء) و(السعادة حديث الأشقياء). والروح تهتف فى (هتاف الروح). والابتسامة على الوجوه فى (ابتسامة)، والبسمة بعد العبوس فى (بسمة بعد العبوس)، والوجوه طريفة فى (وجوه طريفة). وهناك بعث بعد الموت فى (بعث). والحب حقيقة وتعبير فى (أحبك) و(لماذا أحبك؟) والقبلة نتيجة طبيعية للحب فى (قبلة). والحب رقية فى (رقية الحب)، والحب لا يخطئ فى (عصمة الحب). والخواطر تتوارد فى (توارد خواطر).

وهو شعر إنسانى عام، لا يفرق بين شرق وغرب. إذ لم يبدأ العداء للغرب إلا بعد ١٩٥٠ بعد الصدمة الحضارية إثر زيارته للولايات المتحدة فى بعثة تربوية، والتى كان يكتب في أثنائها الرسائل لشقيقته (حميدة) يصف فيها انطباعاته عن العالم الجديد، والتى جُمعت بعد ذلك فى (أمريكا التى رأيت).

كل أشعاره تجارب إنسانية عامة يمر بها كل إنسان بصرف النظر عن لغته وثقافته ودينه ووطنه وقومه، الموت والحياة، المحبة والعشق، الواقع والحلم، الماضى والحاضر والمستقبل، الزمان والخلود، أطوار العمر، الربيع والخريف، الألفة والغربة، السعادة والشقاء، البسمة والعبوس، الفرح والحزن.

وهو شاعر طبيعة مثل شعراء الطبيعة القدماء والمحدثين، ذي الرمة وشعراء المهجر. ففى الطبيعة جمال، كما أن فى الروح جمال. وللحياة خريفها وربيعها. سقوط أوراقها ونموها فى (نداء الخريف) و(فى ليلة من ليالى الربيع). وما أجمل الليل فى الريف فى (ليلات فى الريف) و(العودة إلى الريف) فى ظلال الأشجار فى (بين الظلال). وما أجمل الطيف وصوت حفيف الأشجار فى (طيف) و(صوت). والصبح يتنفس فى (الصبح يتنفس). والحيوان جزء من الطبيعة مثل النبات. ويبدو ذلك فى قصيدتى (سوسو) و(نوسة)، اسمين لقطتين.

وهو شعر اجتماعى يعبر عن المفارقة بين الريف والمدينة. بالرغم من أن الريف مصدر الإلهام ووحى الرومانسية فى (العودة إلى الريف) و(ليلات فى الريف) إلا أنه أيضا موطن الفقر والبؤس واستغلال الفلاح. فالحرمان هى الريحانة الأولى فى (ريحانتى الأولى أو الحرمان). الناس فى (قافلة الرقيق) يسعون نحو التحرر. السلوان أكذوبة فى (أكذوبة السلوان) و(محلاها عيشة الفلاح، متهنى القلب ومرتاح). وهو ما عبر عنه نثرا فيما بعد فى (العدالة الاجتماعية فى الإسلام) و(معركة الإسلام والرأسمالية)و(السلام العالمى والإسلام)، الشاعر الوطنى الاشتراكى مع (اشتراكية الإسلام) لمصطفى السباعى فى سوريا. ويشعر بضرورة الثورة والخروج من العزلة فى (عزلة فى ثورة). وهو ما تحول عنه أحد تلاميذه إلى «اليسار الإسلامى» عام ١٩٨٠ بعد خمسة عشر عاما من استشهاده.

وهو شعر وطنى يعبر عن الأمانى الوطنية للشعوب العربية، استقلال مصر، ثورة ١٩١٩، سعد العظيم، وحدة مصر والسودان، الجهاد فى فلسطين، انتماء مصر العربى. لذلك أعجب به عبد الناصر فى أوائل الثورة. وأراده رئيسا لهيئة التحرير، أول تنظيم سياسى للثورة. وطلب منه إعطاء أحاديث وطنية فى الإذاعة المصرية. وهو الذى كتب برنامجه الدعوي (دعوتنا) عندما طلب عبد الناصر كتابة الأحزاب لبرامجها السياسية. وسعد العظيم ذكراه خالدة فى (الذكرى الخالدة لسعد العظيم). وهو البطل فى ذكراه فى (البطل) و(ذكرى سعد). وهو (صوت الوطنية). و(مأساة البدارى) تضحية بالمواطنين فى حكومة الظلم. ومصر نبض العروبة فى (إلى البلاد الشقيقة). إنما العيب فى مدح الملك فاروق فى (المهرجان) مهجران العرش والشعب معا (عاش فاروق ودام المهرجان).

وهو شعر يعبر عن الرغبة فى الخلود، وامتداد الإنسان أفقيا بين الماضى والحاضر والمستقبل، ورأسيا بين الزمان والخلود. الزمان يمر فى (مر يوم). ويخطو وثبا فى (خطا الزمن الوثاب). ويصل إلى نهايته فى (نهاية المطاف). وهى محطات أهمها فى سن الثلاثين فى (إلى الثلاثين). ولحظة الانتظار هى لحظة خالدة ينكشف فيها الخلود فى الزمان فى (الانتظار الخالد). ويعود إلى الماضى فى (جولة فى أعماق الماضى) و(الماضى) و(عهد الصغر) و(رثاء عهد) و(عهد ذاهب) و(الذكرى الخالدة لسعد العظيم) و(ذكرى سعد). فالغد مجهول فى(الغد المجهول).

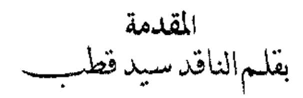
ولا يوجد دين مباشر فى المرحلة الشعرية. كان الدين مجرد صور فنية، معانى علمانية للمعجزة واليقين والحب والشكر والصلاة والوحى والجنة. لا عقائد ولا شعائر ولا إلهيات، بل أخلاقيات وعمليات وإنسانيات. تذوق الجمال عبادة جديدة، والتسبيح لعينى الحبيب. يرفع الروح إلى السماء. وتهتف الروح. والدعاء للغريب. وهبل رمز الجهل فى (هبل... هبل)، استدعاء للجاهلية. والبعث للوجدان والضمير والحياة كما هو الحال

فى رواية تولستوى (البعث)، بعث أمة لطرد المحتل. والحياة لها رسول فى (رسول الحياة) والإلهام (وحى جديد)، ولقاء الحبيبين (وحى لقاء) و(وحى الخلود). للأقدار سخرية فى (سخرية الأقدار)، وليست موضوعا للإيمان كما هو الحال فى عقيدة القضاء والقدر. والمعجزة هى الفعل البطولى فى (المعجزة أو السهم الأخير). و(الجبار عاجز) أمام دفعة الحياة. و(الوادى المقدس) فى الأرض وليس فى السماء.

إنما قسوة التاريخ وظلم الشاعر والناقد والمفكر هو رده إلى مرحلة واحدة بعد ١٩٥٤ ونسيان ربع قرن من الإبداع الشعرى والنقدى والفكرى ورده إلى كتاب واحد (معالم على الطريق) الذى هو حرقة سجين مظلوم ومعذب بريء. وقد نسيت جماعته أيضاً المراحل الثلاث الأولى، ولم تتذكر إلا المرحلة الرابعة، باستثناء المخلصين له الذين تعلموا على يديه، وعرفوه مفكرا وثائرا ووطنيا باسم الإسلام. ولولا دخوله السجن فى ١٩٥٤ وتعذيبه لما كفّر المجتمع فى (معالم على الطريق)، ولولا سفرى إلى فرنسة وعودتى بعد عشر سنوات وعيشى فى جو طبيعى لما كتبت (من العقيدة إلى الثورة)، ولا (من النقل إلى الإبداع)، ولا (من النص إلى الواقع)، ولا (من الفناء إلى البقاء)، ولا (من النقل إلى العقل). ولولا الصدمة الحضارية التى تلقاها من بعثته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٠ لما كتب (خصائص التصور الإسلامى ومقوماته) ردا على (الإنسان ذلك المجهول) لألكس كاريل. وهو ما تطور بعد ذلك فى (مقدمة فى علم الاستغراب). ويتم استئناف (فى ظلال القرآن)آخر ما وصل إليه علم التفسير من تطور فى (الموقف من الواقع) أو نظرية التفسير، الجبهة الثالثة من مشروع (التراث والتجديد) بجبهته الأولى موقفنا من التراث القديم، وجبهته الثانية (موقفنا من التراث الغربى).

واليوم يرد – مركز الناقد الثقافى– الاعتبار لسيد قطب شاعرا عسى أن يُرد إليه نفس الاعتبار ناقدا ثم مفكرا ثم سياسيا وتنتهى أسطورة (معالم على الطريق). فنفسية السجين استثناء فى حياة الشاعر الرومانسى، والناقد الأدبى، والمفكر الحر[1].

[1]– ما أرى هذه المرحلة إلا نتيجة طبيعية للسقوط في وهَدة المؤامرة، والانزلاق إلى مهاوي الفتنة، ومن ثم الاحتراق بأتُون الحقد. من طرفي الأمة وجناحيها آنذاك، اللذين كان عليها المعوّل لو تابعا مسيرهما معاً، كما بدأاها، التيار الإسلامي والتيار القومي المعتدل وما وصلت إليه أمتنا اليوم يؤكد أن المؤامرة يومذاك كانت كبيرة ومحكمة، بجتر عذاباتها ونتائجها المرة، والمأمول اليوم أن يدوم هذا التصالح وهذا الوعي، بل وهذا الانسجام بين التيارين في وجه العدو المشترك ..... الذي لم يتغير . (الناشر)



المقدمة

بقلم الناقد سيد قطب

أعرفُ مؤلَف هذا الديوان؛ معرفةً وثيقةً عميقة، قد لا يتأتى لأىّ سواى أن يعرفَها ! ولقد صاحبتُه زُهاء سنوات عشر أو أكثر قليلاً، وراقبتُ خوالجَه[1] وسَرائرَه وخَبَرْتُ اتجاهاته وميولَه، وكونتُ لي رأياً عنه، أقربَ ما يكون إلى حقيقته.

ولقد كان يَشْجُرُ بيننا الخلافُ على كثير من الخَوالج والقصائد، ولكننا كُنَّا نلتقي عن قريب أو بعيد، إلا أمراً واحداً،لا نزال مختلفين فيه أشدَّ الاختلاف.

ذلك أنه راضٍ عن مجموعة هذا الديوان، أمّا أنا فلستُ راضياً عنها إلا بمقدار وما أزال أتطلعُ إلى مُثل عُلْيا، كما آخذُ عليه بعضَ أنواعِ الضعف والخطأ. وما يشبه الضعفَ والخطأ في بعض الأفكارِ وبعض الألفاظ !

وفي هذه المقدمة؛ سأستعرض آراء الشاعر واتجاهاته، ثم أذكر مآخذه وعيوبه، محاولاً ألا تؤثر صحبتي الطويلةُ له، والصداقةُ العميقة بيننا؛ في تحليلي لديوانه!!

الشعر والنظريات العلمية والفلسفية

في الفصل الأول من هذا الديوان، وفي كثير من قصائد الفصول الأخرى، تُطالع للقارئ، نظرياتٌ علميةٌ وفلسفيةٌ كثيرة، ولكنها لم تحتفظ بِسَمْتها[2] العلمي وشخصيتها المحددة، بل استحالت صورةً من صور الشعر، فيها موسيقيته وعليها مِسْحَتُه؛ ولها سِحْنَتُه[3].

١- خوالجه: خواطره ونزعاته.

٢- السَّمْتُ: الطريقة

٣- السحنة: الهيئة واللون.

وليس هناك عداء بين الشعر وبين الفلسفة والعلم، فليس الثلاثة أنداداً[(1)] حتى يَشْجُرَ بينها العداء!

إنما الشعرُ أوسعُ مجالاً من العلم؛ ومن الفلسفة أيضاً، ولن يَعْسُر عليه، حين يبلغ حداً مُناسباً من النُّضوج؛ أن يلتهمهما جميعاً، ويَعتصرهما دماً، ويُمثّلهما غذاءً، يُقوّى من بنْيَته؛ إن لم يُحسّ بوجوده!

ولن ننكر على الشعر إلمامَه بالحقائق العلمية والفلسفية فيما يُلِمُّ به من حقائقَ أخرى تُناسبَ طبيعَته؛ إلا إذا قَصَرْنا طرق المعرفة على القُوى الواعية في الإنسان، وهذا مبدأ لم يسلم من المآخذ، حتى في أكثف العصور ماديةً، وكثيرٌ من مدارس السيكلوجية[(2)] الحديثة، تحسب للقوى المجهولة في النفس الإنسانية حساباً كبيراً، وفي مقدمتها ((مدرسة التحليل النفسي)).

وهأنذا ألخصُ بعض هذه المسائل، التي تَعرضُ للقارئ في هذا الديوان، والتي أدركها الشاعر بالإحساس والتأمل تارةً، وبالاستغراق والتجرد تارةً؛ فالتقتْ بعد ذلك بنظريات علمية وفلسفية مقررة، واتفقتْ معها؛ أو اختلفت، لأنها لم تتقيد بها، ولَم تأت َعن طريقها وحده.

الجسم والعقل والروح:

القول بالتباين بين الجسم والروح، قديم متداول في الفلسفة القديمة، والشاعر ميال إلى الأخذ بالروح العامة لهذه الفلسفة القديمة، وإن لم يأخذ بنصوصها في الفصل بين هذين العُنْصرين، لاعتقاده بوحدة الوجود.

وبالتحديد يرى أن هناك شيئين متميزين جسماً وروحاً ولكن بينهما اتصالاً...

أمـا ما يسـتحق الالتفـات فهو أنه يُفـرق بعد ذلك بـين القوى العقلية؛ والقوى الروحية في الإنسـان، وبتعبـير أدق بين القوى الواعية، والقوى الملْهمَة –وليسـت هي الغرائز– القوى المجهولة الكنه والوظيفة، والتي تعمل دونَ شعور بها؛ للسمو بالإنسانية.

١- النِّدُّ: المِثْلُ والنظير.

٢- السيكولَوجية: علم النفس

ويرى أن العقل يستطيع أن يكفل للإنسانية حياتها اليومية وما يقرب منها، ولكنه يقصر عن اتصالها بالمثل العليا الغامضة، وبالعوالم المجهولة، كما يقصر عن إدماجها في الوحدة الكونية الكبرى، والحقيقة الثابتة المتصلة، التي تبعد عن الفواصل من أمثال ((قبل وبعد. ماض وحاضر ومستقبل أنا وغير)).. إلخ.

وفي قصيدة الشاطئ المجهول؛ وهي أولى قصائد الديوان تفصيل لهذا البحث، كما أن فيها ظاهرة أخرى؛ وهي عدم ثقة الشاعر بالقوى الواعية؛ وشدة إيمانه بالروح وما يتصل بها من بداهة[1] واستغرقٍ، وتجردٍ؛ وصوفية.

لقد حَجبَ العقلُ الذي نستشيرُه حقائق جلَّت عن حقائقنا الصُّغرى

هنا عالم الأرواح فلنخلع الحجا[2] فنغنمَ فيه الخلدَ والحبَّ والســـحرا

الجسم والزمن والوحدة:

القوى الروحية — عند الشاعر — هي التي تربطه بالوحدة الكونية الكبرى كما تقدم، في حين تقصر القوى العقلية عن ذلك، وهو يرى أن الشعور بالزمن؛ نتيجة لوجود الجسم والقوى الواعية؛ وأن الروح تحس بالوجود المطلق؛ لا يقيده الزمن؛ وبالبداهة لا يقيده المكان.

ولذلك فهو حينما خلع الجسم وخلع الحجا في الشاطئ المجهول رأى أن ليس هناك (حيث) ولا (أمس) ولا (اليوم) ولا (الغد) ولا (غير) ولا (أنا)... إلخ.

ولكنه رأى الأزمان كالحلقة الكبرى ورأى (الوحدة التي احتجبت سراً). وكذلك في قصيدة الليلات المبعوثة حين تجرد لم ير للزمان معلماً ولا رسماً ورأى كل شيء كرمز الدوام.

١ – البداهة: أول شيء، وما يُفجأ منه

٢ – الحجا: العقل

وقد يكون لهذا الإحساس علاقة بنظرية النسبية لأنشتين، كما قد يكون له علاقة بنظريات التصوف الإسلامي، ولكنه الإحساس المستقل للشاعر؛ الذي يشعر به، ويكرره في كثير من قصائده.

ويبدو شعوره بالوحدة الكونية بشكل واضح في (قصيدة الإنسان الأخير)؛ حين يستيقظ والكون قد خلا من الأحياء.

ففي نفسه ما يشبهُ الموتَ سكرةً ومن حوله موتٌ نَمتْهُ المقابر

وفي نفسه من مثلها كلُّ ذرَّةٍ فهاتيك أشلاءٌ وهذى خواطر[1]

وفي قصيدة (خبيئة نفسي)[2] إذ يقول:

خبيئة نفسي في ثناياك معرضٌ لما لقَيتْهُ الأرضُ في الجَولَانِ

وإنك طلسَمُ الحياةِ جميعها وصورتُها الصغْرى بكلِّ مكان[3].

ويبدو شعوره بوحدة الإنسانية؛ في مواضع كثيرة منها أن يجعل الإنسان الأخير يحاول كشف أسرار الغيب إكمالاً للجهاد الإنساني لهذه الغاية:

فياليته يدري بما خلف سِتْره فيختِمُ سفرَ النَّاسِ في الكون ظافرٌ[4]

وفي قصيدة (التجارب) يبدو إيمانه بوحدة الشعور، فقد صور شقّياً وهب ماضياً سعيداً؛ فلم يطق عليه صبراً، وعاد ماضيه الشقى توحيداً لشعوره!

الإحساس بالزمن، ومحاولة الخلود

تبدو ظاهرة؛ تستحق الالتفات في شعر هذا الديوان، فكثير منه، يدل على إحساس متيقظ بالزمن ومروره والأسف على انقضائه؛ والتنبه إلى قصر الحياة؛ ومحاولة خلودها أو امتدادها على الأقل.

١- أشلاء: مفردها شِلْو، والأشتلاء: أجزاء الجسم بعد الموت والبلى.
٢- خبيئة: المَخْبُوء
٣- الطلسْم (في علم السحر): الشيء الغامض.
٤- السِّفرُ: الكتابُ

ويملأ الإحساس بالزمن كثيراً من فصول الديوان المختلفة؛ ففي فصل (الظلال والرموز) يبدو هذا الإحساس على أشده في قصيدة (البعث).

هكذا عشْتُ كسكّانِ القبور   في ربيعِ العمر؛ في العهد النَّضِرْ

آهِ لو أَسطِيعُ للماضي الحسيرِ   رجعةً، من بعد ما جاء وَمرْ[1]

كنتُ أُحييه كما يُحْيَا الشُّبابُ   نابضاً بالحبِّ؛ جياشَ الأماني

ممسكاً أهدابُه خوفَ الذّهاب!   مُسْتعزاً فيه حتّى بالّثواني[2]

وفي فصل (الصور والتأملات) تجده جازعاً آسفاً على أنه مر يوم من حياته.

لم تكن فيه حياةٌ أو أمل   أو تمتُّعْ

وهْوَ محسوبٌ علينا في الأجَلْ   فَهْو أَضْيَعْ

وكذلك تجده ينادي ليلات الريف في لهفة ((إيه ليلاتنا،اخلدي، لا تغيبي))!

وفي فصل الغزل والمناجاة تجده يتحدث عن الحياة الغالية فيقول.

واليومَ آسفُ للدَّقائقِ تنطوي   من عمريَ الغالي الثّمينِ الطّيبِ

واليوَمَ أرقُبها وأرقبُ خَطْوَها   فأعيشها مثلين بعد ترقبي!

وفي مواضع أخرى كثيرة.

وليس غريباً؛ أن تلمح اعتزازه بالماضي وأسفه عليه متفشياً في معظم فصول الديوان، فهو تتمة لهذا الإحساس الغريب بالزمن.

١- الحسير: المنصرم

٢- أهدابه: أطرافه

وهو لهذا يحاول الخلود، ويسلك إليه طرائق شتى فتارة يعتصم بالحب:

وغنــاءٌ عــن الخلــودِ غرامٌ هــو رمــزٌ ووَصْلــةٌ للبقــاءِ

وتارة يلجأ إلى الريف؛ لأن مظاهر الدوام والاستقرار فيه؛ تخفف حدة الشعور بمرور الزمن:

يا ريفُ فيك من الخلود أثارَةٌ تنســابُ في خَلَــد وفي أَوْهامــي[1]

فإذا أعياه ذلك؛ وأعيا طبيعــة الخلق، فهو يتعزّى بأخيه؛ ويهدي إليه الديوان لأنه امتداده في الحياة:

تمنيــُت ما أعيــا المقاديرَ إنّمــا وجدتُــكَ رمزاً للأمــاني الصّوادفِ
فأنــت عزائــي في حياةٍ قصــيرةٍ وأنت امتــدادي في الحيــاةِ وخالفي

المجهول:

يملأ الشــغف بكشف (المجهول) والحديث عن (السر) حيّزاً كبيراً من الديوان؛ ويمد جناحيه على حيز آخر، ومن هنا جاء اسمه.

ولعلها محاولة من محاولات الخلود، أو تعميق الحياة وتمديدها؛بمعرفة عوالم ومصائر مجهولة، يضيق الجهل بها أفق الحياة.

أم لعلها نتيجة للفصل بين أجزاء الكون والحياة، بهذا الجسم الذي لا بد له من الفواصل والحدود مع شــوق القوى الروحية، إلى العوالم المجهولة، التي حجبها الجسم والقوى الواعية.

وعلى أي حال فالحديث عن المجهول يأخذ صوراً متعددة، ويشــغل مكاناً كبيراً من اهتمام الشاعر، حتى لقد يلّح عليه في فصل (الغزل والمناجاة) في قصائد كثيرة.

١- الأثارة: البقية

ملكة التصوير وروح القصص:

يتبين للناقد، أن الشاعر في هذا الديوان؛ يقف موقف المصور في كثير من القصائد؛ حتى لا تكاد تخلو قصيدة من تصوير.

وقد يزيد على الصورة الصامتة في كثير من الأحيان حركة نابضة؛ والأمثلة على ذلك في (الشعاع الخابي. وخراب. والصحراء. والإنسان الأخير. وخريف الحياة. والجبار العاجز. وناحت الصخر) لا بل الأمثلة هي هذا الديوان كله، فهو متحف صور، قبل أن يكون قصائد شعر!

ولكن أي تصوير؟

إنه التصوير الهادىء؛ الغامض. فالهدوء والغموض هما اللذان يثيران في الشاعر خاطر التصوير، بل خاطر التعبير، وهو يهرب من الضجة كما يهرب من الوضوح، فإذا اضطر لملابستهما، فهو يعيش فيهما، ولكن لا يعبر عنهما.

ولقد لاحظت أن ألوان ملابسه جميعاً تتفق مع هذا الميل، وكذلك ألوان الأزهار التي يألفها؛ والمناظر التي يفضلها.

وهو مصور حسّي في بعض الأحيان. كما قد يصور الحركات الفكرية ويجسمها، أو الخواطر النفسية؛ ومنها ما يجول في نفسه هو؛ فتعجب لهذا (الوعي الفني) الذي يستطيع مع تصوير خلجات نفسه تصوير (المنتبه) لها في حركتها الداخلية المستمرة كما في (خبيئة نفسي، والنفس الضائعة، والغد المجهول، وغريب) وسواها.

وكذلك تجد روح القصص واضحة ومتفشية في كثير من المواضع، وهو يرمز للفكرة بقصة صغيرة، أو حوار كما في(التجارب) وفي (الصحراء) أو يجعل بعض القصيدة قصصاً، لتصوير موقف من المواقف.

موسيقية الديوان:

منذ عهد قريب جداً، كشفت عن ظاهرة تستحق التسجيل، ذلك أن لوناً من ألوان الموسيقا؛ يتفشى في هذا الديوان كله؛ على اختلاف أوزانه وموضوعاته.

ويجب قبل الحديث في هذا، أن أذكر أن موسيقا القصيدة؛ غير وزنها.

فالوزن يتحقق بأيِّ الألفاظ؛ ولكن الموسيقا؛ كما تعتمد على الوزن؛ تعتمد على الألفاظ والتراكيب الخاصة.

هذه هي الموسيقا السمعية، ولكن هناك موسيقا أخرى أرقى، وهي الموسيقا الفكرية؛ ثم الموسيقا الروحية.

وتتحقق الأولى بالوزن والألفاظ، والثانية بتسلسل الفكرة وتلاؤم أجزائها، والثالثة بالجو العام الذي يحس به القارئ للقصيدة. وما من شك في أن جواً نفسياً خاصاً يحف بالقارئ دون أن يحدد أسبابه.

وهذه الموسيقا الروحية هي التي أعنى أنها واحدة في الديوان، وهي من لون واحد. لون الموسيقا الصعيدية! موسيقا أولئك (الصعايدة) الغرباء؛ وهم يرتلونها في نغم رتيب، فيه شجو[1]. وفيه ألم، وفيه حنين. ولكن فيه كذلك رجولة وخشونة وروعة.

وتعليل هذا من الوجهة العلمية سهل. ونظرية (العقل الباطن) تفسره فقد اندست[2] هذه الألحان في نفس الشاعر وهو طفل في (موشا) وهي قرية من قرى أسيوط وهو يقول عن هذا الريف:

إني فقدتُـــكَ في الطُّفولـــةِ غافلاً   عمَّا حويْتَ من الوجود السّـــامي

لكن وجدْتُــكَ إذْ كبِرْتْ بخاطري   رمـــزاً أُحيـــطَ بغمْـــرةِ الإبهـــام

١- الشجو : الحزن

٢- اندست: دخلت في خفاء واستتار

التعبير:

تبدو في هذا الديوان صورة واضحة للتعبير الدقيق المصور للأفكار؛ وأضرب مثلا لذلك بقصيدة (في الصحراء) فهناك نخلة ملت الحياة التي لا تعرف سرها (يرمز بها إلى الأحياء جميعاً) فهذه النخلة تقول لأختها:

مُنذُ مَا أُطْلِعْـــتُ في هذا الخَرابِ   وأنـــا أسْـــألُ: مـــا شَـــأني هُنا؟

ولو قال: ((منذ مَا طلعتُ)) لذهبت قيمة التعبير المصور لحالة هذه النخلة التي أُرْغِمَتْ على الحياة ((فَأُطْلِعَتْ)) دون إرادتها؛ و لم ((تَطْلُعْ)) هي بمشيئتها.

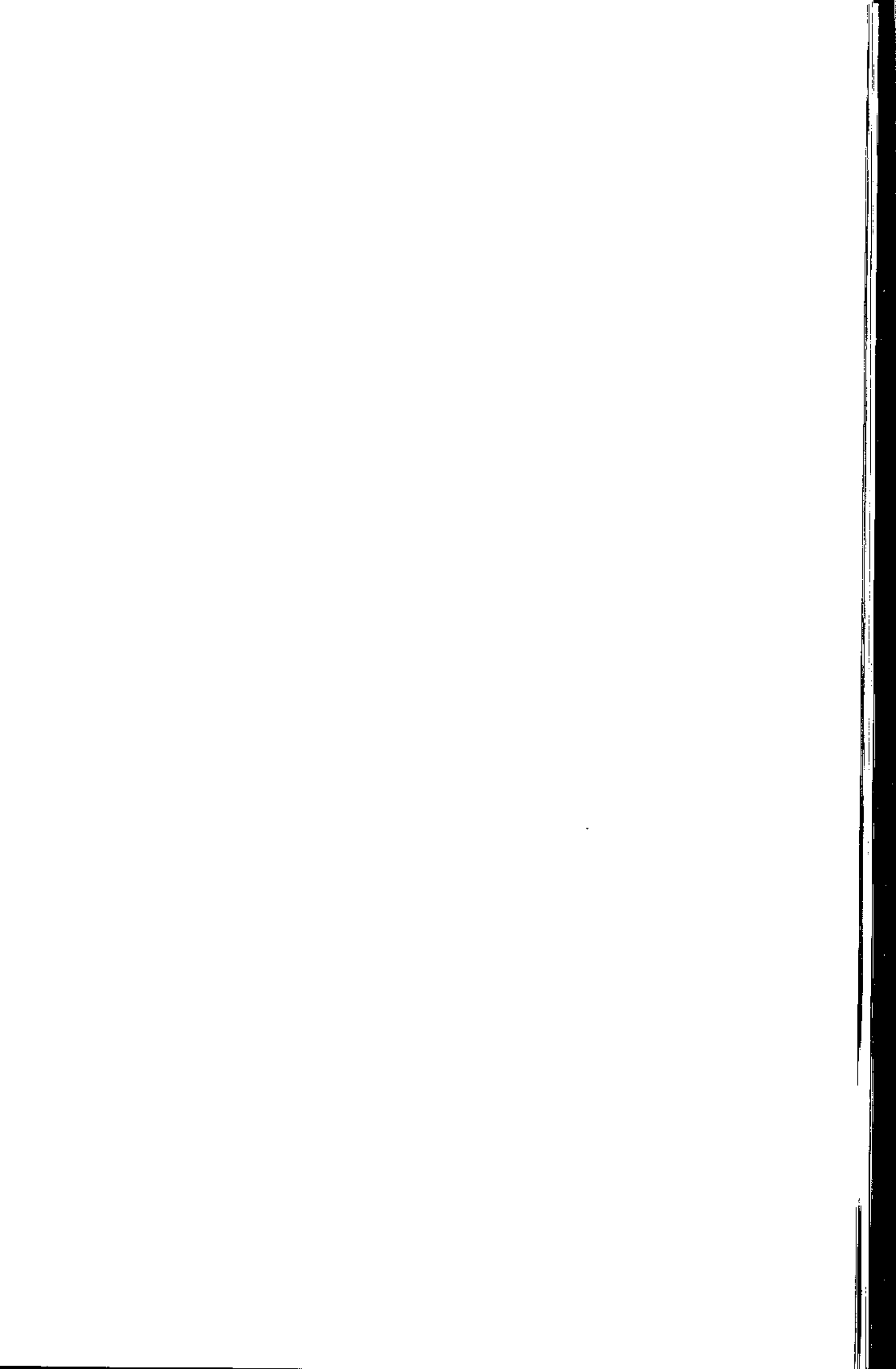
ومثل هذه الدِّقة كثير في الديوان إلا أن هذا لا ينفي أن هناك ضعفاً في بعض التراكيب؛ وخَطَأ في بعض الألفاظ وإن تكن معدودة.

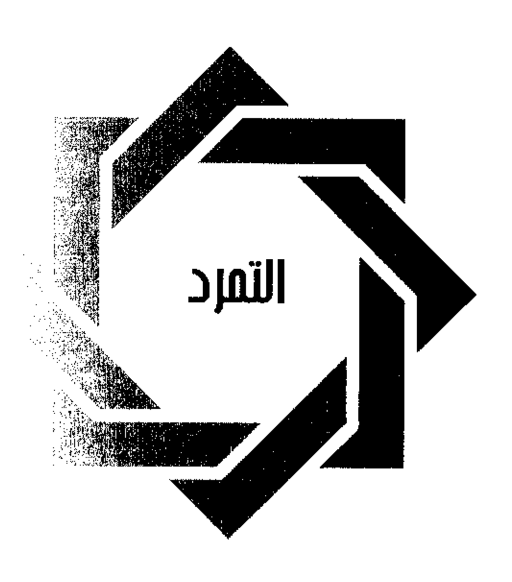
والذي يستحقُّ التنبيه أن هناك جُرْأةً في الاشتقاق، قد تُؤدي إلى الفوضى، وقد يستغلُّها العاجزُون في اللغة استغلالاً...!

خاتمة:

وبعدُ: فهناك مَباحثُ طويلةٌ عن بقية فصول الديوان لا تتسع لها المقدمة ولا سيما فصل سيد (ا لغزل) وفصلُ (الوطنيات) أتركها للقراء..[1]

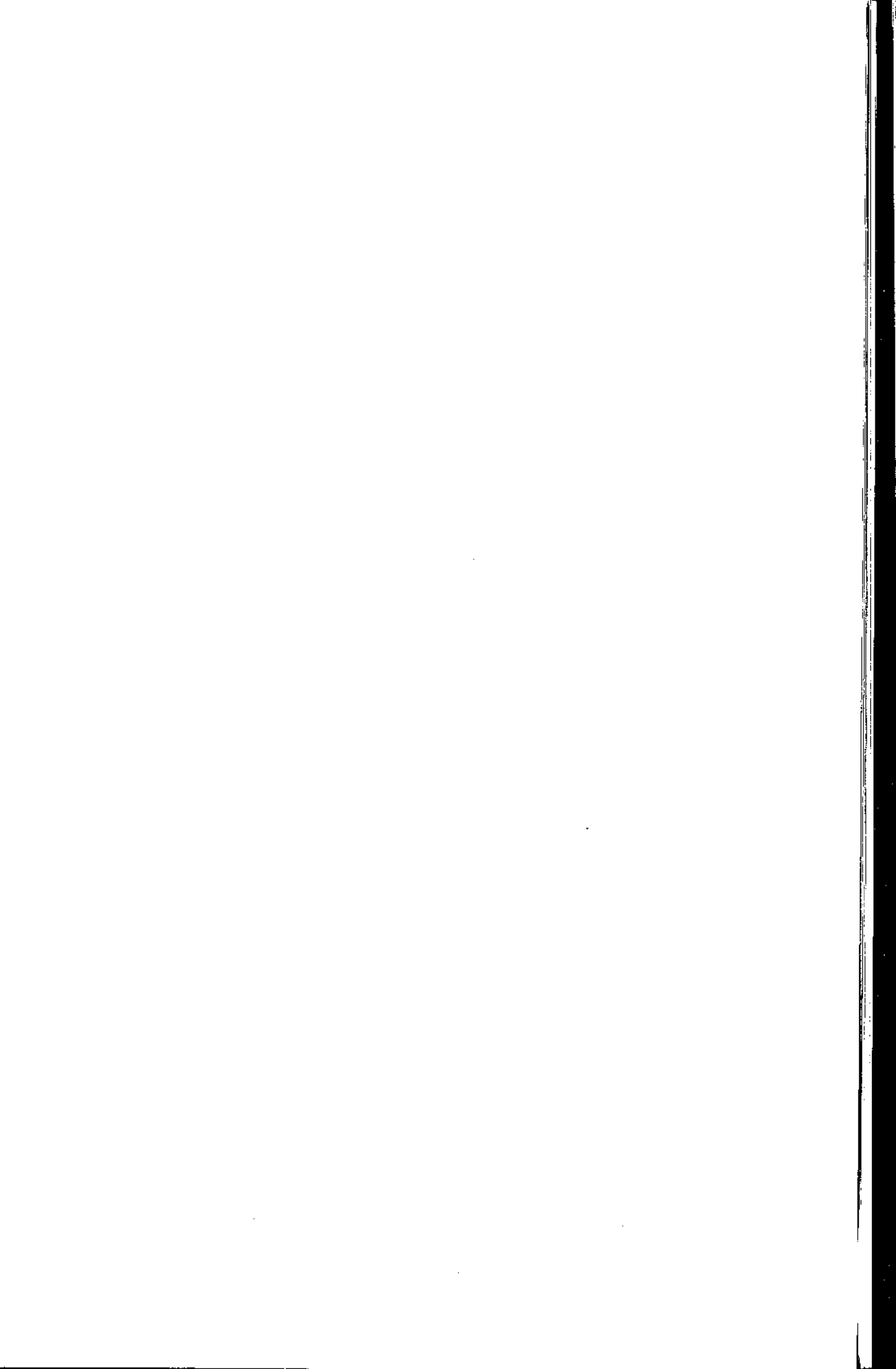
١- اعتمدنا في طبعتنا هذه على نسخة مصرية قام بإعدادها الأستاذ عبد الباقي محمد حسين لهامي،والنسخة تستحق التقدير فقد بذل جهداً ملحوظاً استفدنا منه في طبعتنا هذه فالشكر الجزيل له.





إن نفسيِ ليس تَرضىَ : أيُّ نفسٍ

تقبل العيش كسُكّانِ القبورْ؟



عزلة في ثورة!!!!*

حَدثيـــني أنْـــتِ يـــا نَفْسِـــي فما أفهـــمُ العَالَـــم أو يَفْهَمُنـــي
إنـــني أنكرَتُـــه اليـــومَ كمـــا أنـــه بالأمـــسِ قَـــدْ أنْكَرَنـــي
لم أجـــدْ في الكـــون إلا أَلَمـــا إنمـــا الوَحْـــدَةُ أصلُ الشَّـــجَنِ

* * *

وَحْـــدَةُ الأرواحِ أنْكَـــى الوَحَدَاتِ وَحدةُ الأجسام تُنْسَـــى وتَهوُنْ[1]
أيُّ بُؤْســـي تســـتحثُّ الذكرياتِ كانفراد الرُّوح في وادي الشُّجُونْ
إنَّ رُوحي قد تَناسَتْ ((خُذْ وهَات)) وانزوت في عالمٍ جَمِّ السُّـــكُونْ[2]

* * *

لم أجـــدْ قلبـــاً إذا ارتعـــتُ خَفَق خفقةَ الحُـــبِّ بوحْيٍ صـــادقِ[3]
وإذا شـــذَّ فـــؤادٌ فَصَـــدَق أتبـــعَ الحُـــبَّ بِغَـــدْرٍ مَاحِـــقِ[4]
وفـــؤادي يَتنُـــزى° في حَـــرَقٍ وَاجِفـــاً مِنْ كلِّ حَـــدسٍ طارِقِ[5]

* * *

وحبيبٍ قَـــدْ سَـــمَتْ رُوحِي إليه وعبـــدتُ الطُّهْـــرَ فيـــه والجَمَالْ
ووقفـــتُ النفـــسَ والفكـــرَ عليه والأمـــانيَّ وأطيـــافَ الخَيـــالْ
ورأى مِـــني أســـيراً في يَدَيـــه فتولّـــى لاهِيـــاً عـــني ومَـــالْ

* * *

لم أجـــدْ في الكـــونِ ما أنْشُـــدُه مَثَـــلاً أَعْلـــى فـــأرْوِي ظَمَئـــي

وإذا صـــوّرتُ مـــا أقصـــدُه بُهِـــتَ النـــاسُ لهـــذا النَّبـــأِ

وتولّـــى بعضُهـــم يَنْقُـــدُه جاهـــداً والبعضُ يَـــروِى خَطَئِى

* **

وتقاليـــدٌ وأسْـــرَى يَعْبـــدُون هـــذه الأصنـــامَ مُغْلُـــولي الفِكَرْ

وإذا ثـــرُتُ عليهـــا يَسْـــخَطُون ويقولـــون تَمـــادَى وكَفَـــرْ!

وَيْحَهـــم مـــاذا تَراهـــم يبْتَغُونَ؟ أَتُرى نحيا شُـــخوصاً مِنْ حَجَرْ؟!

* * *

إنْ ذكـــرتُ الحُبّ قُدْسِـــياً نَقيا حسَـــبُوه من خَيـــالِ الشُّـــعَراءْ

إنـــني أُدْرِكـــهُ رُوحـــاً خَفِيـــا يَهْبِـــطُ الأرضَ ومَأواه السَّـــمَاءْ

وهـــم يَبْغُونَـــه إِثمـــاً فَريـــا يُرْتَـــدَى في أثْـــوابِ البغـــاءْ!

* * *

أَتُـــرى أحيـــا بُـــروحٍ لا تَحِس وفؤادٍ ليـــس يَدْرِى مَا الشُّـــعورْ؟

أكتمُ الأنفـــاسَ إن جَالتْ بِحسّ ثُمّ أبْقَـــى صخرةً بـــين الصُّخُورْ؟

إِنَّ نفسِي ليس تَرضَى: أيُّ نَفسٍ تقبـــلُ العيـــشَ كسُـــكّانِ القُبُورْ؟

حدثيـــني أنـــتِ يـــا نفـــسُ إِذَن واتركـــي العَالَمَ في الكَـــوْنِ يَمُوجْ

واعشَـــقي كلَّ جمـــالٍ يُفَتَتَـــنُ واضـــحِ الطَّلعـــةِ بَسَّـــامٍ بَهيـــجْ
وخُـــذِي مَا شِـــئتِه مِـــن كلّ فَنٌّ ودَعِي مَنْ هَـــاجَ في الأرض يَهيجْ!

* * *

حَلِّقــي يـــا نفـــسُ في كلِّ فَضَاءْ واهبِطي بَـــينَ الأقاحـــي والزُّهُورْ
واسْمَعي ما شـــئتِ مِنْ عَذْبِ الغنَاءْ حينمـــا تَهْتِـــفُ باللّحْـــنِ الطُّيورْ
إنمـــا الكـــونُ ومَـــنْ فيـــه هَبَاءْ بعدمَا يَرْضَى عـــن النفس الضَّميرْ

* * *

حَدِّثــي يـــا نفـــسُ إني لَســـميعْ إنْ لَهـــا النـــاسُ ولم يَسْـــتَمِعُوا[1]
وَصِفي إحساسَـــكِ السّامي البديعْ ودَعِيهم حيـــثُ هُمْ قَـــدْ وَدَّعوُا
وإذا الألفـــاظُ أعيـــتْ، فالدموعْ فـــإذا جَفَّـــتْ، فخفْـــقٌ يُسْـــمَعُ

* * *

أقفـــرَ العَـــالَمُ مِـــن كلِّ سَـــميرْ يُبْعِدُ الوَحْشَـــةَ عَنّى غيرَ نَفْسِـــي
فليَفِضْ ما جَاشَ فيها من شـــعورٍ ولتكـــنْ إلْفِي ومَنْ أرجُو لأُنْسِـــي
وَحْـــدَةٌ فيهـــا هُدوءٌ وســـرورْ ومناجـــاةٌ، فيا نَفْسِـــي لتَأسّـــي

* * *

١- لها الناسُ: تشاغلوا

إضطراب خانق*

أحيـــاةٌ أمْ نــارُ الجحيـم بِلظَاهَــا الهائــج المُسْــتَعِرْ؟[1]
لا. ففي نفسي من الشّجْو الأليم من حَيــاتِيَ فَــوقَ مَــا في سَــقَرْ!

* * *

آه. لا شَــكْوى ولا بَثَّ شَجَنْ لا أريــدُ الضعــفَ. كلا. لا أريــدْ
ســوفَ لا يظهرُ مــني مَاكَمُنْ فليشــدَّ الخَطْــبُ إنّي لَشــديدْ[2]

* * *

ولمن أشــكوُ إذا شئتُ الشّكاه؟ ولمن أســطيعُ إيضــاحَ شُــعوري؟
أيــنَ مَن ينظــرُ مِنّي مَــا أراه في شــعوري، غيرَ نَفسي وضَميري؟!

* * *

أُغْــرُبِي عَــني بعيداً يــا حَيَاتِي قــد كَرِهــتُ العيشَ في جَــوٍّ قَذرْ!
أُغْربُــي محفوفــةً باللعنــاتِ آبعُدي عن سَــاخَطٍ جهمٍ ضَجرْ![3]

* * *

لا فِــراراً من جهــادٍ كالجَبَانِ لا. فمــا كنــتُ جَبَانَــا أَحْــذَرْ!
إنمــا أَنْــتِ ســبيلٌ للهــوانِ لســتُ أَرْضَــاه ونَفْســيَ تَشْــعُرْ

* * *

---

*نشرت في نيسان (إبريل) ١٩٢٩م

١- المستعر: المتوقد، المشتعل

٢- كَمُنَ: اختفى

٣- الجهم: عابس الوجه، ضجر ضاق وتبرم

أأناســـيًّا أرى أم حَشَـــراتْ شَـــوّهَتْ من طَلَعَةِ الكونِ الجميلْ؟
يُشْبِهونَ الناسَ في تلك السِّماتْ بينمـــا أَنْفُسُـــهم رِجْسٌ يَســـيلْ!

* * *

حَقَروا الكـــونَ وأغراضَ الحياةْ حَســـبُوها دَنَســـاً في دَنَـــسْ
وصَغَـــاراً ليـــس يَرْضَـــاه إلـــهْ وَهَـــبَ الأرواحَ نُـــورَ القَبَـــسْ![1]

* * *

إنّهم لَـــم يَعرِفُـــوا معنى الجمال إنّهـــم قـــد جَهِلُـــوا سِـــرَّ الوجُودْ
وإذا طَالَعَهـــم طيـــفُ الكمال لائحـــاً يهفُـــو، تولَّـــوا في جُمُودْ

* * *

فَهِمُـــوا العيشَ طَعاماً وشـــرَاباً ورَواحـــاً حيـــثُ شَـــاؤوا وغُدُوّا
أنفسٌ كالكهـــفِ ما زالت خَرَاباً من شـــعورٍ يُلْهِمُ النفسَ السُّـــمُوّا

* * *

فـــإذا حدثتَ عـــن طُهْـــرٍ بديعْ وشـــعورٍ يَغْمُـــرُ النفسَ بَـــراءْ[2]
أَدْرَكُوه سَـــافِلَ الشـــأنِ وَضِيعْ وهو أسمى ما اســـتطَاعتْه السَّماءْ!

* * *

١ - القبس: النار أو الشعلة
٢- براء: خالص (بعيد عن الشبهات)

حَقَـرُوا العِفَّـةَ والحِـسَّ البَراءْ   حَقَـرُوا الرُّوحَ وهَامُوا بالجُسُـومْ
حَقرُوا الإخلاصَ محْضـاً والوفَاءْ   ورَأَوْا في النفـس مَحْيَاهـا الذَّميمْ

* * *

أئـذا مـا أخلـصَ الـودَّ فُؤادٌ   لفـؤادٍ مُخْلـصٍ، فَائتلَفَـا
لم يكـنْ ذلـك إلا لِفَسـادِ   يَثْلَمُ العِرْضَ ويُؤذي الشَّـرَفا؟[3]

* * *

لا. فمـا أقْفَـرَ هاتيـك النفوسْ   لا. فمـا أجْمـدَ ذياك الشُّـعُورْ
إنَّ وَجْـه الكـونِ مُغْبَـرٌّ عَبُوسْ   بِهمُـو. فَلْيَغْرُبُـوا عنـه يُنِـيرْ!

* * *

[1] – يثلم: يجرح، يحدث فيه نُدبةً

زفرات جامحة مكبوحة *

اذهــبْ وخلّفني هنــا متألمــاً لا تلقــني سمحــاً ولا مُتجهِّمــا
اذهبْ وخلِّفْني تذوبُ حُشاشَتي ويَبُــضُّ قلبي مــن قرارتِــه دَما[1]
اذهبْ فلن أشكُو إليك عَواطِفي يومــاً ولــن ألقــاكَ إلا أبْكَمَــا
أرخصتَ حُبِّــي إذْ بَثَثْتُكَ بعضَه فَلْيَبْــقَ مَكْبُوحــاً إذَنْ فَتَكتَّمَــا
إن كانَ بَــثُّ الحبِّ عندك مَأثَما فكذاك عِنْدي سَــوف يغدوُ مَأثَما

* * *

اذهبْ وفي نفسي لِبُعدِكَ حَسْرةٌ والعيــشُ بَعْدَك صَــار صُلْباً عَلْقَما
سَــأنامُ مهموماً وأصْحُو حَائِراً وأهيــمُ في وَادِي الأسَــى مُتألِّمَــا
ويُخيم البــؤسُ المُمِضُّ فلا أرى إلا شَــقَاءً في الحيــاة مُخَيِّمَــا[2]
لكن سَــأكتمُ ما تُكِــنُّ جَوانحِي وأعيشُ مَكْبُوحَ الجَوى مُسْتَسْلِمَا[3]

* * *

واويلتَــاه لقد أهنْــتُ عَواطِفي وحســبتُها عبثــاً يُمَــجُّ مُذَمَّمَا[4]
وأراكَ تَــأبَى أن أكــونَ مُتابِعاً لــك في الغُدوِّ وفي الــرَّواحِ مُيمِّمَا

---

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٢٩م
١- يبض: يرشح، ينز.
٢- الممض: المؤلم من أمضّهُ الألم
٣- الجوى: حُرقة الشوق
٤- يُمَجُّ: يُلفظ

لك مَا تَشَــاء، فما أطيــقُ تَبَذُّلاً   مني ولســتُ أطيــقُ منــك تَبَرُّمَا

لك ما تَشَــاءُ، فلن أرى متنائياً   عني فأرجُــو عَطْفَــه مُسْــتَرْحِمَا

وإذا شَكَوتُ فللسماءِ سَأشْتِكي   أَلَمِــي وأبْــدُو صَابِــراً مُتَبَسِّــمَا

سَأعيشُ عَيشَ الزَّاهِدِين وكانَ لي   أمــلٌ حَطَمْــتُ قِوامَــه فَتَحطَّمَا

أملِي الذي قَدْ كانَ لي هو أن يعيش   شَ الحــبُّ فينَــا طَاهِــراً ومُكَرَّمَا

أمّــا وقَــد أَرْخَصْتَــهُ وأهنْتَــهُ   ورَأيتــهُ إثمــاً لديــكَ مُحَرَّمَــا

فليذهَــبِ الأمَــلُ الــذي أمَّلْتُه   حِينــا وعِشْــتُ بظلّــه مُتَنَعِّمَــا

سَــأصُون عهدَ الحبِّ عَفّاً طَاهِراً   حتى أمــوتَ بِــه شــهيداً مُغْرَمَا

* * *

عاشق المحال*

ضِقْتَ بالقيد فانْطَلِقْ أيُّها الآبِقُ الشَّرودْ[1]
قد تحررتَ فاستَبِقْ للصِّرَاعاتِ مِنْ جَديدْ

* * *

انْطَلِقْ تَصْعَدُ الرُّبَاه ثم تَهْوى إلى السُّفُوحْ
شارداً تَقْطَعُ الحيَاه في التَّعِلَّاتِ والطُّمُوحْ[2]

* * *

انْطَلِقْ تَفَجأُ الخَطَرْ كالذي يَفْجَأُ الرَّجَاءْ
لُعْبَةٌ في يَدِ القَدَرْ تَزْرَعُ الأرضَ والسَّمَاءْ

* * *

جَمْرةٌ أَنْتَ تَتَّقِدْ خَلْفَ سِتْرٍ مِنَ الرَّمَادْ
وهي تَذْكُو بِلا مَدَدْ ثم تَغْدُو إلى نَفَادْ

* * *

أَنْتَ مِنْ طَيْفِ القَلَقْ صَاغَكَ اللهُ والجُمُوحْ
تَعْشَقُ الأيْنَ والحَرَقْ والعَقَابِيلَ والجُرُوحْ[3]

---

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٤٢

١- الآبق: الهارب، الشرود: المطارِد

٢- التعلات: جمع التعلة: ما يُتَّعلل أو ما يُتلهى به.

٣-الأينَ: التعب والإعياء، العقابيل: ما يخلفه المرض من آثار

أَنْــتَ تَرنُــو إلى المُحَــالْ عَاشِــقاً بُعْــدَه السَّــحِيقْ
فــإذا شَــارفَ المَنَــالْ خِلْتَــه مِــنْ لُقَــي الطَّريــقْ[٢]

* * *

ضِقْــتَ بالقيــدِ مِــنْ ذَهَــبْ ضِقْــتَ بالأمْــنِ والقَــرَارْ
فَانْطَلِــقْ ثم لا تَثِــبْ عِشَــتْ للخــوفِ والعِثَــارْ[٣]

* * *

١- اللُّقى: ما طُرح وترك لهوانه على الطريق
٢- العِثار: السقوط

حلم قديم*

طَافَ بِي مُستَطلعاً حُلْمِي القَدِيمْ

فَتَطَلَّعْتُ إليه في وُجُومْ

قلتُ: مَنْ أنْتَ، فأغْضَى خَجلاً

قال لي: حُلْمُكَ في العَهْدِ الوَسِيمْ![1]

قلت! يَا حُلْمُ. متى عَهدِيَ ذاكْ؟

منذُ كمْ يا حُلْمُ قَدْ طافَتْ رُؤاكْ

قال: لَم يَبْعُدْ بأطيافِي المَدَى

قلتُ: ما أبْعَدَ ما مَرّتْ خُطَاكْ

شَدَّ يا حُلْمِيَ ما قَدْ حَالَ حِسّي؟

شَدَّ يا حُلْمِيَ ما أنْكَرتُ نَفْسي!

أتُرى ذاك الذي نَعْرِفُه؟

قال: ما تُبْصِرُ عَينِي غيرَ رَمْسَ [2]!

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٥

١– الوسيم : الحسن الجميل

٢– الرمس: القبر مستوياً مع وجه الأرض.

وَمَضَى عَنِّي فِي يأسٍ عَقِيمْ

سَادِرَ الخَطْوةِ فِي الأرضِ يَهيمْ[1]

قلت: يَا حُلْمِيَ تمضِي مُفْرَداً

ليسَ في الرَّمْسِ سِوىَ قَلْبٍ رَميمْ![2]

* * *

١ – يهيم: لا يدري أين يتوجه

٢– الرميم: البالي (فان)

بعد الأوان*

الآنَ والأيامُ مُدْبِرَةٌ، تُوَلْوِلُ بالنَّواحْ

والأفقُ مخضوبُ الأديمِ، وقد تَأذَّنَ بالرَّواحْ[1]

أقبلتِ ويحكِ تَبْسَمينَ، فأينَ كنتِ لدى الصبَّاحْ؟

وَجهُ الخريفِ، يُطلُّ فاستمعي لإعوالِ الرِّياحْ!

* * *

بَعْثَرتِ أيامَ الشبابِ، فويحَ أيامِ الشبابْ!

لا نستقي إلاّ عَلَى رَنَقٍ وأنفسُنا غِضَابْ[2]

لم تَصْفُ كَأْسُ حياتِنا يوماً ولا لذَّ الشرابْ

والآنَ تَنطلقينَ في لَهَفٍ إليَّ وفي ارتقابْ

* * *

عَيناكِ وَالِهَتَانِ لاَهِفتَانِ كلُّهما دُعَاءْ[3]

وحنينُ مَلْهوفٍ تَطلَّعَ في قُنوتٍ[4] للسَّماءْ[4]

---

* نشرت عام ١٩٤٧م

١ – الأديم: بياض النهار.

٢ –الرنَق: كدر (الماء المتعكر)

٣ – والهتان: متحيرتان من شدة الوجد. لاهفتان: مشتاقتان

٤ – قنوت: خضوع وخشوع.

ويحي فأينَ أنا وأينَ حنينُ أيامِي الظِّماءْ؟!

صَمْتُ الخريفِ يَلُفُّنِي وعليه شَاراتُ المَسَاءْ!

* * *

ذَهَبَ الزمانُ هُناكَ، فامضي أنت عَنِّي

ما عَادَ يُوقِظُنِي نِداؤكِ خِلْسَةً مِن بعد وَهْنِ

ماتتْ مُنَايَ جَمِيعُها، فعَلامَ يَخْدَعُنِي التَّمَنِّي؟

فَرَقَ الزمانُ طريقَنا، فامضِي وحَسْبُكِ ذَاك مِنِّي!

* * *

هَذِي خُطَاي على الطريقِ وتلك وَاجِفَةٌ خُطَاكْ[1]

الريح تطْمِسُها فلا خَطْو ولا أثرٌ هُنَاكْ

شَبَحَانِ قد عَبَرا فلم تشعُر بِهذا أو بذاكْ

تَتْلُوهُما الأشْبَاحُ والأيامُ مَاضيةٌ دَرَاكْ![2]

* * *

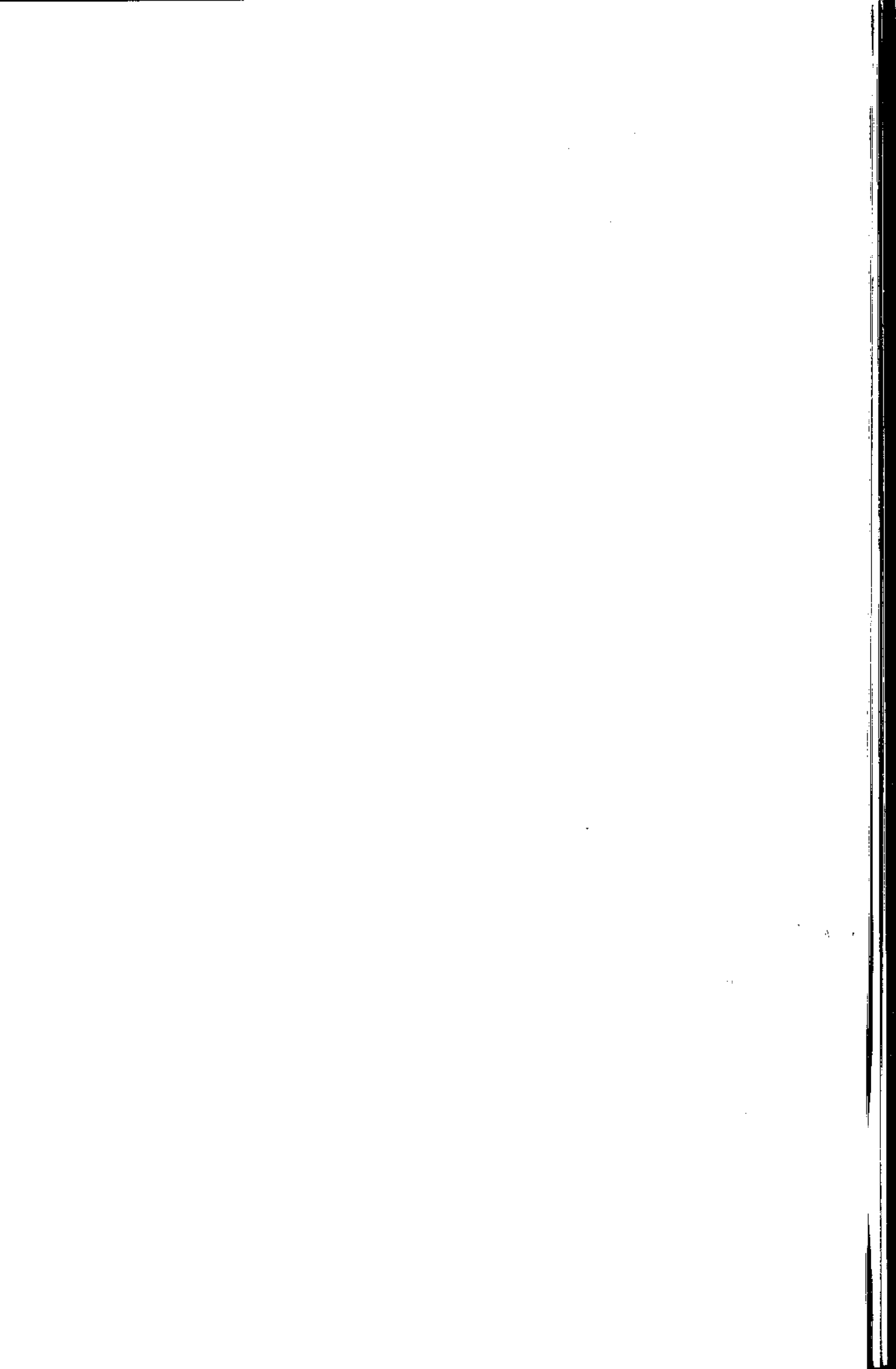
١- واجفة: مضطربة

٢- دَرَاكِ: متتابعة



لكنها نفسٌ سمتْ فتألّمتْ

والماءُ لا يصفُو الحياةَ لشاربِ



سعادة الشعراء*

دَعْني ولا تَنْفُسْ عَليَّ مَواهِبي خُذْهَا وخُذْ ألمي بها وَمَتاعِبي[1]

دعْني فلستُ كما حَسبْتَ مُنعَّماً بمواهب مَلَكَتْ عَليَّ مَذاهِبي

أنتَ الخَلّي فخلّني وعَواطِفي آلمَتْ وُجْدَاني فَلَسْتَ بِصَاحِبي

دَعْني أعيشُ كما يَشاء ليَ الأسَى لا كنتَ مِثْلي. لادَهَتَكَ نَوائِبي

إني شَقِيٌّ لو علمتَ دَخائلي فَدَعِ المظاهِرَ لا تَرُعْكَ جَوانبي[2]

* * *

الشّعرُ من نِعَمِ الحياةِ عَرَفْتُه وعَرَفْتُ فيه البُؤسَ ضَرْبَةَ لازِبِ[3]

الشعر ذوبُ حُشاشَةٍ مَسْفُوكَةٍ ألماً وَوَجْداً في حنينٍ ذَاهِبِ[4]

مَا ضَرَّ قوماً لا تُذَابُ قلوبُهم شِعْراً وَدَمْعاً مثل قَلْبي الذائبِ

* * *

الناسُ تَقْنَعُ بالحياةِ وتَرْتَضي مِنها مَحَاسِنَ شُوِّهَتْ بِمثَالِبِ

والشاعِرُون تَؤزُّهم أدْرَانُها يَبْغُونَهَا لم تَمتزجْ بِشَوائِبِ[1]

---

* نشرت في أيار(مايو) ١٩٢٨

١- لا تنفس: لا تحسد

٢- لا ترعك: لا يثير إعجابك.

٣- لازب: ثابت، لاصق.

٤- الحشاشة: بقية الروح في الجسد

حِـــسٌّ أرقُّ مـــن الأثـــيرِ يُهيجُه   ما قـــدْ تمرُّ عليـــه مَـــرَّ اللاعبِ[٢]

وهي الحيـــاةُ لِمَنْ يَرِقُّ شُـــعورُه   ألم وأن يُكَثّـَـفْ فَلـــذةَ رَاغـــبِ[٣]

* * *

مَنْ لِـــي إذَا جَنَّ الظـــلامُ بَهْدأةٍ   كالهادئـــينَ وَمَـــنْ يُطَمْئِـــنُ جَانِبي

أنـــا في الطبيعةِ مُغرمٌ بِمشـــاهدٍ   تُلْهِـــي فؤادي عـــن أعَـــزِّ رَغَائِبي

الليلُ يُشْـــجِيني بِرائِـــع صَحْوِهِ   وكواكـــبٌ يَغْرُبْن إثـــرَ كَواكبِ[٤]

والبـــدرُ يُوحِي لِي بســـرِّ طوافِه   مُسْتَوْحِشـــاً لم يأتنـــس بِمُصَاحِبِ

والحُسْـــنُ يَدْعُـــونِي إليـــه فأنثني   ويَصُدُّنـــي عنـــه بِصَفْقَـــةِ خَائِبِ

* * *

البائِسُـــون إذا سَـــمِعْتُ أنينَهم   أحسســـتُ أن مصابَهم هوَ صَائِبي

والبَاسِـــمُون إذَا شهدتُ ثغورَهم   هَاجتْ حَنيـــني للصَّفـــاءِ الذَّاهبِ

والبعـــدُ يُؤْذِيـــني وربَّ مفارقٍ   لَـــمْ يُـــؤْذِه يَومـــاً تنائـــي غَائِبِ

وكَرَامـــةٍ لو مُسَّ منهـــا جانبٌ   أصْغَرْتُ عيشـــي عندَهـــا ومَطالِبي

بَلغَ الحِفاظُ بِها القداســـةَ والتُّقَى   وحَـــذَارِ وَهـــمِ خَاطِـــئٍ أو صَائِبِ

* * *

١- تؤزهم: تزلزلهم.، أدراهما: أوساخها

٢- الأثير: المراد النسيم

٣-يُكثّف: من كثف يكثف: يغلظ

٤- الصحو: الهدوء والصفاء.

٥- سمتها: أذقتها

يَاليتَ لي نَفســاً إذا مــا سُمْتُها   عَكَرَ الورودِ استرشــدتْ بتجَارِبي(٥)

لكنَّها نفــْس سَــمَتْ فَتَألَّمتْ   والمــاءُ لا يصفُــو الحياةَ لشــاربِ

دَعْنــي أعيــشُ مُعذَّبــاً متألماً   بمواهبِــي يــا شِــقْوتي بِموَاهِــبي

* * *

سخرية الأقدار*

أغلبُ الظنّ، وقد تدري الظنونُ أنّهـا ألعـابُ دَهْـرٍ سَـاخرِ
مَاهـرٍ يَهْـزَأُ بالمُسْـتهزئينَ يبعـثُ النُّكْتَـة عفوَ الخاطـرِ![1]

* * *

وسَـواءٌ أضحكـتْ سُـمّارَه أم دَهَتْهـمُ بالرزَايـا والمِحـن
فهـو يُلقِـي أبـداً أدوارَه وهـو لا يُسـألُ عن مـاذَا ومَن؟

* * *

يسـمعُ الأنّاتِ تشـتقُّ القلوبَ صارخاتٍ كشـجيّاتِ النُّـواحِ[2]
ليكادُ الصَّخْرُ مِـنْ هَوْلٍ يَذُوبُ وهـو يَلْقاهـا بِهُـزءٍ ومِـزَاحِ!

* * *

---

* نشرت عام ١٩٢٩

١- عفو الخاطر: من غير تكلّف.

٢- تفجرها، الشجيات: مفردها شجية، وهي المحزنة.

الصديق المفقود!*

ابحثُوا لي ما استطعتُم عن صديقْ فلقــد أعيانِــي البحــثُ الكثيرْ!
مخلِــص الطَّبْــعِ له قلــبٌ رَقيقْ خالصُ الإحســاسِ فَيَّاضُ الشعورْ

* * *

إنَّ هذَا القلبَ يَهْفُو أبداَ
لصديقٍ أصْطَفيه مُفْرَدَا
وأُريدُ الودَّ رَطْباً كالنَّدى
غــيرَ أنَّ الكونَ ذُو طَبْعٍ صَفيقْ[1] نَاضبَ الإحساسِ مَمْسُوخَ الضميرْ
يحقرُ الإخلاصَ في القلبِ الشفيقْ ويَــرى الغــدرَ بإعجــابٍ جديرْ

* * *

طالما هِمْتُ بحبِّ الأصدقاءْ[2]
وتغنيتُ بألحانِ الوفاء
سامياتٍ كأناشيدِ السَّماءْ
ســكرةٌ عَجْلى ومــنْ ثَــمَّ أفيقْ فــإذا بي ألْمَــسُ الغــدرَ الحقيرْ
وإذا الإخْــلاصُ خَــلاَّبٌ بريــقْ مِنْ سَــرابٍ أو سَنَا بَرْقٍ قَصِير[3]

---

* نشرت في كانون الثاني(يناير) ١٩٣٠.

١- صفيق: قبيح.

٢- همت: تعلقت.

٣- خلاب: خدّاع ببريقه.

أيهـــذا الكـــونُ إنْ كنـــتَ تُجيبُ!

أيُّ عيـــش في حِمي الغـــدرِ يَطيبُ؟

ثم مـــاذا تَبتغِـــي تلـــكَ القلـــوبْ

غيرَ إحســـاسٍ من العطـــفِ رقيقْ   يَغْمُـــرُ الأرياحَ فَيَّـــاحَ العَبيرْ[1]

فـــإذَا العيـــشُ رَجَـــاءٌ ووُثـــوقْ   وإذا الكـــونُ رِضـــاءٌ وَحُبـــورْ

* * *

إنَّ هـــذا العطـــفَ رَمْـــزٌ للخُلودِ

وغِذَاءُ الـــرُّوحِ في هـــذا الوجُودِ

كلُّ ما فِـــي الكونِ لـــولاه زهيدْ

ورَحيبُ العيشِ لولا العطفُ ضِيقْ   والنعيمُ العَزَبُ مَسْـــلُوبُ النعيمْ[2]

وأرى الإنســـانَ بالعطـــفِ خليقْ   في جحيمِ العيـــشِ والعيشُ جحيمْ

* * *

١- فياح : منتشر

٢- العَزَبُ: البعيد الخفي.

ابحثُــوا لي بـــينَ أطيـــافِ الرجـــاءِ

عن صديقي ذلـــك الطُّهْـــرِ البَراءِ

لـــن أملٌ البحـــثَ لو طَـــالَ العَناءْ

ليس هذا اليـــأسُ باليـــأسِ الحقيقْ فهو لن يُخْبي في نفســـي السَّعيرْ

حِـــيرةٌ تائِهـــةٌ مـــا إنْ تُفِيـــقْ وهي الوحدةُ أو عَيـــشُ القُبورْ

* * *

يا صديقَ الغيبِ يـــا طيفَ الأمَلْ

هَاهُنـــا قلبٌ مـــن الوحـــدِة مَلْ

ينشدُ الإخلاصَ في قلبِ خَضَلْ[1]

وهو لا ينـــوي عِتابـــاً لصديقْ حينمـــا يُخطـــىءُ أخْطَـــاءَ الغَريرْ[2]

فبحســـبي قلبُه الســـمحُ الرقيقْ في فَيـــافي العيـــشِ إلْفـــاً لِـــي سميْر

* * *

١- خَضَلٌ: غضٌّ طري

٢- الغرير: الساذج، عديم التجربة

خراب...!*

أقْفَرتْ شَـيئاً فَشـيئاً كاليباب   غـيرَ آثارٍ مـن النَبْتِ الهَشِـيمْ[1]

باقيـاتٍ ريثمَا يَسْـفَى التراب   فـإذا الكـونُ خَلاءٌ في وُجُـومْ[2]

* * *

كان ينمُـو هاهُنا النَّـورُ صغيرْ   فـوقَ نبـتٍ لَيِّـنِ العـودِ هَزيلْ

فَـذّوي النَّوْر، ومـا كانَ نَضيرْ   إنمـا المُعْـدَمُ يَرضَـى بالقليـلْ!

* * *

زهرةٌ في إثْـر أُخـرى تُحتَضَره   وهُـو يرنُـو ذاهـلاً للزَّهْـرَاتْ

مُلْقَيـاتٍ حولَـه بـينَ الحُفَـرْ   والرِّيـاحُ الهُوجُ تَـدوِي مُعْولاتْ

* * *

وإذا الكـونُ حواليـهِ خَـرابْ   مُوحِشُ الأرجـاءِ مفقودُ القَطينْ[3]

وهو يرنـو في وُجـومٍ واكتئابْ   يكتـمُ العَبْـرَةَ فيـه والأنـينْ

* * *

ويُـدوِّي حولَه صَمـتُ الفَناءْ   حيـث تُمْحَـى كلُّ آثـارِ الوجُودْ

أينَ؟ – لا أينَ! – الأماني والرّجاءْ   طَمَسَ اليـأسُ عليهـا والكُنُودْ[4]

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٢

١- الهشيم: اليابس من كلّ شيء

٢- يَسفى: يتطاير، ومنه: الرّيح السّافية.

٣- القطين: المقيم.

٤- الكُنُود: نكران النعمة من كَنَدَ النعمة: كفرها وجحدها.

فريف الحياة *

بَكَــرَ الخريفُ فلا ورودَ ولا زهورْ   ومَشــى الركودُ فلا نسيمَ ولا عَبيرْ
صَمَتَتْ صَوادحُها فما تشدُو الطيو   رُ بها، وما تشـدُو الجداوُل بالخريرْ
وسَــرَى القَفارُ بكلِّ مُخصِبَةٍ فَما   تجِدُ الخصيبَ بهــا؛ وما تجدُ النضيرْ
والسُّــحبُ طافيةٌ تُغشّي كالسُّتور   وتســيرُ وانيةَ الخُطا ســيرَ الأسيرْ
فإذا الحياةُ يغضُّ رَونَقها الأســي   وإذا القلوبُ بها كَليمٌ أو كَســيرْ[1]

* * *

والحبُّ! ويحَ الحبِّ من هذا البكورِ   غامت عليه ســحابةُ اليــأسِ المريرْ
وذوتْ بجنتــهِ أفانــينُ المُــنى   وخَبا بهيكلِ حُســنه القبــسُ المنيرْ
وسَها عن التقديس والتسبيحِ في   محرابهِ العُبّــادُ مَسْــحُورو الدهورْ
ومَشَوا بساحتِه كما يمشي الخليُّ   مــن الغرامِ فــلا حنينَ ولا شُــعورْ
هانتْ شَــعائرهُ ومَسَّ ســتورهَ   في جُرْأةٍ، غــيرُ المقــدسِ والطَّهورْ

* * *

الأرضُ غــيرُ الأرضِ في دورانِها   لتكادُ مِــنْ فَرْط السّــآمة لا تدُورْ
والريحُ غيرُ الريــحِ في جَولانِها   لتكادُ تكتــمُ في جَوانحِها الزفيرْ[1]

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١ - يَغضُّ: يتراجع. الرونق: الصفاء والحُسن.

والطيرُ غــيرُ الطــيرِ في ألحانِها لتكادُ تَنْعَبُ بالخــرابِ وبالثبور[2]

والنــاسُ غيرُ النــاسِ في آمالِها ليكادُ يجثُــو اليأسُ في تلك الصدورْ

بَكَر الخريــفُ فويلَه هذا البكورَ ودنَا المصيرُ فويلَه هــذا المصيرْ![3]

* * *

١- الجوانح: مفردها الجانحة: ضلع من الصدر والمراد: داخل الصدر.

٢- الثبور: الهلاك.

٣- هنا نداء محذوف: (فياويلهُ)

النفس الضائعة*

أأنِي أنـــا؟ أم ذاك رمـــزٌ لغابرٍ؟ لأنْكَرْتُ مِن نفسي أخصَّ شعائري!

لأنْكَرْتُ إحساسِي وأنكرتُ منْزَعي وأنكرتُ آمالي، وشتَّى خَواطِري[1]

وأنكرتُ شِعْرِي وهو نفسِي بريئةٌ مُمَحَّضـــةٌ مـــن كلِّ خِلـــطٍ مُخامرِ

وتَفْصِلُني عما مضى من مَشاعِري عهـــودٌ وآبـــادٌ طِـــوالُ الدياجـــرِ

وأحســـبُها ذكرى؛ ولكنَّ بُعدَها يخيَّـــلُ لِـــي: أنْ لم تمـــرَّ بخاطِـــري!

* * *

أنَقِّبُ عـــن ماضِيَّ بين ســـرائري فألْمحُه كالوهمِ؛ أو طيف عابرِ[2]

أعيـــشُ بـــلا مـــاضٍ كأنَّـــيَ نَبتَةٌ على السطح تطفُو في مهبِّ الأعاصرِ!

ومـــا غابـــرُ الإنســـانِ إلا جُذورُه فهل ثَمَّ نَبْتٌ دونَ جـــذْرٍ مُؤازِرِ؟

وقد يتعـــزَّى المرءُ عن فقـــدِ قابلٍ فكيفَ عزاءُ المـــرءِ عن فَقْدِ غابرِ؟

* * *

أُنَقِّبُ عن نفسِـــي التي قد فقدتُها بنفسِـــي التي أحيا بها غيرَ شاعرِ!

واطلُبُها في الـــروضِ إذ كان هَمُّهَا تَأمُّلَـــهُ يُفْضِـــي بتلـــك الأزاهرِ

وفي الليل إذا يغشى، وكانت إذا غَفَا تيقَّـــظَ فيهـــا كل غافٍ وســـادرِ

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- منزعي: المنزَع: النزوع إلى الغاية والنزوع: الحنين والشوق.

٢- أُنَقِّبُ: أبحث

وفي الليلةِ القَمْراءِ إذْ تَهْمِسُ الرُّؤى وتُوميءُ للأرواحِ إيماءَ ساحرِ

وفي الفجرِ، والأنداءُ يَقْطُرنَ والشذى يفوحُ، ويُشْجي سَمْعَهُ لحنُ طائرِ[1]

وفي الحبِّ إذ كانت شَواظاً وحُرْقَةً ومَهْبِطَ آمالٍ ومَطْمَحَ ثائرِ

وفي النَّكْبةِ النَّكْباءِ والغبطةِ التي تجودُ بها الأقدارُ جُودَ المُحاذِرِ!

ولكنَّني أيئسْتُ أن ألتقي بها وتاهتْ بوادٍ غامرِ التيهِ غائرِ

سأحيا إذَنْ كالطيفِ ليستْ تَحُسُّه يدانِ، ولا يَجْلُوه ضوءٌ لناظرِ

* * *

١- الشذى : الرائحة، يشجى: يطرب أو يثير إحساساته.

الغد المجهول*

يالَيتَ شِـعْرِي، مـا يُخبِّئُه غَدِي؟ إني أروُحُ مـع الظنونِ وأغْتدِي[1]

وأُجِيـلُ بَاصرتِـي بِهـا وبَصيرَتِي أبغي الهُـدى فيها، وما أنا مُهتَدِ[2]

حـتى إذا لاحَ اليقـينُ خِلالَهـا أشـفقتُ من وجهِ اليقينِ الأسْودِ

وأشـحتُ عنه، ولو أطقتُ دَعَوْتَه وطرحـتُ عني حَيْـرَتِي وتَردُّدِي

فكأنـني المـلاّحُ تَـاهَ سـفينةٌ ويخافُ من شـطّ مريـبٍ أجْرَدِ!

* * *

مَاذا سَـيُولَدُ يومَ تُولَـدُ يا غدِي؟ إنّـي أُحسُّ بِهـولِ هـذا المولدِ!

سَـيصرّخُ الشـكُّ الدفينُ بمُهْجَتي فأبيتُ فاقدَ خـيرَ ما ملكتْ يدي

سـتروغُ مِنْ حولي عواطفُ لم تزلْ تُضفـي علـى بعطفِهـا المُتوددِ

سـتَجِفُّ أزهـارٌ يفـوحُ عبيرُها حَولي؛ وينفحني بِها الأرجُ النّدِي[3]

والمِشْـعَلُ الهادِي سـيخبُو ضَوؤه ويلفُّـني الليـلُ البهيـمُ بمفردِي

* * *

---

* نشرت في ١٩٣٤.

١- ياليت شعري: ليت علمي متحصّل.

٢- الباصرة: قوة الإبصار، البصيرة: قوة الإدراك والفطنة

٣- الأرج: أرج الطيبُ: فاح

ماذا تُخَلّفُ يــومَ تذهبُ ياغَدِي ؟ لاشــيءَ بَعــد الفَقْــدِ للمتفقدّ

«سَــتُخلّفُ الأيــامَ قاعاً صفصفاً تذرُو الرياحُ بها غبــارَ الفدفدِ[٤]

لامُرتَجى يُرْجى، ولا أســف على مــاضٍ يضيــعُ كأنّه لَــم يُوجَدِ

أبداً ولا ذِكْرى تُجَــدّدُ ماانطوى حتى التــألم لا يعودُ بِمَشْــهَدِي!

رَبّــاه إني قــدْ سِــئمت تــردُّدِي فــالآنِ ،فَلْتَقْدُمْ بهولــكِ ياغَدِي

* * *

[١] - صفصفاً: المستوي من الأرض لا نبات فيه. الفَدفدُ: الارض الواسعة المستوية لا شيء فيها

غريب..! *

غريـــبٌ . أجـــل أنـــا في غُرْبـــةٍ وإن حَـــفَّ بي الصَّحْبُ والأقرُبونْ

غريـــبٌ بنفسِـــي ومـــا تنطوي عليـــه حَنايـــا فـــؤادِي الحنُـــونْ

غريـــبٌ وإنْ كَانَ لَمَّـــا يـــزلْ ببعـــضِ القلـــوبِ لقلـــبي حنينْ

ولكنّهـــا داخلتْهـــا الظنـــونُ وجَـــاورَ فيهـــا الشُّـــكُوكَ اليقينْ

غريـــبٌ فَوَاحاجـــتي للمُعـــين وواهـــفَ نفســـي للمُخلصـــينْ

* * *

أكادُ أُشـــارفُ قفـــرَ الحيـــاةِ فأُشْـــفِقُ مـــن هولـــهِ المرعـــبِ

هنالـــك حيـــثُ رُكامُ الفَنـــاءِ يَلُـــوحُ كمقـــبرة الغيهـــب[1]

هنالـــك حيـــثُ يمـــوتُ الرّجاءُ وتثـــوي الأمـــاني كالمُتْعَـــبِ

فأرْجـــعُ كالجـــازِعِ المُســـتطار أُرجّـــي أمـــانيَّ في المَهْـــرَبِ[2]

ولكنّـــه مُقْفِـــرٌ أو يـــكادُ فيـــا للغرِيـــبِ، ولم يَغْـــرُبِ!

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الغَيهَبُ: الظُلمة.

٢- المستطار: الفزِع المذعور

مر يوم *

مَرَّ يومٌ منذُ ما استيقظتُ أمسِ مَرّ يومْ!
نَبأٌ يَأباه وِجْداني وحِسّي فهو وَهْمْ
* * *

مَرّ يومٌ؟ قالتْ الساعةُ مَرَّ، قولُ واثقْ!
أسأَلُ الشمسَ: أحقًّا؟ والقمرَ فيوافقْ!
* * *

أهو يومٌ في الرُّؤى لا في الزّمان والحقيقةْ؟
أمْ تُرى يومٌ طَواه العَقْرَبانِ في دقيقهْ؟ [1]
* * *

كيف مَرّ اليومُ! ما هذا العجبُ كيف مَرْ
تَكذِبُ الأفلاكُ أمْ حِسّي كَذَبَ؟ أمْ سَحِرْ؟
* * *

لم تكنْ فيه حياةٌ أو أملُ أو تَمَتُّعْ
وهو محْسُوبٌ علينا في الأجلِ فهو أضْيَعْ!
* * *

تَحْسُبُ الأقدارُ بالْكمِ فلا هي تُفَرّقْ [2]
بينَ يومٍ مَرَّ أو يومٍ حَلا أو تُحققْ! [3]
* * *

ونُؤديها كما تَبْغي الحسابَ وَهْوَ عُمرْ!
فيه من خِصبٍ وفيه من يَبابٍ وهْي تَذْرُو [4]

* نشرت عام ١٩٣٤

١- عقرب الساعة: المؤشر وفيه كناية عن سرعة انقضاء اليوم

٢- بالكم: أي الكمية لا بالقيمة.

٣- مَرّ: من المرارة ضد حلا من الحلاوة.

٤- يباب: خراب

إلى الثلاثين *

إلى الثَّلاثِين نَصِّي! الرِّكابَ حَثِيثةً يالَيالِ[1]
مَضي من العُمرِ أغْلى اللُّبَابِ فلستُ آسٍ لغَالِ
مَضى من العُمرِ ما يُستَطابُ مِنَ بَهجةٍ أو جَمالِ
مَضى كما جَاء عَهدُ الشَّبابِ عهدُ المُنى والخيالِ
وضَاعَ في غمرةٍ واضْطرابِ ومَرَّ دُونَ احتفالِ
فأسرعي ياليَالِ

عَلامَ مِنْ بَعْدِه تُمْهِلينْ؟ وأيّ غيبٍ تَهابْ؟
وما احتفالٌ بِمرِّ السِّنين؟ من بعدِ مَرِّ الشَّبابْ؟
وما الذي ياليالِ يكونُ بعد اكْتِهَالِ الرّغابْ
يكونُ – وَاحَسْرتَاه – السكونُ عَلى ضفافِ اليَبابْ؟[2]
يكونُ – كالقيد – عَقلُ رزينٌ! يعطُو لشطِّ الصّوابْ![3]
فَي السُوءِ المآبْ[4]

---

* نشرت في آذار(مارس) عام ١٩٣٤.
١- نَصي : اظهري من نَص ينصّ: رفع وأظهر، عّن وحدد.
٢- الرّكاب: ما توضع فيه الرِّجل ، والمراد: الاستعداد والتهيئة.
الحثيثة: السريعة الجادة.
٣- يَعطو: يطلّع.
٤- المآب: المصير

فذلــك العقــلُ رمــزُ القيــودِ ونحــنُ شَــرُّ العُنَــاه[1]

يَزُودُنــا عــن مراقِــي الخُلُــودِ وخَــيرِ مــا في الحَيــاهْ

والطيــشُ رمــزُ الشّــبابِ المُرِيــدِ يَســمُو بنــا عَــن مداهْ

فنحــنُ نَرْنُــو لهــذا الوجــودِ بفتْنَــةٍ وانْتِبَــاهْ

فــلا نُبــالي بِصَــرْفِ الجُــدودِ ولا نَخــافُ الغَــداهْ[2]

فــكلُّ يــومٍ حَيــاهْ

يُضَاعَــفُ اليــومَ منّــي المُصَــاب إنْ لَــم أعِــشْ بالخيــالِ

قَضَيــتُ – واحســرتاهُ – الشّــبابَ كالكهــل في كلِّ حَــالِ

يجيــشُ بالنفــس سَــيْلُ الرّغــاب فــلا يُمَسّــي اعتــدالي

وَوُجْهَــتي في الحيــاةِ الصَّــوَابُ ونظــرتي للمــآل![3]

عصيــتُ أمْــرَ الحيــاةِ المُجَــابُ فــكان رُشْــدي ضَلالي!

فأسْــرِعي ياليــالِ

* * *

---

١ – العُنّاه: مفردها عان: الخاضع الذليل.

٢– بصرف: من صرَف الدهر: نَوائبه وحِدثانه. الجدود: الحظوظ والمراد : فلا يبالي بالأحداث التي يخحطها الحظ لنا.

٣– المآل : المصير والنهاية.

خطا الزمن الوثاب *

خُطَا الزَّمنِ الوثَّـــابِ بعضَ التَّوثُّبِ   إلى أيـــنَ؟ قد أوْغَلْت في غيرِ مَذْهبِ
تَمُرِّيــنَ كالأوهـــام لا أسْــتَبِينُها   وتَمضِـــين عَنّي مَوْكِبــاً إثْر مَوْكِب
وإني كالمخمُـــور قد غَـــابَ وَعْيُه   وكالشَّـــبَح الهَيْمانِ في غيرِ مَطْلَب[1]
تشـــابهت الأبعادُ عنـــدي فما أرى   أمامـــي فَرقاً بـــين نـــاءٍ ومُكْثَبِ[2]
ويـــا رُبَّمـــا أنـــس أمُـــوراً قَريبةً   وأوغل في الماضـــي البعيد المُنَكِّبِ[3]

* * *

خُطَا الزَّمنِ الوَثّابِ. بعضَ التوثُّبِ   طَويت حَيـــاتي بينَ صبُـــحٍ ومَغْربِ
قفي لحظةً؛ أنظُـــرْ إلى الأمل الذي   ضَمْمـــتِ ثَنَاياه علـــى كلِّ مُعْجبِ
وأسْـــتَرْجِعُ المَاضِـــي رُويـــداً وَهينَةً   أُداعبُ فيه الطفلَ أو أضْحكُ الصبِّي[4]
وأسْـــمَعُ أوهـــامَ الفـــتى وخَيالَه   كما يَسْمَعُ المُشْـــتاقُ ألحانَ مُطْربِ
قفي لحظةً؛ أنظُـــرْ إلى الأمل الذي   أبَحْتُ له من مُهْجَتِي كلَّ مَشْـــرَبِ
وغَذَّيتُه نَفْســـي، وقَـــدْ بِعْتُ دُونَه   حَواضِـــرَ أيامِي ومَاضِـــي المُجَرَّبِ

---

* نشرت في تشرين (اكتوبر) عام ١٩٣٧

١– الهَيمان: من هَامَ يهيمُ: خرج على وجه الأرض لا يدري أين يتوجه.

٢– ناء : بعيد. مكثب: قريب.

٣– المنكب: من نكب عنه: عَدَلَ وتنحّى.

٤– هينة: بطيئاً.

قِفي. أنتِ قد جَفَّلتِ مَاضِيَّ فانزوي   ونَفَّــرتِ آمالي وعَمَّيْــتِ مَآرَبِي[1]

* * *

تَمرِّين يـــا أيـــام قَفْــراءَ؟ أمْ أنا   خَويتُ من الإحساس؟ قُولي وأطنبي[2]

وأحْسَـــبُ أنْ لَن تُعْـــربي بِمقالةٍ   إذا كان سَمْعي لا يصيخُ لمُعْرِبِ![3]

* * *

١- جفلت: طردت. مآربي: حاجتي الشديدة

٢- خويتُ: من خوى المكان: خلا مما كان فيه. أطنبي: أطيلي .

٤- تعربي: توضحي وتبيني

نهاية المطاف *

تَنْشُـــدُ السُّـــلْوَانَ من حُبٍّ عَقِيم وتـــرومُ الْبُـــرءَ مـــن دَاءٍ قـــديم

ها هُو السُّـــلوانُ فانْظُـــرْ: أتَرى شَارَةَ الموتِ على تلكَ الرُّسُومْ؟ [١]

شَـــاه في خاطِرِك الكـــونُ وماتْ وتَخَلَّتْ عنـــك أحْلَى الذِّكْرَياتْ [٢]

وبَـــدَا العُمْـــرُ حَزينـــاً عَاطِـــلاً كامِدَ السَّـــحْنَة مَجفُوّ السِّـــمَاتْ

قَدْ مَضَـــى الحُلْمُ، فحقّق في العَيانْ هل تَرى إلاّ خـــواءً في الزَّمَانْ؟ [٣]

وتهاويلُ الـــرُّؤى... يـــا ويحها! غالها الصَّحْوُ فماتـــتْ مُنْذُ كَانْ! [٤]

نَـــمْ قَرِيرَ العـــينِ إنْ كنـــتَ تَنامْ لَفَّكَ الصمـــتُ وغَشَّـــاكَ الظَّلامْ

يَأمَـــنُ الدُّنيَـــا ويَخْلُـــو لِلكَرى مُعْـــدَم الكفينِ مَفْقُـــودَ الحُطَامْ! [٥]

قَدْ خَلا الهيكلُ مـــن وَحْيِ الصنَّمْ وغَدا معبـــودُكَ الأسْـــنَى حُطَمْ [٦]

أتُطيـــقُ الآنَ تَحيـــا مُلْحِـــدَا أم تُـــرى تَخلُـــو لشـــيطانِ النَّدَمْ

ضِقْتَ بالخوفِ ودُنيا الاضطرابْ أتَـــرى الأمْـــنَ هُنا بـــينَ اليبَابْ؟

---

* نشرت في آب (أغسطس) عام ١٩٤٥

١- السلوان: من سلا يسلو: نسيه وطابت نفسه بعد فراقه.

٢- شاه: قبُح

٣- خواء: من خو يخوي: خلا مما كان فيه . والمراد الفراغ

٤- غالها : أهلكها

٥- الحطام: متاع الدنيا.

٦- الأسنى: الأعلى

أيهـا المنكـوبُ في أحْلـى المُنَى الحياةُ الحـبّ والحُـبّ العَذابْ!

ضِقْـتَ بالقيدِ! فها أنـتَ طلَيقْ! ما يُباليـكَ إذن حَـادِي الرَّقيقْ!

فَهُـو يُخلِي في الفيافـي كلَّ مَنْ لا يُسـاوي ثَمَنَ القيـدِ الوَثيقْ![1]

عُمْـرُك الفَـارِغُ كالثِّقْـلِ زَهيدْ ليس فيـه مِنْ طَريـفٍ أو تَليدْ[2]

وهـي الأيـامُ تَقْضِـي مِثْلَمـا تَنْقَضِـي أيـامُ مَأجُـورِ شَـريدْ

أيـنَ أحْلامُكَ بالعُـشّ الجميلْ؟ أيـنَ آمَالُـك في الظّـلِّ الظّليلْ؟

قَـدْ مَضَـى الحُلْمُ ووَلّـى مُوهِنَا فاركـنْ الآن إلى الصّحوِ الطّويْل!

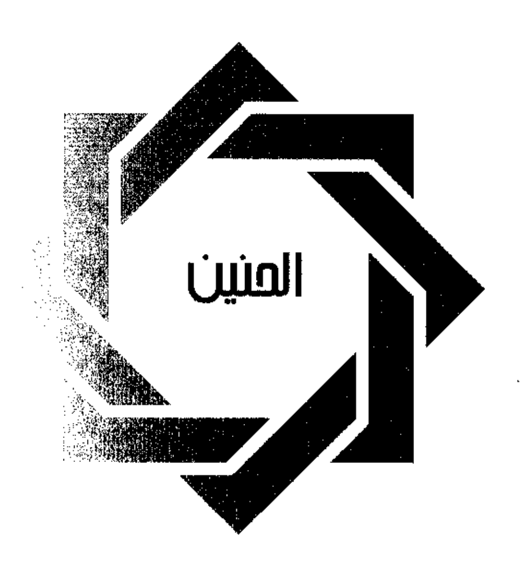
تَمّـضِ يا منكودُ ما كنـتَ تَرومْ ومَشَى السُّـلوانُ في الحبِّ القديمْ

نَـمْ قريـرَ العَينِ واهنَـأ بالكَرى الكَـرى المَيّتِ في القلـبِ العَقيمْ!

* * *

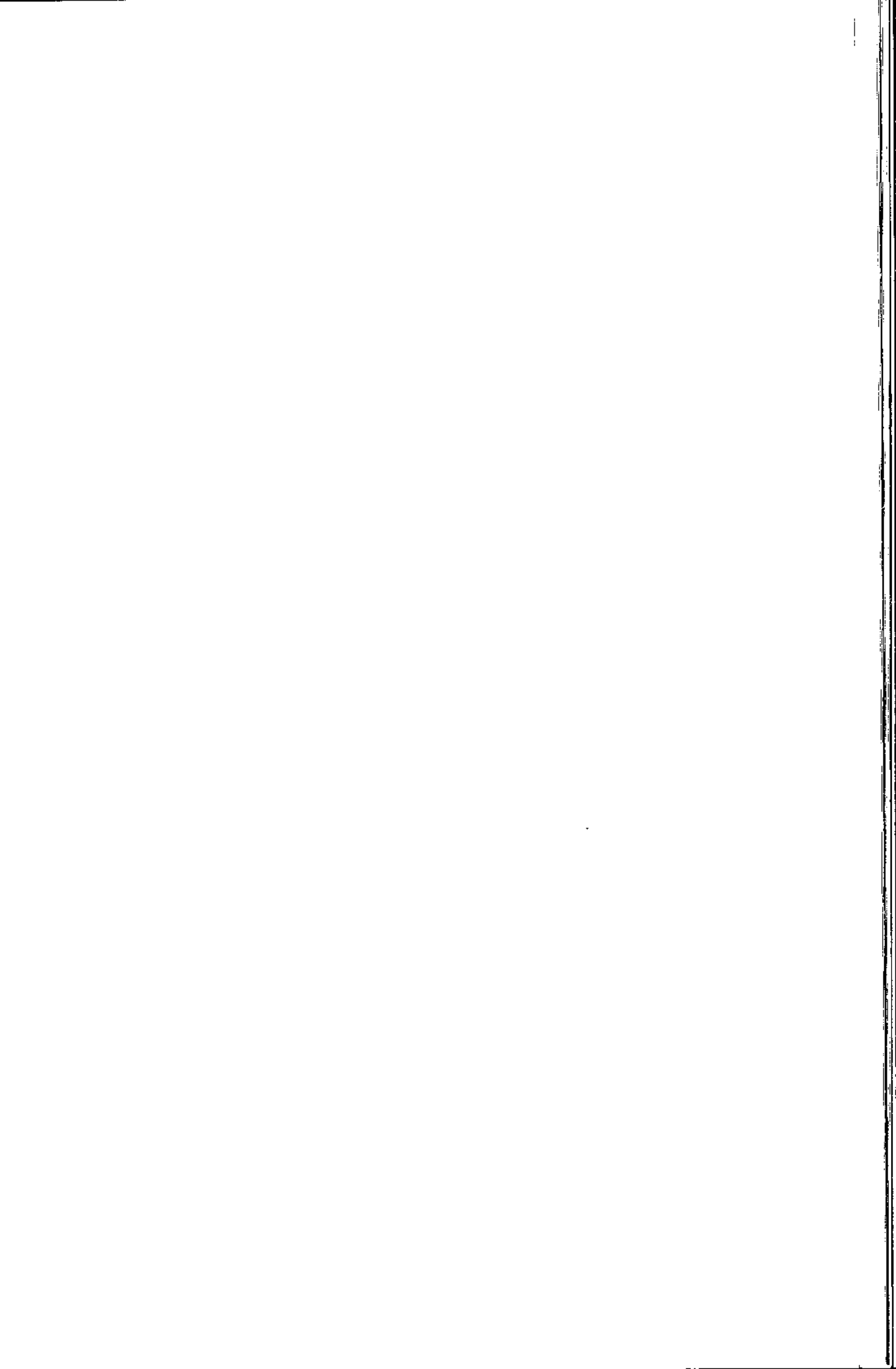
١- الفيافي: الصحراوات

٢- طريف أو تليد : حديث أو قديم



كانَ ، والمؤلمُ في (كانَ) الفَناءُ !

حيثُ لا رُجعي ولا طيفُ أمَلْ



عهد الصغر *

إذا الليـــل جَـــنّ تجيـــشُ الفِكَـــر   ويُـــؤرّقُ جَفْنـــي مَـــرُّ الذّكَرْ[1]
ويخلُـــو فـــؤادِي لأحلامِـــه   فيجعـــلُ منهـــا حديثَ السَّـــمَرْ
وتَخْلُـــدُ رُوحـــي إلى الذكريات   فَتَسْـــري تبَاعـــاً سِـــراعاً تَمُـــرْ
فآنـــاً تُـــؤزُّ وآنـــاً تَلـــذُّ   وآنـــاً تَسُـــوءُ وآنـــاً تَسُـــرْ[2]
هـــدوءٌ طويـــلٌ وصمـــتٌ رهيبٌ   وفي النَّفْسِ أشـــجانُها تَشْـــتَجِرْ
إذا مـــا ذَكَـــرْتُ زمانـــاً تَقَضّـــى   بديـــعَ الرُّسُـــومِ جميـــلَ الأثـــرْ
تـــراءى لِنَفْسِـــي عهـــدُ الصِّغَـــرِ   فتشـــتاقُ نَفْسِـــي لعهـــدِ الصِّغَرْ
لعهـــدِ الرِّضَـــاء وعهـــدِ الحُبورِ   وعهـــدِ الصَّفَـــاء القليـــلِ الكَدَرْ
أنـــامُ وأصْحـــو علـــى ما أشـــاءُ   طـــروبَ الفـــؤادِ قريـــرَ النَظَرْ
وتصحُـــو الغزالـــةُ مِـــن خِدْرِها   فتزهُـــو الـــورودُ ويحيـــا الزَّهَرْ[3]
وتبـــدو الرِيـــاضُ ريـــاضُ القُرى   بوشـــيٍ جميـــلٍ ووجـــهٍ نَضِـــرْ
ويَسْـــجَعُ فيهـــا الحمـــامُ طروباً   وتشـــدُو البلابلُ فوقَ الشـــجرْ

---

* نشرت في كانون الثاني (يناير) ١٩٢٨

١- تجيش الفكر: تتدافع وتتدفق الأفكار.

٢- تؤز: تزلزل بشدة.

٣- الغزالة: يقصد بها الشمس

رعـــى الله عهـــداً جميـــلاً تَولّـــى وخَلّفَنِـــي للأســـى ثُـــمَّ مَـــرْ
وأسْـــلَمني لِصعـــاب الأمـــورِ وكيـــدِ الصُّروفِ وطولِ السَّـــهرْ

* * *

ألا يَـــا رَعـــى الله عهـــدَ الصِّغَـــرِ ألا يـــا لحـــا الله عهـــدَ الكِبَرْ[1]
فذلـــك عهـــدٌ صبَـــوحٌ أغَـــرْ وهـــذا عبـــوسٌ ظَلـــومٌ قَتِـــر

* * *

١ – لحا فلاناً: قبّح فلاناً.

جولة في أعماق الماضي*

حَدِّثـــانِي بمـــا مَضَـــى حَدِّثَانِـــي وأعيـــدَا إليَّ عَهْـــدَ الأمانـــي

واذكـــرُا لي زمانَ عشـــتُ طَروباً لا أُبـــالي بحادثـــاتِ الزمـــانِ

وصِفَـــا لي لياليـــاً قَـــد تَقَضَّـــتْ كنتُ فيهـــا كالحالِمِ الوَسْـــنَانِ

صَوِّرَا لي الريـــاضَ والزهرَ والوردَ ولحنَ الطيـــورِ عَـــذْب الأغانِي

وأعيـــدَا لِمَسْـــمَعِي ذكريـــاتٍ لا تَصَـــدّى لهـــا يـــدُ النّســـيانِ

واسمَحـــا لي بزفـــرةٍ وحَنـــينٍ ليس لي سَلوة سِـــوى التحنانِ[1]

واغفـــرا لي دُمـــوعَ عيـــني فـــإني لأرى الدمـــعَ فـــوقَ كل بيـــانِ

إنّـــه النّفْـــسُ رُقِّقـــتْ ثم سَـــالتْ أو هـــو القلبُ ذَائبـــاً من حنانِ

وأقـــلُّ الوفـــاءِ للعهـــدِ ذِكْـــرى هي خيرٌ مـــن حاضـــرِ الأزمانِ

وقليـــلُ عنـــد التذكّـــر شـــوقٌ ودُمـــوعٌ تُكِـــنُّ أسْـــمى المعاني

إنّ ذِكْـــرى القديمِ للنَّفْسِ تُؤسِـــي وتُهيِّـــجُ الشُـــجونَ للوجـــدانِ

وهُـــو والله بعـــضُ أجزاءِ نَفْسِـــي باعـــدتْ بينهـــا يَـــدُ الحَدَثَانِ[2]

فاذكُـــرَا لِـــي القديمَ همســـاً ورفقاً ودَعَـــاني أجيـــشُ لا تَعـــذِلانِ

---

* نشرت في شباط (فبراير) ١٩٢٨، ثم نشرت في آذار (مارس) بعنوان (سبحة في أغوار الماضي)

١- التحنان: الحنين الشديد، أو الرحمة

٢- الحدثان: الليل والنهار

يـا ديـاراً نَشـأتُ فيهـا صبيًّا وصَحِبتُ الشـبابَ في العُنفُوَانِ

لـكِ مـني تحيـةٌ وسـلامٌ أنـتِ دارُ النعيـمِ والرِّضْـوانِ

فيـك يـا دارُ من صِباي رسـومٌ زاهيـاتُ النقـوشِ والألـوانِ

هـي عندي أعـزُّ من كلِّ شـيءٍ وهـي تبقـى وكلُّ ما عَـزَّ فَانِ

فيـك يـا دارُ من هَواي رَسـيسٌ وألـذُّ الهوى هـوى الشُّـبانِ[1]

* * *

فهو رَوضُ الحيـاةِ في ذلكِ الحينِ وفيـه القُطـوفُ شـتى دَوانِ

وهو وحي من جانـب الله يُوحي وهـو سـرُّ الإلـه في الإنسـانِ

مـا أرى العيشَ غـيرَ حبٍّ بريءٍ مـن ذميـمِ الأهـواءِ والأدْرَانِ

رُبَّ يـومٍ قضيتُـه في حُبـورٍ بـين جمـعٍ من صفـوةِ الخِـلّانِ

دونَـه الدهـرُ والحيـاةُ جميعـاً في رِضـاءٍ ومتعـةٍ وامتنـانِ

* * *

إن تلـك الحيـاةَ شـيءٌ عجيبٌ وهـي النّفْـسُ كلَّ يومٍ بِشَـانِ

كيـف كان الربيـعُ ثوبـاً بهيجاً وهـو اليـومَ نَاصِلُ الألـوانِ؟[2]

ها هـو الروضُ والـوردُ والزهرُ وهـذا الحَمَـامُ مـن فـوق بانِ

لا أرى الـوردَ غير جذرٍ وسـاقٍ أو أُحِـسُّ الغنـاء عذباً شَـجاني

١- رسيس من رسَّ يُرسُّ رسيساً: دخلَ وثبت المراد: أثر باقٍ ثابت.

٢- ناصل الألوان: زالت ألوانه من نَصلَ اللون : زال اللون

إنما النَّفْسُ حين تَصفُو تَراها خلعتْ صَفْوها على الأكوانِ
وهي النَّفْسُ حين تَغْبَرُّ يَبْدُو كلُّ نورٍ أمامها كالدُّخانِ
لو تساوى الإحساس في كلّ آنٍ تتساوى الأشياء في كلّ آنِ
عَمَّركَ الله ما المحاسِنُ إلا صورةُ النَّفْسِ في بديع افتنانِ
وكذا القُبْحُ صورةٌ قد تَراءتْ في خيالٍ فحُققت للعيانِ
فرعى الله عهدَ أُنس أراني صورةَ الكَونِ في جمالِ الحسانِ
وَرَعى الله خيرةً ورفاقاً ورَعَى الله أربعاً ومَغانيَ[1]

* * *

١- أربعاً: مفردة ربع، والرَّبع محلة القوم ومنزلهم وقد يطلق على القوم مجازاً. المغاني: المنازل

الماضي*

شَبَحُ الماضي وما الماضي سوى بعض نَفْسي قَد تولاّه العَدَمْ
يَتراءى كُلّما شَطّ النّوى فإذا الذكرى شُجُونٌ وألمْ
وإذَا الكَامنُ في نَفْسيَ ثَارَ
جَائشاً مُضْطرماً
كالجحيمْ
كُلّما أقْبلَ يومٌ ومَضَى أوْغَلَ الماضي بمجهول سَحيقْ
ذاهباً عني كبرق أوْمضَا ثم دَوّى بعدَه الصمتُ العَميقْ
وهو صمتٌ تحته صَخَبٌ مُثَارُ
وحنينٌ أُضْرِمَا
ووجُومْ
آه لو ملكتُ تصريفَ الزّمْن كيفمَا أهوى وأنّي أَرْغَبُ
لرجعتُ الدّهْرَ للماضي إذَنْ فإذا بي حيثُ كُنّا نَلْعَبُ
ورفاقٌ ليّنُو العودِ صغارٌ
ليس تدري الألَمَا
والهُمُومْ
زَهَرَاتٌ نَضرَاتٌ باسماتٌ تلمح الغبطة فيها والرضاء
مَرحَاتٌ مَشرقاتٌ لاهياتٌ لا تَرى في الكونِ إلا ما تَشَاءْ
فَهْوَ روضٌ زَاهرٌ دَاني الثّمارِ
وَهْيَ نورٌ قد نَمَا
في الكرومْ

تَتَســـاقى الســودّ مِنْ غـــيرِ انْتباه فــإذا العيشُ ســـرورٌ وفَـــرَح[1]
وإذا الكـــونُ ومـــا فيـــه حَيَـــاه تتبـــدّى في نشـــاطٍ ومَـــرَحْ
تلك أيامٌ طويلاتٌ قِصَارٌ
في زمانٍ بَسَمَا
ونَعِيمْ
أينَ مِنّـــي ذلك العهدُ الوَسِـــيمُ أيـــنَ مِنّـــي بعـــضُ أيـــام الصِّغْر
إنّها مَـــرَّتْ كما يهفُو النسِـــيمُ فَيُحَيِّـــي ويُحيِيـــه الزّهَـــرْ
ذهَبَ الماضي وأعيا الانتظارُ
وهو يعدُو قُدُما
كالظّليمْ[2]
أيُّها الماضِـــي رُويـــداً في خُطَاكَ فعـــلامَ اليـــومَ تَمْضي مُسْـــرِعاً
إيـــه مَهْلاً حَسْـــبُنَا طـــولُ نَواكَ وبِحَسْـــبِي مِنْكَ أن لن تَرْجِعَا(١)
لَجَّتْ الذكرى ولم يبقَ اصطبارُ
وستغدُو عَدَماً
لا يدُومْ

* * *

١- تتساقى: تتبادل الشراب
٢- كالظليم: ذكر النعام.
٣- نواك: فراقك.

رثاء عهد *

أأنــا أرثيــك يــا عَهْــدَ المُنَى؟ أأنــا أرْثيــكَ يــا عهــدَ الوَفَاءِ؟
أنْــتَ يَــا عَهْــدُ أأرْثيــكَ أنَا؟ لا. فَلَــنْ أقْوى على هــذَا الرّثَاء!

* * *

لا. ولَنْ يَجــرى على الطّرْس قلمٌ لا. ولَــنْ تُعْلِــنَ هَــذَا كَلِمَاتْ[1]
أرِثَــاء؟ أغَــدَا الماضِــي عَــدَمٌ؟ أو هــل يَغْــدُو رَهينــاً بِفَواتْ؟

* * *

رَبّ . حقّ ذاكَ أمْ هاجِسُ ســوُء يَنْفُــثُ الهــمَّ بِنفســى والقَلَقْ؟
أمضَى عهــدٌ هو العمــرُ الهنيءُ؟ أو حــقٌ ذاك يــاربُّ أحَــقْ؟

* * *

أوَ عهــدٌ هــو رَيّــا مُهْجَتَــين وهُو سَــارٍ في الحَنَايَا والشّعَاب[2]
يَنْطَــوِى كا لــبرقِ في غَمْضَة عينٍ ثم يبــدُو لا ئحاً مِثْل السَّــرَابْ؟

* * *

أوَ يغــدو ذلــك العهــدُ الوســيمُ حُطَماً تَلْهُو به أيــدى الفَنَاءْ؟
زَهْــرةٌ في الكُــمِ تَلْقَاهَــا هَشــيمْ ونعيماً وَادِعاً يَضْحَى شِــقاء[3]

---

* نشرت في أيلول (سبتمر) ١٩٢٩.
١- الطرس: الورق الذي يكتب عليه
٢- ريّا مهجتين: ما يروى قلبين.
٣- الكم: البرعم. الهشيم: عشب جاف.

أهُنَــا مَثْــواكَ يــا عهــدُ. هُنا؟ أهُنا يــا عهد أقْصَــى خُطَواتكْ؟

وإذَا أدْعُــوك يــا عهــدَ المُنَــى لَم تُجبْ دَاعيكَ من بعدِ وَفَاتِكْ؟

* * *

وإذَا قَلّبْــتُ يــا عهــد يــديَّ حســرةً قاتلــةً أو لَهْفَــا

أتُــرى تَرنُــو بإشــفاق إليّ أم تَــرُدُّ الطَّرْفَ عَنّــى صَدْفَا؟[1]

* * *

ولو أني اســطعتُ يا(عهــدُ) الرّثَاءْ بعدَ إذ يَمْضِي من العمرِ ســنينْ

فبــأي القــولِ أســطيعُ الوَفَــاءْ وبــأيّ الدمــعِ تُذْرِيــه العيونْ؟

* * *

أنْتَ جــزءٌ من فؤادِي قَــدْ فقدتُه ما غَنَاءُ القــولِ في صَدْعِ فُؤادْ؟

أو غَنَــاءُ الدّمْعِ في مــاضٍ عَدِمْتُه هو أغْلَى ما أُرَجّــى مِنْ تِلادْ؟[2]

* * *

آه يــا عهــدُ ومــا آلَمَ آهْ وهي ذَوْبُ النفــسِ لا رَجْعُ أنينْ

أُغــربي عَنّــي بعيــداً يــا حَيــاهْ لا يطيــقُ العيشَ منكــوبٌ حزينْ

* * *

١- صدَفا: من صَدَف عنه يَصدفُ: أعرض ومال، وصدف فلان عن الشيء: صرفه.

٢- تلاد: المال الأصلي القديم والمراد: الأصالة

عهد ذاهب؟!*

عُــزَّ حــتى لَتُوقِيــه العيــونُ وتَفْديــه الأمَــانِي والقُلــوبْ

وتَســامَى عَــنْ مَنــالاتِ الظُّنونِ وبَــدَا كالخُلْدِ مَأمــونَ المَغيبْ

لا تَراه النفسُ إلاّ بَاقيا

أبدَ الدهر قويّاً وَاقيَا

طاهرَ الأردَانِ عَفًّا سَاميَا[1]

كالرجاءِ العَذْبِ في الذِّهن الخصيبِ زَاخِراً مَــا إنْ يُرائِي أو يَخيبْ

هُــو عَهــدٌ صِيغَ مِــن حُــبٍّ نَقيٍّ وسُــمُو فوقَ إحْســاسِ البَشَرْ

وَوِقَــاءٌ ســابغُ الغيــضِ نَــديٌّ وحَنــانٌ مِثــلَ أَرْواحِ الزَّهَرْ[2]

صَوَّرتْه ساعةَ العَطْفِ السَّماءْ

ورعتْه يدُ أمْلاكٍ بَراءْ

فغذته بأفاويقِ النَّقَاءْ[3]

وتَجلّــى الغيــبُ عَنْــه فَســفَرَ في جَــلالٍ وجَمــالٍ مُزْدَهِــرْ

كَانَ. والمُؤلِــمُ في (كَانَ) الفَنــاءُ! حيثُ لا رُجْعَــي ولا طيفُ أمَلْ

وَرَمَــاه بَغْتَــةً سَــهْمُ القَضَــاءِ فَتَراخَــى في انحِــلالٍ واضْمَحلْ

---

* نشرت عام ١٩٣٠.

١- الأردان: مفردها رِدن: وهو طرف الكُمّ كناية عن الطهارة العامة.

٢- الغيض: القليل.

٣- أفاويق: مفردها، الفيقة: اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين والمراد به أطيب الطعام وأطهره.

وتَراءى بَعدَ حِينٍ خَالِيَا

من رُوَاءٍ كان فيه حَالِيَا[1]

مُوحِشَ الأرجَاء يبدُو خَاوِيَا

غــاض مِنــه كلُّ أُنْــسٍ وارتَحَلْ   مِثْلَما يَخْلُــوُ من الأهلِ الطَّلَلْ[2]

أيُّهــا العهــدُ الــذي مَــرّ. ودَاعاً   هــو ذوبُ النفسِ أو فيضُ الألَمْ

ســوفَ تَبْقَى أبــدَ الدَّهْرِ شُــعاعاً   في ضمــيري يَتَــراءى في الظُّلَمْ

سوف أبْكيك بُكاءَ الثَّاكِلِ

وأروّيكَ بِدَمْعِي الهاطِلِ

وأُناجِيكَ بِقَلْبِي الذَّابِلِ

طَالَمــا أحْيَــا فَأمَّــا يَنْصَــرْمُ   ذَلــكَ العمــرُ تولاّنــا العَدَمْ

* * *

---

١ - حالياً: مزيناً

٢- الطلل: بقايا الدور

السعادة حديث الأشقياء *

إيــه حَـدِّثْ عــن السّــعادة إني قد مللتُ الشَّــقاء كلَّ الشَّــقاءِ
أطلــعِ الصبُّــحَ في حَديثــك يجلو بعضَ هذا الأســى بفيضِ الضيّاءِ
يا أخــي ضَاقَ بالحــوادثِ ذَرْعي وسَــئمتُ الشَّــكاةَ مِنْ بَأسائي
ومَللــتُ الحديــثَ فيهــا فحدّثْ أنتَ يــا صَاحِبي حديــثَ الهَناءِ
إنَّ بعــضَ الحديثِ يُدنــي الأماني بخيوطٍ - وإنْ وَهتْ - مِنْ رَجاءِ

* * *

أبْعــثُ الطَّــرْفَ في الفَضــاءِ مَليًّا فأرى الأفــقَ ضيقــاً في الفَضاءِ
والصبــاحُ الوديعُ ما عَادَ يَسْــرِي لفــؤادي كمــا سَــرَى بالرّضَاءِ
والربيــعُ الأنيــقُ ما عَــادَ يُذكى فــيَّ وَمْــضَ الحيــاةِ كالأحياءِ
والجمالُ الذي يَشيعُ في النفسِ رُوحاً عــادَ مَيْتــاً مُعَطَّــلَ الإيحَــاءِ
هــي نفسٌ أحالــتْ الكــونَ قَفْراً فتــراءَى مُعطــلاً مِــنْ وَرَاءِ
هــي نفــسٌ تَحطَّمَتْ يالنفســي هي دَائي فلســتُ أرجو شِــفَائي

* * *

يا أخي ثارتْ الشّــجُون وهاجتْ حُرقَــاتِي وأيقظــتْ لأوائِــي[1]
يا أخي هَاتِ مــن حديثك. صَوّرْ في خَيــالي مَلامِــحَ السُّــعَداءِ
كيــفَ يَحيَــون غِبْطَةً وابتســامَا كيــفَ يرضَون للأمانــي الوضَاءِ
أو فأمْســكْ فــكلُّ شــيءٍ مُثيرٌ لشُــجُوني. وخلِّــنِ وشَــقَائي

* * *

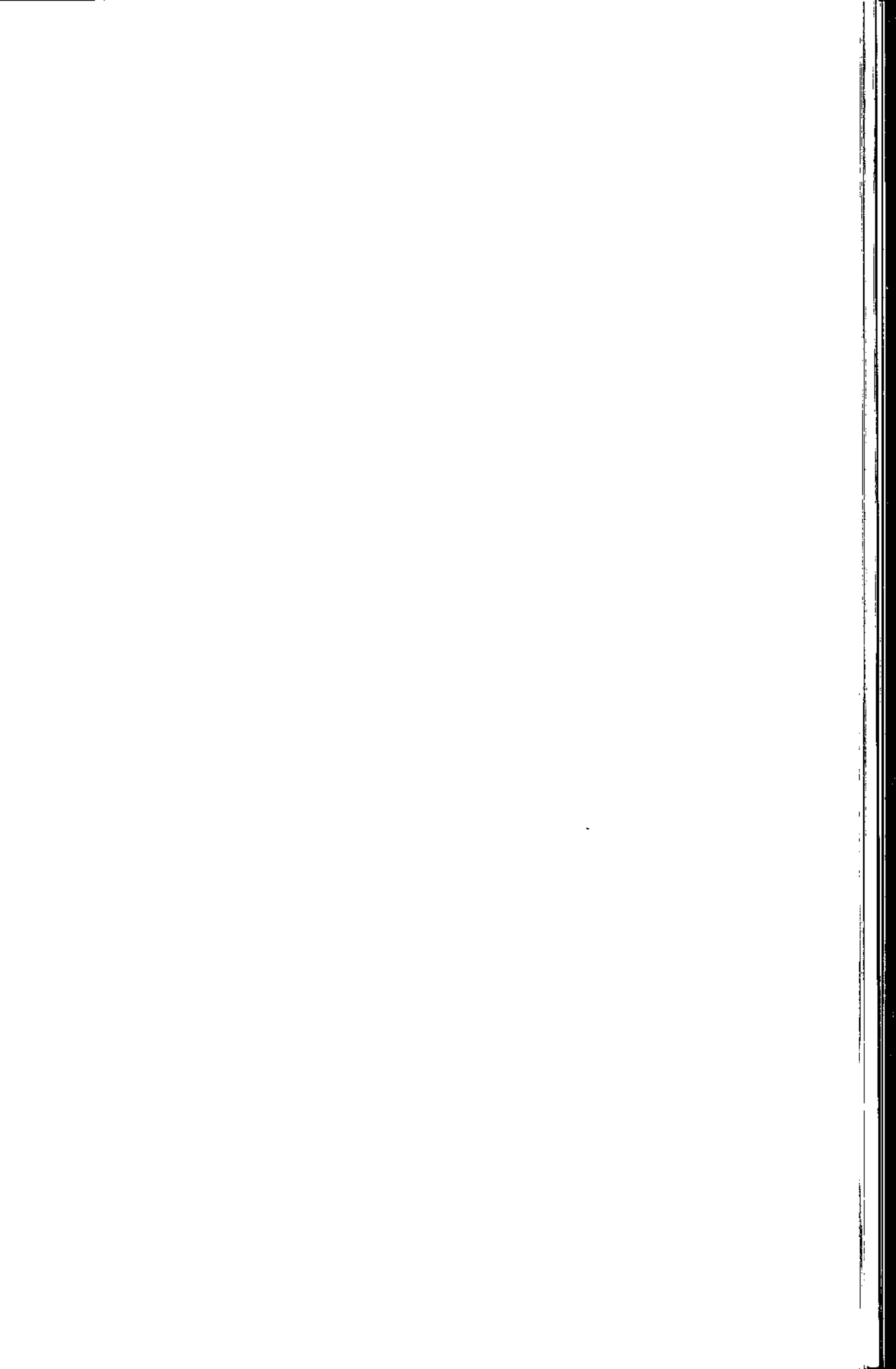
* نشرت في أيلول (سبتمبر) ١٩٣٠

١- الأواء: الشدّة والألم.



ياريف تدعوني إليك ؛ إنني

للمستطار إلى لقائك الظامي



ليلات في الريف *

مِـــنْ حنينِ الفـــؤادِ؛ مـــن خَفَقَاتِه ذلك الشّـــعرُ، من صَدى زَفَرَاتِه

وَســـعَتْه الألفـــاظُ وَزْنـــاً ومَعْنَـــى ثم ضاقـــتْ عن رُوحه وسِـــمَاتِه

هُـــو وحـــيٌ لذكريـــاتٍ حِسَـــانٍ أوْدَعَ الخُلْـــدُ بينهـــا ذِكْرَيَاتِـــه

وليـــالٍ يَـــا حُسْـــنَهَا مِـــنْ ليـــالٍ يَشْـــتَرِيها مُخلّـــدٌ بحياتِـــه

هَمسَ الصمـــتُ بينها هَمسَـــاتٍ خَفَّـــضَ الكونُ عِنْدهـــا خَفَقاتِه

وسَـــرى البدرُ مُغْمِضَ الجفنِ وَسْنَا نَ كَطَيْفٍ مُسْـــتَغرِقٍ في سُـــباتِه

* * *

يـــا جمـــالاً بريـــفِ مِصـــر قريراً هـــادىء البالِ في خُشـــوعٍ وَقُورِ

لســـتُ أنســـى فيكَ ليـــاليَ مرتْ هُنـــاَ أطيـــافُ عهدنـــا المَأثُـــورِ

حينَ نَسْـــرِى والبدرُ يَنْشُرُ ضوءاً فوقَ ســـهلٍ كالعَيْلمِ المَسْجُورِ[1]

بينمـــا الزهـــرُ حـــالمٌ في رُبْـــاه وغُصـــونٍ مُهَـــدَّلاتِ الشُّـــعُورِ

وخريـــرُ الأمـــواه سَـــاجٍ رتيبٌ مثـــلَ شَـــدْوٍ في عَالَمٍ مَسْـــحُورِ

ونَجـــيٌّ مـــن الرِّفـــاقِ بِهَمْـــسٍ وحديثٍ مُسْـــتَعذَبٍ مِنْ سَـــميرِ

قَـــدْ وَعَـــى الدهرُ هـــذه الليلاتِ ووعينَـــا آثارَهـــا الباقيـــاتِ

---

* نشرت عام ١٩٣٣

١- العَيلَمُ المسجور: البحر المملوء

فهي ذِكْــرى تَوشَّــجَتْ بنفوسٍ حانيــاتٍ لطيفِهــا رَاجِفَــاتِ[3]

ســوف تُعييه رُقْيــةٌ مــن خُلُودِ عوّذَتْهــا الفنــاءَ والحَادثات.![4]

هذه مَسْــكَةٌ مــن الأبــد البَاقي المعهــودِ قبــلَ خَلْــقِ الحيــاةِ

ذَخَرَتْهــا الأحقابُ حــتى اجتمعْنَا فأبيحــتْ فمالَهــا من فَــوَاتِ

* * *

١- ساج: ساكن هادئ.

٢- نجيٌّ: من النجوى: الحديث الخافت بين الرفاق.

٣- توشجت: ارتبطت برباط قوي.

٤- عوّذها: حصنتها

العودة إلى الريف *

مَهْدَ الرَّجَاءِ ومَهْبِطَ الأحلامَ وطَنى عليك تَحِيّتي وسَلامي

يا ريف فيك من الخلودِ أثارَةٌ تنسابُ في خَلَدي وفي أوْهامي[1]

وتردُّ إحْسَاسي إليك إذَا خَلَتْ نفسي إلى الآمالِ والآلامِ

وكأنّني المسحورُ يَقْفُو سَاحِراً في بُهْرةٍ كالطائفِ النّوامِ![2]

* * *

إني فقدتُكَ في الطفولةِ غافلاً عَمّا حَوَيتَ من الوُجُودِ السّامي

لكن وجدتُك إذ كبرتُ بخَاطري رمزاً أُحيطَ بغَمْرةِ الإبهامِ

وتكشَّفتْ نَفْسي فلُحتُ كأنما نَفْسي وأنْتَ جُمِعْتُما بتُؤامِ[3]

ووجدتُ أَحْلامي لديكَ وَضيئةً لم تُبْلِ جِدّتَها يدُ الأيامِ

واليومَ عُدتُ إليكَ أَحْسَبُ أنني طيرٌ يؤوّبُ بعدَ جَهدٍ دَامِ

يا ريفُ تَدعُوني إليكَ؛ وإنني للمستطارُ إلى لقاكَ الظّامي!

* * *

هذا الهدوءُ كأنّما هُو عَالَمٌ في الوهمِ، لَمْ يَتَبَدَّ للأقوامِ

وكأنّه الحُلُمُ الجميلُ يَحوطُهُ صمتٌ كصمتِ العابدِ المُتسامي

وتُحِسُّ بالسِّرِّ العميقِ تَخالُهُ يُضْفي على الأيقاظِ والنُّوامِ

---

* نشرت عام ١٩٣٣

١- أثارة: بقية

٢- في بهرة: في دهشة.

٣- بتؤام: التوم: الصَّدَف، التُؤامية: الدُّرَّة

ويلوحُ في وضـــحِ النهارِ ويَنْطَوِي   ما بينَ طيـــاتِ الظَّـــلامِ الطّامِي[1]
هو ذلك السِّـــرُ الـــذي مِفْتَاحُه   ضُمِّـــنْت عليـــه جَوانِـــحُ الأهرامِ

* * *

إني أجـــولُ بِخاطـــرٍ مُتنقـــلٍ   في حيثمـــا امتـــدَّ البســـيطُ أمامِي
فـــإذا مَواكِـــبُ للجمـــالِ وَديعةٌ   جمَعَـــتْ طرائفَهـــا يَـــدُ الإلهـــامِ
للطيرِ فيهـــا، للأزاهـــرِ، مَوْكِبٌ   للنـــاسِ، للحشـــراتِ، للأنْعـــامِ!
متآلفين، سَـــرى الرِّضَا لنفوسِهِم   فيما اغْتَذَوا من مَشْـــرَبٍ وطَعامِ!
كلُّ يرجّـــعُ للطبيعـــةِ لَحْنَـــه   في ذلك الوادِي الخصيـــبِ النَّامِي
وهُنـــا الطبيعـــةُ كالغريـــرة إنمـــا   وَرِثَـــتْ وقـــارَ أُبـــوّةٍ مُتَـــرامِ![2]
تَلْهُـــو، ولكـــن في بـــراءةِ طِفْلةٍ   مـــن نَسْـــلِ آلهةٍ غَبَـــرْنَ كِـــرَامِ!
عَبَدتْهـــم الأوهـــامُ في غَمَراتِهَـــا   وانـــدسَّ بعضُ الوهـــمِ في الأفهَامِ
وتَوارثَتْـــه طبيعَـــةٌ خَلـــدَتْ بهـــا   مصـــرٌ علـــى كَـــرٍّ من الأعـــوامِ
يا ريفُ مِصَر، وأنت سِـــرُّ بَقائِها   اســـلمْ، فَدَتْكَ مَواهِبِي وحُطَامِي.

* * *(١)

١- الطامي: الشديد.
٢- الغريرة: الساذجة من غير تجربة.

الليلات المبعوثة*

بعد عام كاملٍ من الليلات الأولى عاد الشاعرُ إلى الريف، فقضى فيه ليلات مثلها، في جوٍّ نفسي مُماثل، وبين رِفاق هم الرفاقَ، وكان عدد الليلاّت الأولى والثانية مُتحداً.

أَهُـو البعـثُ ياليالـي الخُلودِ؟ أمْ تُـرى أنتِ نَفْخَـةٌ من جديدِ؟

أم تُـرى صـورةٌ منـك صِيغتْ بـين وَحـي الإِلْهـام والتجويدِ؟

يـا ليالّي مـا أراكِ سِـوى أنتِ كمـا كنـتِ مـرة في الوجودِ!

ها هُنـا والزمـانُ يَحْلُم وَسْـنَا نَ سـعيدٌ لهـا بِحُلْـمٍ سَـعيدِ!

ورَنَـا البـدرُ في حَيـاءٍ وَديـعٍ وهـو راضٍ رِضـاءَ طفـلٍ وَليدِ

ورِفاقـي هـم الرّفاقُ، ونَفْسِـي هي نفسِـي، وعَالَمي؛ وعهودي!

مـا أرى مَعْلَمـاً تغيّر أو رَسْـماً مَحَتْه يـدُ الزمـانِ الكَنُـودِ[1]

أنـتِ ليلاتُنـا! فَقُصّـى عَلينـا كيـف أفْلَتّ من زمـانِ القيودِ؟

* * *

قَـدْ تسـللنَ خِفْيـةً في الظلامِ بينما الدهـرُ سَـادِرُ الأوهامِ![2]

ثم وَافينَنَـا وهُـنّ سُـكَارَى حالمـاتٍ أَغْرِقْـنَ في الأحـلامِ

هامسـاتٍ لَنا. لقد بُعِـثَ العَهْدُ فهيـا مِـن كُلّ لَهفـانَ ظَـامِ[3]

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الكنود: يذكر المصيبات وينسى النعم.

٢- سادر: لا يهتم ولا يبالي بما صنع والمراد حائر الأوهام

٣- اللهفان: المتحسر.

فأجبنَا دُعاءَهنَّ سِراعاً وخلَعْنا دُنيا الحِجا والحُطامِ[1]
ورقينا مَدارجَ الخُلْدِ والكَونُ مُسَجًّى في غَفْلَةٍ وظَلامِ
ها هُنا كنتُ منذُ عامٍ! ولكن يا لنتفسي! فها هُنا أيَ عامِ!
ما أرى للزمانِ رسماً! فهذا كلُّ شيءٍ هُنا كرمزِ الدَّوامِ
إيه ليلاتِنا، أعيدي علينا قصة الخُلْدِ، فالأماني ظَوامِ[2]

* * *

خَيَّمَ الليلُ في خُشُوعٍ رَهيبٍ غير لمحِ الرؤى، وخَفْقِ القُلوبِ
وسَرينا نرتادُ سِرّ الليالي وهي تُفْضِي بِسرّها عجيب!
ومَتاعاً مِنَ الحياةِ نَفيساً ضَمّنَتْه آلاف عهدٍ خَصيبِ
قَد رَشَفْنَا خلاصةً منه تُغْني عن حياةِ الورى وعيشِ الشُّعوبِ
وسَرى في النفوسِ معنىً جديدٌ عَبَّرَتْ عنه بالغِناءِ الرتيبِ
وتسامتْ أرواحُنا في نَجاءٍ وتَهادتْ قُلوبُنا في دَبيبِ
تلكَ ليلاتُنا، وهذا صَدَاهَا إيهِ ليلاتِنا؛ اخْلُدِي، لا تغيبي

* * *

١- الحجا: العقل (الإدراك والفطنة)، الحُطام: متاع الحياة.
٢- ظوامئ: مفردها ظامئ وهو العطش الشديد

ريحانتي الأولى
أو
الحرمان *

ريحانـــتي الأولى وَرَوْحح شـــبابي أئذا دَعْوتُ سَـــمِعْتُ رَجْعَ جَوابِ
أنا في الجحيـــمِ هُنا وأنـــتِ بجنَّةٍ مِنْ رَوْحِ إعْجابٍ ورَيْقِ شَـــبابِ[1]
أنا في الجحيمِ وأنـــت نَاعمةُ المُنَى خَضْـــراءُ ذاتُ تَطلّـــعٍ وطِـــلابِ
أنا لا أُريـــدُكِ هاهنـــا في عالَمِي إني أُعيـــذكِ مِـــنْ لَظـــىً وَعذابِ
لَكِنَّهـــا الذِّكْرَى تثـــورُ بِخاطِري مَجْنُونَـــةً حمقـــاءَ ذاتَ غِـــلابِ

* * *

عَيْنِـــي رَعَتْكِ وأنـــتِ نَابتَةٌ فلم تَغْفَـــلْ ولم تَفْتُـــرُ ولم تتألَـــمِ
وتَعَهَّدَتْـــكِ يَـــدِي وأنـــتِ نحيلةٌ وغذَاكِ من نَفْسِي الحَنانُ ومِنْ دَمِي
فَنَمَوْتِ والآمالُ حَوْلك تَنْتَشِـــي وتَهُـــمُّ رَاقِصَـــةً وتَهْتِـــفُ بالفَـــمِ
حتى إذا أَيْنَعْتِ وانطلقَ الشَّـــذى ألفيـــتُ نَفْسِـــي في صميـــمِ جَهنَّمِ
مُلْقىً هُنالـــك لا أحُسُّ ولا أرى إلاَّ الشُّـــواظَ وكلَّ داجٍ مُعْتـــمِ[2]

---

* نشرت في أيلول(سبتمبر) عام ١٩٣٧

١-رَيقَ: من الرَّوق: أول الشيء، روق الشباب: أوله.

٢- داج معتم: شديد الظلمة.

بيـــني وبينـــكِ شُـــيَّةٌ لا تَنْتَهي   أبـــداً أُقـــارِبُ حَولَهـــا وأُباعِـــدُ

هي شُـــقّةُ النفسِ الخَرابِ، وإنّها   لمجاهـــلٌ لم تُكتشَـــفْ وفَدافِـــدُ[1]

الشـــمسُ فيها لا تُطِـــلُّ ومَا بِها   إلا الرواكِـــدُ والظَّـــلامُ البَـــارِدُ

أنا لَسْتُ سَـــالكهَا وأنت حَفيةٌ   أن تَجْنُبي عَنْهـــا ونَجْمُك صَاعِدُ[2]

فـــإذا الـــذي بَيني وبينـــكِ كلُّهُ   ذِكْـــرى تُطِـــلُّ برأســـها وتُعـــاوِدُ

* * *

وأراكِ مِـــنْ خَلل الغيومِ أسِـــيفةً   إذْ تَذْكُريـــن رِعايـــتي وجُهـــودِي

وتَريْـــنَ حَاضِرَنـــا وَغابِرنَا معاً   وتُراجعـــينَ مَواثقـــي وعُهـــودِي

نَفْســـي فداكِ فلا أراكِ شَـــجيّةً   تُرقـــي الغُضُـــونُ لوجهِـــكِ المَعْبُودِ

وقفٌ عليـــكِ تَطلُّعـــي وتَلهُّفي   وقفٌ عليـــكِ قَصائدي ونَشـــيدي

لكـــنْ أُعِيذُكِ خَطْـــرةً في عَالَمي   إنّـــي أُعيـــذُكِ وَحْشَـــتي وكُودي

* * *

١- فدافد: أرض واسعة لا شيء فيها.

٢- حَفية: مهتمة

عبادة جديدة؟! *

لـــكَ يـــا جمـــالُ عبَـــادتي لـــك أنْـــتَ وَحـــدَكَ يـــا جَمالْ
تعصـــى تعاليـــمُ الطُّغَـــاة، أو الهُـــدَاة علـــى ضَـــلالْ
ويُخالَـــفُ التشـــريعُ جهـــراً أو خَفَـــاءً في احتيـــالْ
وتُجَانَـــبُ الأديـــانُ أو تُنْســـى وتُهْجَـــرُ عَـــنْ مَـــلالْ
وأراكَ وَحـــدَك يـــا جمـــالُ تَلقـــى الخضـــوعَ والاحتفـــالْ
والحـــبّ والإيمـــانَ مِـــنْ كلّ الأنـــامِ بـــكلّ حَـــالْ!

* * *

المـــالُ مَعبـــودُ الحيـــاة المُسْـــتَذلُ قُـــوى الرجـــالْ
هـــو بعـــضَ قُربـــان النفـــوس إلى مَقامـــك في ابتهـــالْ
وأرى الألوهـــة فيـــكَ تُوحـــي بالعبـــادة في جَـــلالْ
مـــا أنـــتَ إلا مظْهَـــرٌ منهـــا تُوشّـــيه الظّـــلالْ[1]
فـــإذا عَبدتُـــكَ لم أكُـــنْ يا حُسْـــنُ مِـــنْ أهـــلِ الضَّلالْ
بـــل كنـــتُ محمـــودَ العَقيـــدة في الحقيقـــة والخيـــالْ
أعْنُـــو لِمـــنْ تَعنُـــو لَـــه كلُّ النفـــوسِ بـــلا مثَـــالْ[2]
مُتَفرّقـــاً في الكَـــونِ في شَـــتى المَرائـــي وَالخـــلالْ
فـــإذا تَركَّـــزَ هـــا هُنـــا بَطُـــلَ التَّمحُّـــلُ والجِـــدّال![3]

* * *

---

* نشرت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٧

١- توشيّة: تنقشه وتُحسنه من وَشَى الشيء وشياً: نمقه ونَقشه وحَسنه.

٢- أعنو: أخضع.

٣- التمحل: الاحتيال

تسبيح...! *

لعينيك تَسبيحي وهَمْسُ سَرائري وفي صَمْتِها المُوحِي مرَادُ خَواطِري
تُطلُّ علـــى الدنيا فتوقـــظُّ قَلْبَها وتمنحُ هـــذا الكونَ إيمانَ شَـــاعرِ
وتَسْـــكُبُ في ألحانـــه عبقريـــةً من الفـــنِّ لم تخطرْ بآمالِ ســـاحرِ
وتجلُـــو مـــن الدُّنيا عميـــقَ فنونها وتكشـــفُ في أطوائها كلَّ خاطرِ
ومِـــنْ عجبٍ تُوحِي بفتنةِ ســـاحرٍ وتَهْمِـــسُ في صمتٍ بتقديسِ طاهرِ

* * *

لقد شَـــفَّ هذا الوجهُ حتى كأنه خواطِـــرُ فنـــانٍ نَـــديِّ المشـــاعرِ
وقد رقَّ هذا الجســـمُ حتى كأنه هَواتفُ حُلْـــمٍ ناعماتِ البَشَـــائرِ
وقد رقَّ هـــذا الصوتُ حتى كأنه أغاريدُ لَحْنٍ في الســـماواتِ عَابرِ
وقد خفَّ هـــذا الخَطو حتى كأنه مـــرورُ نســـيمٍ بالأزاهـــيرِ عاطرِ
وخِلْتُكِ طَيفاً هامساً في ضمائري وإنـــك طيـــفٌ هَامـــسٌ للنواظرِ!

* * *

لأيقظتِ في نفسي ســـعادةَ شاعرٍ وراحـــةَ موهـــوبٍ وغِبْطَـــةَ ذَاخرِ
وأشـــعرْتني معنى الطلاقَة والرِّضَا ومعـــنى الغِنى عـــن كلِّ آتٍ وغابرِ
مَدَى فيه من أفـــقِ الخلودِ مدارجُ رَقَيْـــتُ إليها في سَـــنى منك باهرِ
سَـــبقتُ به خَطوَ الحيـــاةِ لِنَهْجها وجُـــزْتُ بـــه آفاقَهـــا في المَعَابـــرِ
فيا لـــكِ مِن هَـــادٍ سَـــنِيِّ المنائرِ ويَـــا لي من سَـــارٍ وَحِـــيِّ البَصَائرِ

* * *

---

* نشرت في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٣٨

في السماء *

أيقظـــتِ أنبلَ ما يُجِـــنُّ ضَميري   وبعثتِ جوهـــرَ عُنْصري المَطْمُورِ[1]

فإذا أنـــا الرُّوح التي تَســـمُو بها   دُنيـــا الحيـــاة لأوْجهـــا المنظـــورِ

وإذا أنـــا النُّـــورُ الـــذي تجلُو به   تلك الحيـــاةُ غَياهِـــبَ الدّيجورِ[2]

وإذا أنا الشَّـــوقُ الذي يَحدُو لها   فتَغـــذُّ بـــين مَســـالِكٍ وصخـــورِ

وإذا أنا الشّـــعر الذي تَشْـــدُو به   في نَشْـــوةٍ وتجيـــش بالتعبـــيرِ

وإذَا أنا الخـــيرُ المُمَحّضُ والهدُى   والحـــبّ والنّجوى خِـــلالَ ضَميرِ

* * *

فَبأى معجزةٍ كَشَـــفْتِ ضَمائري   وجَلَـــوْتِ كلَّ مُحَجّبٍ مَسْـــتُورِ؟

وغَـــذَوتِ فيَّ فَضَائلـــي ورَوَيْتِها   حـــتى أطلّـــتْ بالجَـــنى المَذْخُورِ؟

وجعلتِ من زَادِ الخلودِ مَطامِحي   وجعلتِ أشـــواقِي صـــلاةَ طُهورِ؟

بالحبّ والحُسْـــنِ الوديـــع ونظرةٍ   بيضـــاءَ صافيـــةٍ تُريحُ شُـــعوري

وتُحيلُ أشـــواقي رِضـــاءَ مُخلَّدٍ   راضٍ بِخُلْـــدٍ لم يُشَـــبْ بِقُصُـــورِ

وتُحيلُـــني رُوحاً تَرِفُّ على الوَرى   كالعطف، أو كالحـــبّ، أو كالنُّورِ

فإليكِ تَسْـــبيحي وهَمْسُ سَرائري   وإليكِ غايـــةُ غِبْطَتِي وسُـــروري

---

* نشرت في تشرين (أكتوبر) ١٩٣٨

١- يُجِنُّ: يستر.

٢- الدَّيجور: الظلام.

بين عهدين *

طِرْتِ عَنْ عُشّــكِ الْجَميلِ فَأْوبي شَدَّ مَا اشْــتَاقَ طَيْرُهُ أَنْ تَؤُوبي![1]
كانَ دِفئــاً وَكانَ مَرْتَــعَ صَفْــوٍ فكَسَــاهُ الصّقيعُ ثَوبَ القُطُوبِ[2]
مُنْـــذُ غَادرْتِــهِ قَــدِ انْتَثَرَ الحبُّ وطَاحَــتْ بــه رِيَــاحُ الْهُبُــوبِ
وتَخَلّـــتْ عِنَايــةُ اللهِ عَنْــهُ فَهُوَ في وَحْشَــةِ الغَريــبِ الكئيبِ
وَلَيَاليــهِ شَــاجِياتٌ حَيــارَى يَتَرَامَيْــنَ حَوْلــهُ مِــنْ لُغُــوبِ[3]

* * *

عُــودِي إلى الْعُــشِّ عــودِي وَرَفْرِفِــي مِــنْ جَديــدِ
وَرَنِّمِــي بالأغَــانِي في جَــوِّهِ وَاسْــتَعِيدِي
وَأَدْفِئِــي بالأمَانِــي مَــا مَسَّــهُ مِــنْ جُمُــودِ
وَتَمْتِمِــي بالتَّعَاوِيــذِ وَالرُّقَــى وَالنّشِــيدِ
وَأَطْلِقِــي فِيــهِ لَحْنــاً يَشْــدُو لِحُــبٍّ سَــعِيدِ
وَيَطْــرُدُ الْيَــأسَ عَنْــهُ بالشَّــدْوِ والتَّغْرِيــدِ

* * *

* نشرت في شباط (فبراير)١٩٤٢

١ - اللغوب: التعب مع الإعياء.

طَـــالَ انْتِظَـــارُكِ وَهْنـــاً فِي ظُلْمَـــةٍ وَكُنُـــودِ[1]
وَالرِّيـــحُ تَعْبَـــثُ فيـــهِ بـــكلِّ غـــالٍ مَجيـــدِ
وَكلُّ خَفْـــقِ جَنَـــاحٍ أوْ رَجْفَـــةٍ مِـــنْ بَعيـــدِ
يَخَـــالُ فِيهـــا مَآبـــاً بَعْـــدَ النَّـــوَى وَالشُّـــرودِ

* * *

عُـــودِي إِلى الْعُـــشّ عُـــودِي وَرَفْرِفـــي مِـــن جَديـــدِ
أضْنَـــاكِ طُـــولُ الشُّـــرُودِ وَلَـــذَّةُ التَّصْعيـــدِ
عُـــودِي إِلى الدِّفْءِ فِي عُشّـــكِ الأمِـــينِ الـــوَدُودِ
الْعُمْـــرُ يَمْضـــي فَهَيّـــا نُعيـــدُهُ لِلْوُجُـــودِ

* * *

[1] وهَناً: ليلاً ، كنود: المراد في انقطاع

نداء الخريف *

تَعالَيْ. أوْشَكَتْ أيامُنا تَنْفَدْ
تعالَيْ. أوشكتْ أنفاسُنا تَبْرُدْ
بلا أمَلٍ، ولا لُقْيَا، ولا مَوْعِدْ
* * *

تعالَيْ. هذه الأيامُ لا تَرْجِعْ
ولا تُصْغي لنا الدُّنيا ولا تَسْمَعْ
ولا تُجْدي شَكاةُ الدَّهْرِ أو تَنْفَعْ
* * *

كِلانَا ضَائِعٌ في الكون مَفْقُودُ
فَلا هَدَفٌ له في الأرض مَشْهُودُ
ولا أملٌ لَه في الغيبِ مَوعُودُ
* * *

ألا مَا أحْمَقَ اثنَيْنِ غَرِيبَيْنِ!
إذا عَاشَا – مَعَ الحبِّ– فَريدَينْ!
وهذا الكونُ لا يَدْري الشَّرِيدَيْنِ!
* * *

نَعَمْ قَدْ أدْمَتْ الأشواكُ قَلْبَيْنَا
وَسدَّتْ هذه الدُّنيا طَرِيقَيْنَا
ولكنْ أينَ مَاضي حُبِّنَا أيْنَا؟
* * *

---

* نشرت في تشرين الأول(أكتوبر)١٩٤٣

تَعالَيْ نُحْيِ بالأشْواقِ مَاضِينَا
ونَبْعَثْ في حِمَى الحُبِّ لَيَالِينَا
فهذا الحبُّ إذْ نُحْيِيه يُحْيِينَا
* * *

تعالَيْ لَمْ يَعُدْ في العُمْرِ مُتَّسَعُ
تعالَيْ لم يَعُدْ في الكَوْنِ مُنْتَجَعُ[1]
وغُولُ الدهرِ لا يُبْقِي ولا يَدَعْ
* * *

تعالَيْ! نَحنُ بَعْثَرْنا السُّويعَاتِ
وضَحَّيْنَا بأيام عَزِيزَاتِ
فيا أُخْتاه يَكْفِينا حَماقَاتِ
* * *

أَجَلْ يا أختُ ما قَدْ ضاع يَكْفِينا
فَعُودي. هَا هُو العُشُّ يُنَادِينا
فلا نُخْرِبْه يا أختُ بأيْدِينا
* * *

ربيعُ العُمْرِ يا أُخْتَاه قَدْ مَرّا
فَلَمْ نُطْعِمْه أو نَغْنَمْ بِه ذُخْرَا
وما عَادَ لَنا منْه سوى الذِّكْرى
* * *

١- منتجع: المراد لا يوجد مكان يصلح للإقامة.

فَلا نَخْسَر هَزيعَين منْ العُمْرِ[1]
فَدفْءُ العُشّ قَدْ يُجْدي لَدَى القَرّ[2]
ورُوحُ الحُبّ قَد يُحيِي لدى القَبْرِ
* * *

ويا أُخْتَاه زَادُ العُشّ يَغذُونَا
فإنّ الزَادَ قَدْ قَلَّ بأيْدينَا
وجَدْبُ العُمْرِ يا أُخْتَاه يُؤْذينَا
* * *

تعالَى نَقْطَع البَاقي منَ العُمْرِ
رَفيقَيْنِ على الخَيْرِ عَلى الشَّرّ
حَليفَيْنِ عَلى اليُسْرِ عَلى العُسْرِ
* * *

تَعالى أوْشَكَتْ أيامُنَا تَنْفَذْ
تَعالى أوْشَكَتْ أنْفاسُنَا تَبْرُدْ
بلا أمَلٍ ولا لُقْيَا ولا مَوْعدْ

* * *

١- هزيعين: الهزيع :ربع الليل أو نصفه، والمراد هنا مضى أكثر العمر.
٢- القر: شدة البرد.

هتاف روح *

في ليلة دفيئة من ليالي كاليفورنيا(سان فرانسيسكو).

في الجـوِّ يـا مصـرُ دِفءٌ يُدْنـي إلىّ خيالَـكِ
وتَسْـتَجيشُ حنيـني إلى الليـالي هُنالِـكِ
للأُمسـيات السُّـكارَى نَشْـوى تَـرِفُّ حِيَالَـكِ
ونَسْـمَةٌ فيـك تَسْـرِي ريّانَـةٌ من جَمَالِـكِ
نجـواكِ مِـلْءُ فُـؤادِي تُـرى خَطَـرتُ ببالِـك

* * *

النيـلُ والمـوجُ سَـارٍ يُقَبِّـلُ (الشُّـطْآن)
والبـدرُ والنـورُ سَـاهٍ كحـالمٍ وَسْـنَانْ
وفي الجِـواءِ حنيـنٌ مُجَنَّـحٌ حَـيرانْ[1]
ومـن هُنالـكَ لَحْـنٌ يَهْفُـو إلى الآذانْ
صَـدَاه نَـاءٍ عميـقٌ في نـاي هـذا الزَّمـانْ

* * *

---

* نشرت في نيسان (أبريل) ١٩٥٠

١- الجواء : الواسع من الأمكنة.

في النفـس يـا مِصْـر شـوقٌ لخَطْـرَةٍ في رُبَـاكِ

لِضَمَّـةٍ مِـنْ ثَـراكِ لنَفْحَـةٍ مِـنْ هَـواكِ

لِوَمْضَـةٍ مِـنْ سَـماكِ لِهَاتـفٍ مِـنْ رُؤاكِ

لليلـةٍ فيـك أُخْـرى مـع الرِّفـاقِ هُنَـاك

ظمـآنُ هتـفُ رُوحـي مـتى تَـراني أراكِ؟

* * *

دعاء الغريب *

(سان فرانسيسكو)

يـا نائيـاتِ الضِّفَـافْ هُنـا فتـاكَ الحبيـبْ
عليـه طَـالَ المَطَـافْ متى يعـودُ الغريـبْ؟

* * *

مـتى تَمُـسُّ خُطـاه ذاكَ الأديمَ المغبّـرْ
مـتى يَشُـمُّ شَـذَاه كالأُقحـوانِ المُعَطَّـرْ؟

* * *

مـتى تَـرى عينـاهْ تلـك الربـوعَ المواثـلْ؟[1]
أحلامُـه ومُنَـاه تدعـوه خلـفَ الحوائـلْ[2]

* * *

حنينُـه رَفَّـافْ إلى الدِّيـارِ البعيـدهْ
مَـتى مَـتى يـا ضِفـافْ تَـأوي خُطـاه الشـريده؟

* * *

رُؤاكِ في نَاظِرَيـهْ تَـرِفُّ كالأحـلامْ
تُـرى هَفَـوْتِ إليـه علـى مَـدَى الأيـامْ؟

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٥٠

١- المواثل: القائمة والمراد هنا قائمة في ذهنه وخياله.

٢- الحوائل: الموانع

ليلاتُـــكِ السّـــارياتْ كالنَّسْـــمَةِ العبقريّـــهْ
حالـــتْ إلى ذكريـــاتْ مُعَطَّـــراتٍ نَدِيّـــهْ

* * *

مُجَنَّحَـــاتِ العبـــيرْ مُرَفْرَفـــاتِ الأمَـــاني
في عَـــالَمٍ مســـحورْ مُوســـع بالأغَانِـــي

* * *

هُنالـــك حيـــثُ خُطـــاهْ مَنشـــورةٌ في الطريـــقْ
مـــا زَالَ فيهـــا الحيـــاةْ تَدْعُـــو دُعـــاءَ الغريـــقْ!

* * *

يـــا أرضُ رُدّي إليـــكِ هـــذا الوحيـــدَ الغريـــبْ
هَـــواهُ وقـــفٌ عليـــك رُدّي فتـــاكِ الحبيـــبْ

ابتسامة*

أنِرْ بِفـــؤادي كلَّ أسْـــوانَ مُظْلِمِ بَبَسْـــمَةِ رَاضٍ في الحيـــاةَ مُنَعَّمِ[1]

وصَوِّرْ بها الآمالَ: إنِّـــي رأيتُها تطيـــفُ بريَّـــا ثغـــرِكَ المُتَبَسِّـــمْ

وطالِـــعْ بِها وَجْـــهَ الحيـــاةِ نَديَّةً تَمسُّ حَشاشـــاتِ القلوبِ بِبَلْسَمِ

وتَسْرِي إلى الأرواحِ رُوحاً مَهُوماً يفيضُ عليها من رِضـــاءٍ وأنْعُمِ[2]

فَدَيْتُـــكَ لا تَأْلُ الحياةَ ابتســـامةً أرقَّ وأحـــنى مِنْ خيـــالٍ مُهَوِّمِ[3]

مُرنَّحَةَ الأعطافِ تُومِضُ خِلْسَـــةً وتَخْطُـــرُ في رِفْـــقٍ بذيالِـــكَ الفَمِ!

فديتُكَ أرْسِلْها على الكَوْنِ غِبْطَةً تُشَـــافِهُهُ هَمْسَ الرَّجَـــاءِ المُتَمْتِمِ

وتدركُهـــا الأرْواحُ في خَطَراتِهـــا كما تدركُ الأسمـــاعُ هَمْسَ التَرَنُّمِ

فديتُـــكَ لا تـــألُ الحياةَ تَبَسُّـــماً فإنـــكَ لم تُخْلَـــقْ لِغَـــيرِ التَّبَسُّـــمِ

وقتكَ الليالي العابســـاتُ عُبوسَها إذَنْ فَتَبَسَّـــمْ كيفما شِـــئْتَ وَانْعَمِ

* * *

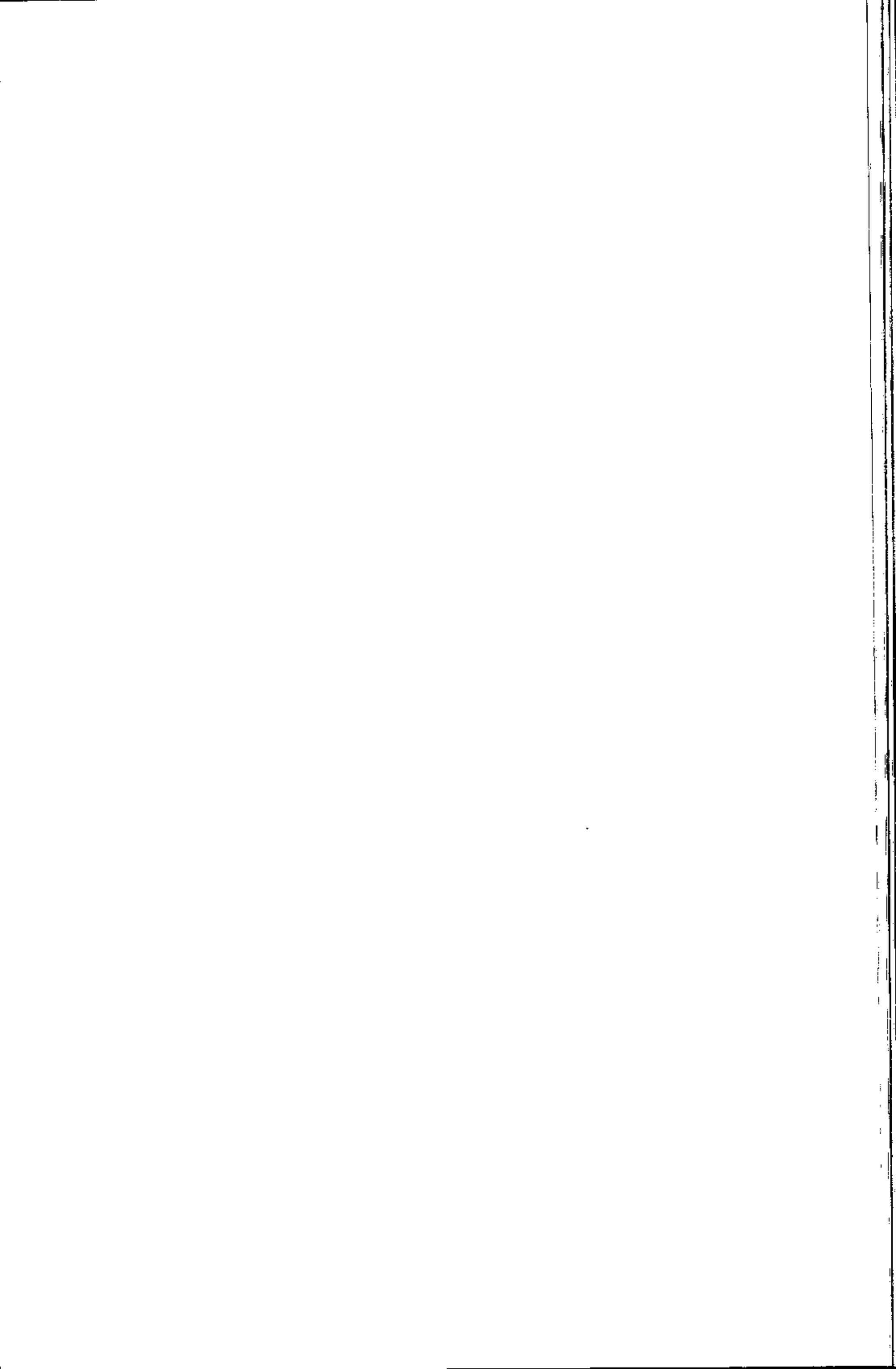
---

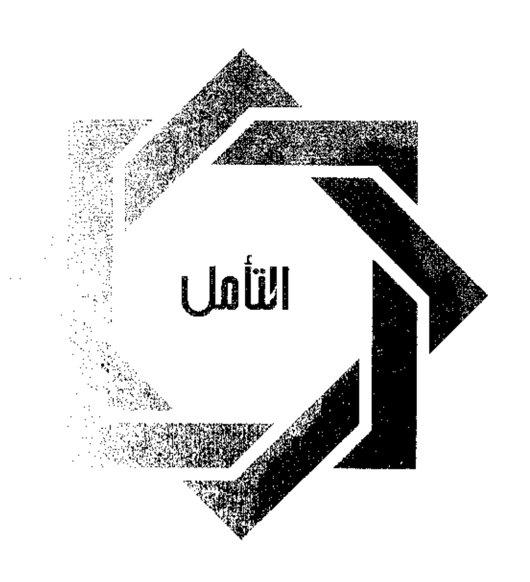
* نشرت عام ١٩٣٠

١- أسوان: حزين.

٢- مهوماً: في أوّل النوم.

٣- لا تبخل، لا تقصّر



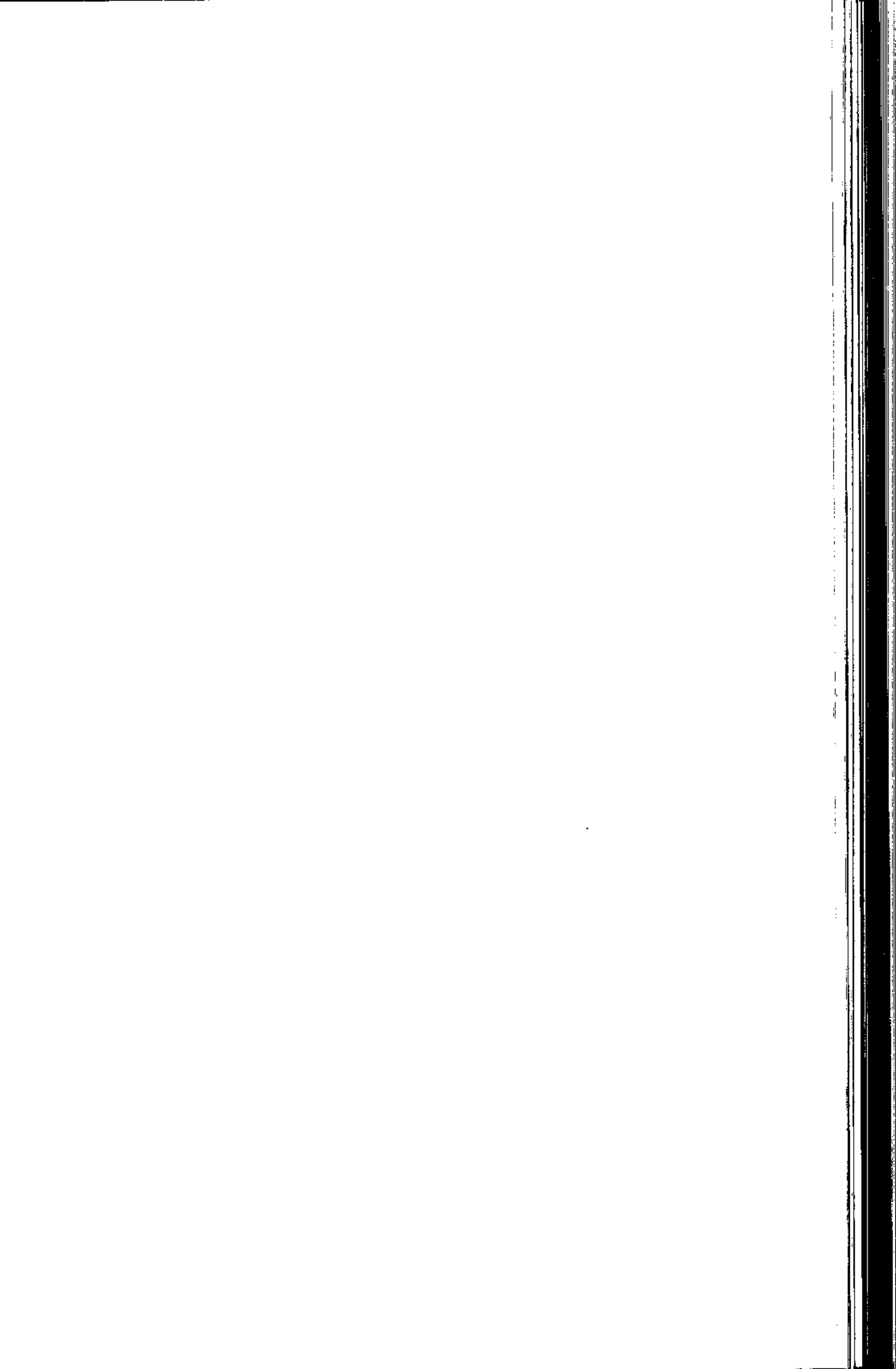


إلى الشاطئ المجهولِ والعالَمِ الذي

حَننتُ لمرأة، إلى الضفةِ الأُخْرى ؟

إلى حيثُ لا تدري إلى حيثُ لا تُرى

مَعالِمُ للأزمانِ والكونِ تُسْتَقْرَأ



بسمة بعد العبوس
أو
حياة بعد موت*

بَسْـــمَةٌ! أمْ تلكَ أنْفَاسُ الحياةْ؟ ولقـــاءٌ ذاكَ أمْ رَجْـــعُ العُمُـــرْ؟
نَفْحَـــةٌ تَنْفُثُها٤٢ تلك الشّـــفاه تبعـــثُ المَيْـــتَ وتُحيي مـــا انْدَثَرْ
* * *

بَسْـــمَةٌ كاللحـــن مِـــنْ قيثارَةٍ رائـــقِ المعـــنى رَقيـــقِ النَغَمَـــاتْ
أو شَـــذى يَـــأْرَجُ مِنْ نَـــوّارَةِ في غُصـــونِ الوردِ زاكِـــي النّفَحاتْ
* * *

بَسْـــمَةٌ أنْدَى على القلب الكَليمِ من نسيمِ الصُّبْحِ أو طيفِ الأملْ(١)
بَسْـــمَةٌ تُشْـــرِقُ في الوجهِ الكريمِ كاتبسامِ الزّهْرِ في الروضِ الخَضِلْ(٢)
* * *

نَظَـــر الدهـــرُ إليهـــا فابتَسَـــم وســـرتْ في القَفْرِ فاخضّل الجَديبْ
سَـــريان البُـــرْءِ هَوْناً في السّـــقم ودبيبُ الرُّوح في المَيْتِ السَّـــليبْ
* * *

ذلـــك القلـــبُ وقد جـــفّ نَدَاه وغـــدَا أجـــوفَ كالنبتِ الهَشِـــيمْ
وخَبَـــا في أفقِـــه ضـــوءُ الحَيـــاة وبَـــدَا كالمعبـــدِ البَالِـــي القـــديمْ
* * *

---

* نشرت في شباط (فبراير) ١٩٢٩
١- الكليم : المجروح
٢- الخضل: من خَضِل يخضلُ: نَدِي وابتلّ.

ذلك القلبُ قد اخْضَلَّ وَحَنّ وأحسّ الروحَ في رِفقٍ تَسيلْ
إذ تَراءى الأملُ الحُلْوُ الأغنّ في ثَنايا ذلك الثغرِ الجميلْ
* * *

هَتفتْ رُوحي وحَيّاه فُؤادي في هدوءٍ شاملٍ ضافٍ حَنُونْ
وتزودتُ من الحبّ بزاد ومنَ الإخلاصِ تُبديه العيونْ
* * *

إنّ عَينيه إذا تَرنُو إليّ تسكب الرَّوْحَ بقلبي والرَّجَاءْ
وهو إذ يحْنُو بِعِطْفَيه عَليّ يَغْمُرُ النفس بِفيضٍ من رِضَاءْ
* * *

إنّ في عينيه مَعنى للسُّمُو فوقَ ما يُدْرِكُ هذا البَشَرْ
وبها آياتُ عَطْفٍ وحُنُوّ لستُ أدْريها ولكنْ أشْعُرْ
* * *

أتُرى أنْعَمُ مِنْ بعدِ الشَّقاء؟ أترى في الشَّوْك قد تَحيا الوُرودْ؟
بِحَياتي وأمَانِيّ الوِضَاء عَهْدُنا الغَابِرُ لو كانَ يَعُودْ

هدأت يا قلب؟!*

هَدأتَ يـــا قلبُ فاهدَأ هكذَا أبداً | وعشْ هنيئاً إذا أحْسَسْـــتَ سُلْوانا
فجمةُ الحـــبِّ قد تخْبُـــو ويَعقُبُها | بَردُ السُّـــلُو وتَنْسَـــى كلَّ ما كانا
فـــلا جَفَاءٌ ولا شَـــكْوى تُردِّدُهَا | ولا دَلالَ وَلا وَجْـــداً وَتَحْنَانَـــا
تُمْسي وتُصْبِحُ حُرّاً غيرَ مضطربٍ | ثَبْتَ الجَنَـــانِ مُريحَ البـــالِ طَمْآنا
نَعَـــمْ سَـــتَعْدمُ حسّـــاً رقَّ جَانبُه | ودَقَّ في عـــالَمِ الإحســـاسِ مِيزَانَا
ومَـــا يُضيرُكَ مـــن فُقْـــدانِ رقَّتِه | إِذَا فَقَـــدْتَ بِها بُؤســـاً وأشْـــجَانا
وما الحياةُ إذا رَقَّ الشـــعورُ سوى | بـــؤسٍ يَجْرَعُـــهُ الإنســـانُ غصَّانا

* * *

ستُبصرُ الوردَ ورداً والسماءَ كما | تَلُوحُ للناسِ والأكـــوانِ أكْوانَا !
وتُبْصِرُ الحبَّ شـــيئاً أنْـــتَ تَعْرِفُه | وليس سِرًّا . ويَبْدُو الإلفُ إنسانا !
خلعـــتَ ثوبـــاً عليه أنـــتَ وَاهبُه | لولاه مَـــالاَحَ في الأنْظـــارِ فَتَّانا !

* * *

فخَلِّ يـــا قلبُ آمـــالاً تجيشُ بها | فقـــد تغْـــررك الآمـــالُ أحيانَـــا
هـــذا الهـــدوءُ تُنَمِّيـــه وتَأَلَفُـــه | فيســـتحيلُ مـــع الأيـــامِ نِســـيْانَا

* * *

---

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٢٩

الدنيا

إيــه يــا دُنيا ومــا أَنْتِ سِــوى عبــثِ الأطفــالِ فيمَــا يلعبُون
ضَجّــةٌ صاَخبــةٌ لا تحتــوِي غــيرَ أَصْــدَاءٍ قَويــاتِ الرّنــيْنْ
فــإذا فَتّشْــتَ عــن مَبعثِهــا لم تجدْ شــيئاً تُخْبِيــه الوُكُون![1]

* * *

عودة الحياة*

عَجَــبٌ خَفْقُــكَ يــا قلــبي في هــذه الأضلعِ من بعــدِ الخُفُوتْ!
أَوَمــا زلــتَ إذنْ لم تَشْــتَفِ مِنْ حنــينٍ فيك حَــيٌّ لا يموتْ؟

* * *

أوَ مَــازالَ إذنْ نبــعُ الحيــاة لم يَغِــْض فيك ولم ينضــْب مَعينُهْ
رُبّمــا فَــاضَ على تلــك الفلاةِ في فؤادٍ مُقْفِــرٍ جَفّــْت غُصُونُهْ!

* * *

طــالَ عَهِــدى أيُّها القلــبُ به ذلــك الخفــقُ الــذي ذَكّرتَنيــه
ذلــك الخَفْــقُ الــذي لا ينتَهى حيث يَســرِى الشّــعْرُ كالتيارِ فيه

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٠

١- الوكون: مفرده وكنٌ والوكن: عش الطائر حيث كان.

كـــم ربيـــعٍ مَـــرَّ يتلُـــوه ربيعٌ وفـــؤادي في خريـــفٍ راكـــدِ
هَامدَ الإحساسِ جَاثٍ بالضلوعِ في حيـــاةٍ ذاتِ نَمَـــطٍ واحـــدِ

* * *

وحُرِمْـــتُ الحِسَّ ، حـــتى بالألَمْ والنَّـــدى حتى بتســـكابِ الدُّموعِ
إيه . مـــا أقفرَ إحســـاسَ العَدَمْ والأمانـــي راكـــداتٌ في القَنُـــوعِ

* * *

هاتِ ياقلبُ من النبـــضِ القَويِّ وتَفَتـــحْ كلَّ يـــومٍ عَـــن جديـــدِ
لَم يَـــزَلْ في جَعْبَةِ الكَـــوْنِ الغَنيِّ مَـــا يُغَذِّيـــكَ بأحـــلامِ الوُجُـــودِ

* * *

وإذا لَم تســـتطعْ فاخلـــقْ حَيَاه! من شُخوصِ الوهمِ أو طيفِ الأمانِي
ومن الحبِّ، وما صاغـــتْ يَدَاه مـــن جحيـــمٍ يتلظَّـــى أو جِنَـــانِ

* * *

البعث *

قد بُعثـتُ اليومَ أحْيـا مِنْ جَديدٍ فهـو بَعْثٌ مـن حيـاةٍ خَامدةْ
مَرَّ نِصـفُ العُمـرِ أو كادَ يزيدُ لهفَ نفسِـي – في حيـاةٍ رَاكدةْ
فِي حيـاةٍ لم أجـدْ فيهـا حَيَـاه!
بَلَـغَ العُقْـمُ بهـا أقْصَـى مَدَاه
وتبـدَّتْ بَلقعـاً مثـلَ الفَلاه[1]
ثم لاحـتْ تتَـراءى مِـنْ بَعيدٍ شُـعلةٌ مِـن نـارِ حُـبٍّ وَاقدةْ
تُلهبُ الحسَّ وتَسْـتوحي القصيدْ والأناشـيدَ العـذابَ الخالـدةْ
شـاعرٌ قد صِيغَ من فيضِ الشعورِ مُلْهَمَ الفِطْـرةِ منْهُـومَ النّظَرْ[2]
نابضٌ بالعطفِ حَسـاسُ الضميرِ يُدرِكُ الهَمْسَـةَ تَسْـرِي في حَذَرْ
كيفَ يَحيا – وهو هَذا – في عَمَاءْ
مُغْلَقَ الإحساسِ مَطْمُوسَ الرَّجاءْ
مُقْفِراً كالكهفِ مَحْجُوبَ الضِّياءْ؟
هكذَا عِشْـتُ كسـكانِ القُبورِ في ربيـعِ العُمْرِ في العهـدِ النَّضِرْ
آه لو أسْـطِيعُ للماضِي الحسـيرِ رَجْعَـةً من بعـدِ ماجَـاء وَمَرْ!

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٢

١- بلقعاً: خالياً من كل شيء، يقال: مكان بلقع

٢- منهُومُ: الجائع، شديد الرّغبة بالشيء.

كنتُ أُحييه كما يَحيا الشبابُ!   نابضـــاً بالحـــبّ جَيّـــاشَ الأمانـــي
مُمْسكاً أهدابَه خوفَ الذَّهابِ   مُســـتعزّاً فيه حـــتى بالثوانـــي![1]

ظَافـــراً أمـــرحُ فيـــه كالطيـــورْ
حينمـــا تشـــدُو بألحـــانِ البكورْ
بعدمـــا تَنْفحُها ريـــحُ الزهورْ

نصفُ عُمْري قَدْ تَولّى في اكْتئابِ   فلأقض النصفَ نشـــوان الأغاني!
هائماً ألْهـــو بمعســـولِ الرّغَابِ   أو أُغنّـــى بالأمـــانيِّ الحِســـانْ!

* * *

١- أهداب: مفردها هُدبة: طرف الثوب الذي لم يُنسج.

الشعاع الخابي*

لاحَ لي من جانبِ الأفُق شُـعاعٌ بينمـا أخبِـطُ في داجـي الظّلامِ

في صحارى اليأسِ أسْرِي في ارتياع حيثُ تبدو مُوحشاتٍ كالرِّجامِ[1]

حيثُ يَسْرِي الهولُ فيها واجمًا

ويطوفُ الرُّعب فيها حَائمًا

والفناءُ المحضُ يبدُو جاثمًا

وترى الأشـباحَ في رأسِ التِّلاع كالسّعَالي، أو كأشـباحِ الحِمامِ[2]

فاغـراتٍ تَتَشـهى الابتـلاعَ تنهشُ اللّحَم؛ وتَفْـري في العِظَامِ

* * *

فَتلفـتُّ علـى الضـوءِ يَلُوحُ مِثْلَمـا تَلْمَـحُ عـيِنُ السَّـاهِرِ

أو كما تَهْمِسُ في الأجداثِ رُوحٌ أو كمعـنى شَـاردٍ في الخاطـرِ

قد تلفتُّ بقلبٍ مُستَطارْ

شَفَّه الذُّعْرُ وأضناه العِثَارْ[3]

طَالما رجّضى تَباشير النهارْ

---

* نشرت عام ١٩٣٢

١-الرّجام: من رجم القبر: وضع عليه الرّجام.

٢- السعالى : مفردها السّعلى: الغول.

٣- شفه: من شَفّ أي نحل ودقّ من همّ أو مرض ويقال : شَفّه الحبُّ أو الهمّ.

ثُم أزمعتُ إلى الأفُقِ الصَّبُوحِ أرتجي فيه أمانَ الحائرِ
أصعَدُ الرابيَ وأهوَى في السُّفوحِ وكأني طيفُ جِن نَافِر
ثُم ماذا؟ ثم قَدْ سَاد الحَلَكْ فَجْأةً والقَبَسُ الهادي خَبَا
ثم أحسستُ بدقاتِ الفَلَكْ لاَهثاتٍ، تَتراخى تَعَبَا
رجفةُ الخائف أَضْنَاهُ العَياءْ
وهو يعدُو لاَهثاً عَدوَ الطّلاءْ[1]
قبلما يَلْحقُها غُولُ الفَنَاءْ
وإذا قلبي خَفُوقٌ مُنْتَهَكْ ليس يَدري لخلاصٍ سَبَبَا
حولَه الظُّلْمةُ في أيِّ سَلَكَ حيثُ ينسى الهاربُون الهَربَا!

** *

قلتُ ماذا؟ قال لَي: رَجْعُ الصَّدى إيه ماذا؟ قلتُ للوهم عَلامَا؟!
قال لي اخشعْ أنْت في وادي الرَّدى حيث يَطْوِي الضَّوءَ طُرًّا والظَلامَا!
ها هنا تُثوي الأماني؛ هَا هُنا
فَي مَهاوِي اليأسِ في كَهْفِ الفَنَا
كل شيءٍ هالكٌ، حتى أنَا!
ثم ضَاعَ الصوتُ يَفْنَى بَدَدَا وتَلاشَى تاركاً منه النمامَا
وإذا بِي عُدْتُ أَسْرِى مُفْرداً لا أرى شيئاً، ولا أدْرِي إلامَا!

١- الطّلاء: مفردها الطّلا، والطلا: ولد الظبية
٢- طُرًّا: جميعاً
٣- النماما: الآثار الباقية

في الصحراء *

في ليلة من ليالي الخريف المقمرة، الراكدة الهواء؛ المحتبسة الأنفاس، وفي صحراء جبل المقطم الموحشة، وبين هذا القفر الصامت الأبيد[1] – كانت تتراءى نخلات ساكنات في وجوم كئيب ومن بينها نخلتان: إحداهما طويلة سامقة، والأخرى قصيرة قميئة.

بين هاتين النخلتين دار حديث. وكانت بينهما همسات ومناجاة!

* * *

الصغيرة:

ما لنـــا في ذلـــك القفــرِ هُنا   مَا بَرحنـــا منذ حين شَـــاخِصَاتْ؟

كلُّ شـــيءٍ صامتٌ مِـــن حَوْلنا   وأرانـــا نحـــن أيضـــاً صَامتـــاتْ!؟

تطلُعُ الشـــمسُ علينا وتغيبْ

ويظلُّ الليلُ كالشـــيخِ الكئيبْ

والنجومُ الزُّهْـــرُ تغدُوَ وتَئُوبْ

وهجيرٌ وأصيلٌ...   وطلوعٌ وأفولُ...   ثم نَبقَى في ذهولٍ ساهمات!

* * *

أفلا تدرينَ يـــا أُخْتي الكبيرةُ   مـــا الـــذي أطْلَعَنـــا بـــيَن اليبـــابْ؟

أيَمـــا إِثْـــمٍ جنينْـــا أو جريرةٍ   سَـــلَكَتْنا في تجاويـــفِ العـــذابْ؟

---

١ – الأبيد: الموحش

قد سئمت اللّبْثَ في هذا المكانْ
لَبْثَةَ المَصْلُوبِ في صُلْبِ الزمانْ
أفما آن لتبديل... أوان؟
حدثيني لِم نَشْقَى؟ حدثيني كم سَنَلْقَى؟ حدثيني كَم سَنَبْقَى واقفات؟

* * *

الكبيرة:
أنا يــا أُختــاه: لا أدري الجوابَ وَدَفِـينُ السِّـرِ لم يُكْشَـفْ لَنا
منذ مــا أطلعتُ في هــذا الخرابِ وأنــا أســألُ: مــا شَـأنِي هُنا؟
فيجيبُ الصمتُ حَولي بالسُّكونْ!
وأنا أخبط في وادي الظنونْ
لستُ أدري حِكْمَةَ الدَّهرِ الضنينْ[1]
غير أنا حائراتٌ... والليالي العابثاتُ... تتجنّى ساخراتٍ لاهيات!

* * *

رُبّمــا كُنّــا أسـيراتِ القَــدَرِ تَسْــخَرُ الأيــامُ مِنّــا واللّيالِــي!
تَضــرِبُ الأمثــالُ فينَــا والعِبَرَ وإذا نشــكُو أذَاهــا لا تُبَالِــي!
رُبما كُنا مَساحِيرَ الزَمنْ!
قد مُسِخْنَا هكذا بين القُنَنْ[2]
في ارتقابِ الساحرِ المُحْيي الفَطِنْ!
فإذا كان يعود... فكّ هاتيك القيود... فرجعنا للوجودِ ظافرات!

١- الضنين: البخيل: الشحيح
٢- القنن: مفردها قنّة: وهي قمة الجبل

أو ترانـــا نَسْـــلَ أربـــابٍ قُدَامى   قـــد جَفَاهـــا وتَولّـــى العابدُون!

جَفّتْ الـــكأسُ لديهـــا، والنّدامى   غـــادروا ندوتَها تَنْعِـــي القرُون

أو ترانا مَسْخَ شيطانٍ رجيمْ!

صَاغَنا في ذلك القفرِ الغَشُومْ!

وتولّى هارباً خوفَ الرُّجُومْ!

فبقينا في العَراءِ..   يجتوينا كلُّ راءٍ..   وسَنَبْقَى في جَفاءٍ شاردات[1]

* * *

لســـتُ أدرِي، كلُّ شيءٍ قد يكونُ   فَتَلقّـــي كلَّ شـــيءٍ في سُـــكُونْ

وإذا مـــا غَالنـــا غُـــولُ المَنـــونِ   فهنـــا يَغْمُرُنـــا فيـــضُ اليقـــينْ!

* * *

ثم سَـــادَ الصمـــتُ كالطيـــفِ الحزيـــنْ

وتَسَـــمّعْتُ   لأقـــدامِ   الســـنينْ

وهـــي تَخْطُـــو خَطْـــوةَ الشـــيخِ الرزينْ

هامساتٍ في الرمالِ   مُنشِداتٍ في جلالِ   كلُّ شيءٍ للزوالِ والشتات

* * *

١- يجتوينا: يكرهنا من اجتوى: كره

بين الظلال *

يا ذِكْرَياتي البعيدةَ
يا أُمنياتِي الشَّريدةَ
إليّ قبلَ الصباحِ
إليّ مِنْ كلِّ صوبِ
فَهينمِي حولَ قلبي
فانت وَحْيِي وزَادِي
غَفلْتِ يا ذِكرياتي
بين اصطخابِ الحياةِ
وكلِّ جَأرٍ قوِيِّ![2]
سهوتِ يا أُمنياتِي
إلى مَراقِي الحياةِ
بحاضرٍ مَأتِيِّ

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- الهينمة: الصوت الخافت.

٢- الجأر: الضخم (من الرجال)

يا ذكرياتيَ البعيدةَ في عالمِ الأشباحِ
يا أُمنياتي الشريدةَ في عالمِ الأرواحِ
إليّ قَبلَ الصّباحِ

الليلُ أرْخى سُتُورَه في هُدْأة كالخُلودِ
والبدرُ أرْسَلَ نورَه كبَسْمَةٍ من وَليدِ
راضي المُحيَّا سعيدِ

وخَفَقَ الكونُ خفقاً قد ضَرَّمتْهُ الليالي
وعادَ يَهْمِسُ رِفْقاً بذكرياتي الخَوالي
وأمنياتي الغَوالي

وجدتُ نَفْسي وكانتْ ضَاعَتْ ضَياعَ الإياسِ
ورُضْتُ نَفْسي فلانتْ من بَعْدِ طولِ الشّماسِ
وبعدِ صعبِ المِراسِ

ورفرفتْ ذكرياتٌ أثرنَ قَلْبي حنينَا
ونضّرَتْ أمنياتٌ ذَبُلْنَ كالزهرِ حِينا
فيالصنعِ السنينَا

يا ذكرياتيَ البعيدةَ في عالمِ الأشباحِ
يا أمنياتيَ الشريدةَ في عالمِ الأرواحِ
إليّ قبلَ الصباحِ
فالفجُر في الكونِ لاَحَ
والصبحُ يُذْكِي الصياحَ
فأقبلِي في انفرادِي ورفرِفي في فؤادِي

* * *

الإنسان الأخير*

صَحَا ذاتَ يومٍ حينَ تَصْحُو البَواكِرُ   وتستيقظُ الدُّنيا وتَجلُو الدَّياجِرُ[1]

ويُشْرِقُ وجهُ الصبْحِ في غمرةِ الدُّجَى   كما تشــرقُ الآمالُ واليأسُ غَامِرُ

وتضطربُ الأنفاسُ خَفّضَها الكَرى   وتخفــقُ أرواحٌ وتَذْكُو مَشَــاعِرُ

وحينَ يعِجُّ الكونُ بالصوتِ والصَّدى   وبالكدحِ تُزجيــه المُنى والمخاطرُ

وبالصرخةِ الهوجاءِ والضحكةِ التي   يَضجُّ بها الأحياءُ، والدَّهرُ سَــاخِرُ

* * *

ولكنّــه لم يُلْــفِ بالكــونِ نَأمَــةً   تَنِمُّ على حــيٍّ، ولم يَهْفُ خَاطِرُ

ففي نفســه ما يُشــبه الموتَ سَكْرَةً   ومن حولــه موتٌ نَمتْــه المقابرُ

جَــلالٌ كأنَّ اللهَ أطلَــعَ وَجْهــه   عليه؛ فقرّتْ في النفوسِ الضمائرُ

وصَمْتٌ فما في الكونِ صوتٌ ولا صَدَى   ولاَ خَفْقَةٌ يُحْيي بها الكَوْنَ شاعرُ

فــأدركَ في أعماقــه عَــن بَديهــةٍ   نهايةَ ما صَــارتْ إليــه المصائرُ

* * *

وما هَمَّ بالتنقيــبِ عن أيِّ صاحبٍ   ففي نفسه يأسٌ من النفسِ صادرُ

ولكنــه ألْقَــى بِهــا عَبْــرَ نظــرةٍ   على الكــونِ والأيامِ وهي دوائرُ

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الدَّيجور: الظلام والجمع : دياجر

٢- عَجَّ يعجُّ: رفع صوته وصاح.

٣- نأمة: الصوت الضعيف الخفي أيّاً كان

رُكامٌ وأشـــلاءٌ وأطـــلالُ نعمـــةٍ وبؤسٌ، وشَـــتى ما حوتَه الأداهرُ
وفي نفسِـــه مـــن مثِلهـــا كلُّ ذَرَّةٍ فهاتيك أشـــلاءٌ وهَذي خواطرُ
تجَمَّـــعَ فيها مـــا تَفَـــرَّقَ في الوَرَى وما ضَمنَتْ تلك السُّنونُ الغوابرُ
خلاصـــةُ أعمارٍ وشـــتى تجـــاربٍ ومجمعُ أشـــواقٍ بها الكونُ حَائرُ

* * *

وأوغَل في إطْراقةٍ مِلْؤُها الأســـى فمرّت عليـــه الذكريـــاتُ العَوابرُ
تَحثُّ خُطَاهـــا مَوْكباً إثرَ مَوْكِبٍ وقد جاورتْ فيها المآســـى البَشَائرُ
وأقبلـــتْ الآمالُ واليـــأسُ حَولها تُمزّقُهـــا أنيابُـــه والأظَافـــرُ
وجمّع فيهـــا الخيرَ والشـــرّ رابطٌ من النفسِ مشـــدودٌ إليها مُخَامِرُ[1]
وشَـــتى عبـــاداتٍ وشـــتى عقائدٍ يُؤلّفُهـــا الإيمـــانُ وهـــي نَوافِـــرُ
وفيهـــا من المجهولِ ســـرٌّ وروعةٌ ورغبـــةُ محـــرومٍ وخوفٌ مُســـاوِرٌ[2]
وقد كانَ في المجهولِ مَطْمَحَ كاشفٍ تُحَجّبُـــه عـــن طالبيـــه السّـــتائرُ
فياليتَه يَـــدْرى بما خَلْف سِـــتْرِه فيختم سِفْرَ الناسِ في الأرض ظَافِرًا[3]

* * *

١- مخامر: خَامَرَ الشيء: مراسه وخالطه وخامر المكان: لزمه وأقام به.
٢- مساور: واثب ثائر، يقال: ساورته الهموم والهواجس والأفكار : صارعته.
٣- سِفرَ الناس: كتاب الناس

وعادتْ له الآمـــالُ إذ جدّ مَطْمَحٌ يُرْجَـــى، وأَذْكاه الخيـــالُ المغامرُ

لعـــل وراءَ الكـــونِ مِفْتَـــاحُ لُغْزِه وطلْســـم ما ضُمَّتْ عليه السَّرَائرُ

وما هي إلا وَمْضَةٌ تَكْشِـــفُ الدُّجَى ويخلعُ هذا الجســـم والجسمُ جَائرُ

ولـــولا مواثيـــقُ الحيـــاةِ تُشـــدُّه إليهـــا لأمضى عَزْمَـــهُ وهو صَابر.

وخلّف هذا الجسمَ للموتِ والبِلى وأشرق رُوحا حَيثُ تَصفُو البصائرُ

وعَـــاودَه حـــبُّ الحيـــاةِ لِذاتِهـــا وقد أَجْفَلتْ تلك النَوازِى الكوافرُ

وهاجتْ به الأطماعُ حُبّ امتلاكها لـــه وحدَه والنـــاسُ مَيْـــتٌ وداثر

فعـــادَ إلى الدُّنيا العريضـــةِ مالكاً ولا مَنْ يُلاحيه ولا مَن يُشـــاطرُ!

ولكنّـــه لم يســـتطبْ مُلْكَـــه الذي تمحّـــض لا يســـعى بـــه أو يغامرُ

وما فيه مـــن كدٍّ ولا من تســـابق ولا ســـابقٌ في الكادحـــين وقاصرُ

وكيـــفَ يطيبُ العيـــشُ إلا تزاحماً فيرْبَـــحَ مجدودٌ ؛ ويَخســـر عَاثِرُ؟!

***

هنالك دوّتْ في السماكين صيحةٌ دعاءٌ لعزرائيـــلَ والكونُ سَـــادِرٌ

((بَرِمْتُ بهذا الكونِ هَمدانَ مُوحِشاً بَرِمْـــتُ بِمُلكٍ رَبُّه فيه خاســـر))

((فهيا إِذنْ للمـــوتِ أَرْوحُ رِحلةٍ لِتُكْشَـــفَ أَسْـــتَارٌ ويَهـــدَأَ ثَائِرُ))

***

وفيما يُعانِي سَكْرةَ الموتِ هَينَمَتْ[٢٧] إلى مَسْـــمَعيه هاتفـــاتٌ ســـواحِرُ

((هو السّرُ أن تهفو إلى السّرِ لهفةٌ وأن تَشْتَرُوا الآتِيَ بِما هُو حَاضِرُ))!

إلى الشاطئ المجهول *

تَطيفُ بنفسي وهي وَسنانة سَكْرَى   هواتفُ في الأعماقِ سَاريةٌ تَتْرى[1]

هواتفُ قد حُجّبْنَ؛ يَسْـــرين خِفْيةً   هوامسُ لَم يكشِـــفنَ في لحظةٍ سِتْرا

ويَعْمُرنَ من نفسِي المجاهلَ والدُّجى   ويُجَنّبْنَ من نفســـي المعالمَ والجَهْراَ

وفيهِن مَنْ يُوحـــين للنفسِ بالرّضا   وفيهِن مَن يُلْهِمْنَها السُّخْطَ والنكْرَا

ومن بينِ هَاتيـــك الهواتفِ مَا اسْمُه   حنينٌ،. ومِنهُنّ التشوقُ والذّكْرى!

أهَبْنَ بنفسِـــي في خُفــوتٍ وروعَةٍ   وسِرنَ بهمسٍ ، وهي مَأخُوذةٌ سَكْرَى

سَـــواحِرُ تَقْفُوهُن نفسي ولا ترى   من الأمــرِ إلا ما أردنَ لهـــا أمراَ!

إلى الشاطئ المجهولِ، والعَالَمِ الذي   حَنِنـــتُ لمرآه؛ إلى الضّفةِ الأخرى

إلى حيثُ لا تدري إلى حيثُ لا ترى   معــالَمَ للأزمانِ والكَوْن تُسْـــتَقْراَ.

إلى حيثُ ((لا حيثُ)) تُميزُ حدودَه!   إلى حيثُ تنسى الناسَ والكونَ والدّهرا

وتشعر أن (الجزءَ) و(الكلَّ) واحدٌ   وتَمْـــزِجُ في الحسّ البداهةَ والفِكْرَا

فليس هُنا (أمسُ) وليس هنا (غَدُ)   ولا (اليومُ) فالأزمانُ كالحَلْقَةِ الكُبْرى

فليـــس هُنا(غيرُ) وليـــس هنا (أنا)   هُنا الوَحْدَةُ الكُبْرى التي احْتجبتْ سِراً

***

* نشرت عام ١٩٣٤

١- وسنانة: أخذت في النعاس، وهو مبدأ النوم، تترى:: متتابعة.

خَلَعتُ قيودِي، وانطلقتُ مُحَلّقاً	وبي نشوة الجبارِ يَســتلهِمُ الظّفرَا

أُهــوّم في هذا الخلــودِ و أرتقى	وأَسْلُك في مَسْراهُ كالطيفِ إذ أَسْرَى

وأكشــفُ فيــه عَالماً بعــدَ عالمٍ	عجائــبَ مازالــتْ ممّنعــةً بِكْرَا

لقد حَجَبَ العقلُ الذي نَستشيرُه	حقائقَ جلّتْ عن حقائقنا الصُّغْرى

هُنا عَالَمُ الأرْوَاحِ فَلْنَخْلَعْ الحِجَا!	فَنَغْنَمَ فيه الخُلْدَ والحبَّ والسّــحْرَا

***

السر
أو
الشاعر في وادي الموتى *

اعتاد الشاعر أن يتردد كثيراً على وادي الموتى في أوقات مختلفة، أكثر ما تكونُ عند مغربِ الشمس، وقبلَ طلوعها !

وهو يجد في هذه الزيارات، لذةً غريبةً ، كما يجد مجالاً لتأملاتٍ غيرِ محدودة ؛ ولكنها تُثيرُ فيه الشوقَ لمعاودتها كَرةً أخرى.

وفي مرة منذ ستة أعوام ؛ أرقَ في الهَزيع الثاني، فجال بخاطره، أن يلجأ إلى حِمى المَوتى، مدفوعاً بشعورٍ غَامض، لا يبالي وحشةَ مثل هذه الأماكن ، في جُنْحِ الليل المُدْلَهِم!

وسار خطواتٍ، ولكنه أحس بالرهبة؛ وساوره الوجل، وشعر كأن أصواتا من وراء الحفائر تتناجى، ثم تُوجّه إليه الخطاب.

ليس للشعر يد في هذا التصوير؛ فهو الحقيقة التي أحسها ، كما يسمعُ الصوتَ ، وكما ينظر المرئياتِ .

وقد عادَ صامتًا واجماً؛ وبعد أن ذهب عنه الرّوع، حاول أن يفسر عن طريق (الوعي والتأمل) ما دفعه لهذه الرحلة، وما شعر به في أعماق نفسه.

ولقد ظل يعجز عن ذلك، كلما حاوله؛ مدى ستة أعوام، حتى استطاع في هذا العام، أن يترجم هذا الشعور شعرا؛ بعد أن فقد كثيرا من روعته، ووصل إلى الدرجة التي يستطاع عنها التعبير.

***

---

* نشرت في ١٩٣٤.

مَنِ الطارقُ السّارِي خلالَ المقابرِ كخَفْقَةِ رُوحٍ في الدُّجْنَاتِ عَابِرِ[1]؟

من الوجِلُ المذعورُ في وحشةِ الدُّجى تقلّبُــه الأوهــامُ في كلِّ خَاطــرِ؟

ينقّــلُ في تلك الدياجــيرِ خَطْوه ويخطــرُ في هَمْسٍ كَهَمْسِ المُحاذرِ؟

وقد سَــكَنَتْ مِنْ حَولِه كلُّ نَأمَةٍ ســوى قلبه الخفاقِ بينَ الدَّياجرِ؟

وغَشّاه رَوعُ الموتِ، والموتُ رَوعةٌ تَغْشَــى، فيعنُو كَلُّ نِكْسٍ وَقَادرِ؟

* * *

«هو الشاعرُ الملهوفُ للحقِّ والهُدى وللســرِّ لم يَكْشِــفْه ضَوءٌ لناظرِ!

تحيَّر في ســرِّ الحياةِ ومــا اهتدى إليه، ولَــم يَقْنَعْ بتلــكَ الظَّواهرِ

وسَاءلَ عنه الكونَ والكونُ حائرٌ يســيرُ كَمغْصُوبٍ بأيدِي المقادرِ!

وسَاءَل عنه الموتَ، والموتُ سَادِرٌ وسَاءَل عنه الشّعَر في حَنَقٍ ثائرِ![2]

وسَاءَل عنه كلَّ شــيءٍ، فلم يَفُزْ بشــيءٍ ولم يرجعْ بِصَفَقَــةِ ظَافِرِ

* * *

أفي هذه الأجداثِ طِلَسْــمُ سِرّه لعلَّ! فمــن يَدْرِي بســرِّ المقابرِ؟

ألم يخلــعْ الموتــى الأحابيل كلَّها؟ أحابيــلَ أوهامِ الحيــاةِ الجَوائرِ![3]

ألم يتركُــوا الدُّنيــا الغَــرورَ لأهلِها؟ ويستوثقُوا مما وراءَ المصائرِ؟

١- الدُّجنات: الدُّجنة: السواد أو الظلمة

٢- سادر : غير مبال بشيء.

٣- الأحابيل:مفردها الأحبيول، والأحبولة: المصيدة، والمراد هنا المظاهر الخادعة.

ألا تهمسُ الأرواحُ بالسرِّ إنْ سَرى إليهـــا؟، ألا تُهدِي اليقـــينَ لحائرِ؟
أجلْ! رُبّما تُعْطِي الجوابَ لســـائلٍ ورُبَّمـــا تجلُـــو المصـــيرَ لشـــاعرِ!

* * *

وفيما يُناجي في حِمى الصمتِ نَفْسه تَســـمَّع هَمْســـاً من خلالِ الحَفائرِ
«مَنِ الطارقُ السّاري خلالَ المقابرِ فَأقلـــقَ مِنّا كلّ غافٍ وسَـــاهرِ»؟
«أما يَقْنَـــعُ الأحياءُ بالرّحْبِ كلّه؟ أيَا ويحَ للأحيـــاءِ صَرْعَى المَظاهرِ»
«تَركْنا لهـــم دُنْياهُمـــو ودِيارَهم ولم يَدَعُونـــا في حِمى غـــيرِ عَامرِ»

* * *

وقالَ فتى منهـــم حديثٌ قُدومُه بنَغْمَـــةِ إشْـــفاقٍ، ونَبْرةِ سَـــاخرِ!
«لعلّ الذي قَدْ دَبَّ في ذَلك الحِمى وأيقَـــظَ في أحْشَـــائه كلَّ سَـــادرِ»
أخُو صَبْوةٍ، يهفُـــو إلى قبرِ مَيّتٍ لَـــهُ عنده وَجْـــدٌ وتَحنـــانُ ذَاكرِ»
«يقرِّبُـــه منها التّذَكُّـــرُ والهوى وتُبْعِـــدُه عنهـــا غِلاظُ السّـــتائرِ»
«ومَا أخْدعَ الحبَّ الذي في ديارِهم! يُغَشّـــى عَلى أبصارِهـــم والبَصائرِ»
وقالتْ لَهم أُمٌّ وفي صوتِها أســـىً وَنَبْـــرةُ تَحنـــانٍ، وكتْمـــانُ صَابرِ
«ألا رُبّما كانـــتْ ثَكولاً حَزينةً على فَلْـــذةٍ مِـــنْ قَلبِهـــا المُتناثرِ»
«ورُبّما كانتْ عَجُـــوراً تَأيّمَتْ وضَاقتْ بِدَهْرٍ نَاضبِ العَونِ غَادرِ»

* * *

وقَدْ ذَهبُوا في حَدْسِهم كلَّ مَذْهب   وفيما حَوَتْه نَفْسُـــه مِنْ مَشـــاعرِ!
وجَلْجَلَ صوتُ الشيخ يدْوِي كأنّما   هو الدهرُ في صوتٍ من الرّوعِ ظَاهرِ
«مَنِ الطارقُ السَّارِي خلالَ المقابرِ   فأقلق مِنَّــا كلَّ غَافٍ وسَـــاهرِ!»

* * *

فقال أخو الأحياء، والقلبُ خافقٌ   مِنَ الوَجَلِ الأخَّاذِ، في صَوْتٍ حاسرِ
«أنـــا الحيُّ لَمَّا يدرِ أســـبابَ خَلْقه   أنا المُدْلجُ الحيرانُ بـــينَ الخواطِرِ»
دلفـــتُ إلى وادِي المَنَايَـــا لَعلَّني   أفـــوزُ بســـرٍّ في حَنَايـــاه غائـــرِ؟
أمـــا تَعلَمُون السِّـــر في خَلق عَالمٍ   يموتُ ويَحيَـــا بينَ حـــينٍ وآخرِ؟
وَتكْنُفُـــهُ الأحداثُ من كلِّ جَانبٍ   ويركبُ للغاياتِ شَـــتى المَخَاطرِ؟
وليـــس لَـــه من غايـــةٍ غـــيرَ أنَّهُ   مَسُـــوقٌ إلى تحقيـــقِ رَغْبـــةِ قاهرِ!
ضنينٌ بمـــا يَبغيـــه ليـــس يُبيحُه   لســـائله عَمَّـــا وراءَ الظَّواهـــرِ
ومـــاذا لقِيتم بعد ما قَـــدْ خَلَعْتُمو   قيـــودَ الليالي الخادعـــاتِ المَواكرِ؟
وماذا وراءَ الغيبِ؛ والغيبُ مُطْبقٌ؟   وهَـــلْ يتجلَّـــى مـــرةً للنواظـــرِ؟
سؤالُ أخي شوقٍ، وقد طالَ شَوقُه   وحيرتُـــه، بينَ الشـــكوكِ الكَوافرِ

* * *

أرَيْتَ لو أنَّ الهـــولَ صوّرَ منظراً   تُجلِّلُـــه الأخطـــارُ جَـــدَّ غَوامرِ؟
كذلك سَـــادَ الصمتُ بين الحفائِرِ   ورَانَ علـــى أرواحِهـــم والضَّمائرِ
وأذْهَـــلَ هَاتِيك النفوسَ فخفَّضَتْ   من البَهْـــرِ[92] والإعياءِ دقَّاتِ طافرِ!

وجَلْجَلَ صوتُ الشيخِ يَدْوِي كأنّه يُحَــدِّثُ مِنْ كَوْنٍ قَصِــيٍّ المَعَابِرِ!

أيــا وَيْلهــا تلك الحيــاةَ وأهلهَا تُكَشِّــفُ عن بلوائِها كلَّ سَــاترِ!

وتطلبُ أســبابَ الشَّقاء لنفسِها! فتضربُ في تيهٍ من الشكِّ حَاضرِ!

لقد أغمضَ الموتُ الرحيمُ جفونَنَا وهَــدَأَ في أفكارِنــا كلُّ نَافــرِ

نســينا ســؤالاً؛ لم يزلْ كلُّ كائنٍ يــردِّدُهُ حــيرانَ في حَــزَرٍ حَازِرِ

نســيناه فارتحْنا مــن الحَيْرةِ التي خَسِــرْنا بها الأعمارَ جَــدَّ نواضرِ

وها أنــت ذا تُذْكِيه. يا لك جائراً ويــا لكَ مخدوعــاً بســرِّ المَقَابرِ!

وهــا نَحن وَدَّعنا هــدوءاً وهينةً شــريناهما بالعُمرِ، يا للخســائرِ!

أريْتَ لو أنَّ الهــولَ صَوَّرَ مَنظراً تجلُّلُــه الأخطــارُ جَــدَّ غَوامرِ؟

كذلك سَــادَ الصمتُ بينَ الحفائرِ ورانَ علــى أرواحِهــم والضمائرِ

وأذهَلَ هَاتَيك النفوسَ فخفضتْ من البهــرِ والإعياء دَقــاتِ طَافرِ

* * *

وعَاد أخو الأحياء يعطو بحســرةٍ ولهفــةِ محــرومٍ، وإعيــاءِ خَائــرِ

لقد كانَ في المَوتى وفي الموتِ مَأمَلٌ يُعلله بالكشــفِ عــن كلِّ ضَامرِ

فألفى سَــراباً ثمَّ لا يَنْقَعُ الصَّدَى فــوا ندمــاً عــن بحثِــه المُتَواترِ!

فقد كان خيراً أن يعيشَ على المُنَى ويأملَ بعدَ الموتِ كَشْــفَ السَّتائرِ

ويا ليتَ هذا الموتَ يُسْرِعُ خَطوهُ فيَطْــوِي حَيا عُمرِهِ رِبْحَ خَاســرِ!

التجارب *

كثيراً ما يَبْرَمُ الإنسانُ بماضيه أو حاضره، ويسخطُ على تجاربه ومصائبه!

وقد تصوَّر الشاعر شقياً أعفته الأقدارُ من ماضية وتجاربه، وأطلقته كأنما وُلد في لحظته، ولكنه لم يستطبْ حاله، لأنه لم يجدْ رَكيزةً يَرْكنُ إليها، ووَدَّ لو أنَ الأقدار وهبته ماضياً سعيدا؛ فاستجابت له. ولكنه عاد يشعرُ بغربتهِ عن ذلك الماضي، ولم تعدْ هناك قيمة لآماله، التي خلقها ماضيه هو، وارتبطت به، وعندئذ عاد لماضيه في لهفةٍ واشتياقٍ إليه.

* * *

شَكَا بُؤسَ ماضيه الحفيلِ الجوانب بكل مصابٍ فادحِ العبْءِ صَائبِ![1]

وضَاق به صدراً على طُولِ صُحْبةٍ تُمِلُّ، ويَا بئْسَ الأسى من مُصَاحِبِ!

وودّ لــو أنَّ الدهرَ يُعْفِيــه بُرهةً من الغابــرِ المملولِ جَــمِّ النَّوائبِ

فأصْغَتْ لــه الأقــدارُ في أُمْنياتِه علــى أنها لم تُصْغِ يومــاً لِطالبِ

وأعْفَتْــه مــن ماضِيه حــتى كأنّه وليدٌ خَلِيُّ القلــبِ من كلِّ نَائبِ!

* * *

نَضَا عَنْه أعْبَاءَ السِّــنينَ الغَوارِبِ ونَحَّى عن الآمالِ قيدَ التجاربِ[2]

وعَــادَ طليقــاً لا يُعــوِّقُ خَطْوَه مَرّاسٌ؛ ولا يَثْنِيــه خَوفُ العَواقبِ

---

* نشرت: ١٩٣٤

١- نضا الشيء: نزعه وألقاه.

٢- المرّاس: ذو الشدة العظيمة.

وخُفِّضَ صوتُ الذكرياتِ أو امَّحى وجَلْجَلَ كالنَّاقوسِ صَوتُ الرَّغائبِ

وآضَ وليدُ اليومِ في مَيْعةِ الصِّبا جديداً بدنياه؛ جديدَ المطالبِ[1]

بعيداً عن الماضِي الذي آدَهُ الأسى وحَفَّتْ به الأحداثُ من كلِّ جَانبِ[2]

* * *

ولكنّه ألْفَاه أسْوَانَ مُوحشاً كما أُفْرِدَ الإنْسِيُّ من كلِّ صَاحبِ

وألفَاه في هذي الحياة كأنَّه غريبُ عَرا، في عَالمٍ منْ غَرائبِ[3]

وألفاه مقصوصَ الجَناحِ إذا هَفَا إلى الأوج لم يُسْعِفْه عزمُ المُغالبِ

وإنْ هَمَّ لم يُبْصِرْ لَه من ركيزةٍ تَضاعَفَ عندَ الوَثْبِ جَهدَ المُواثبِ

وقَدْ أبْصَرَ الآمالَ عَرْجَاء لم تجِدْ لها سَنَداً من ذِكْرَياتٍ ذَواهبِ

فعادَ إلى الأقدارِ يشْكُو صَنيعَها ويُوسِعُها في شَكْوِه عَتْبَ عَاتبِ!

أما يستطيعُ الدَّهرُ – لو شَاء نَصفَةً له – عوضاً من غابرٍ منه خَائبِ

بماضٍ سَعيدٍ لم يَشُبْ صَفوَه الأسَى! فيحيا علـى رُكْنَيْن: آتٍ وذَاهبِ!

* * *

فَأصْغَتْ لـه الأقْدارُ في أُمنياته على أنَّها لم تُصْغِ يوماً لِطالبِ!

وأعطتْه أنْقى صفحةٍ في كِتَابِها لأسْعدِ مَخْلوقٍ وأهنَأ رَاغبِ!

* * *

١– آض الشيء كذا: تحوّل إليه، ميعة: ميعة الشيء: أوله

٢– آداه: قوّاه وأعانه

٣– عَرا: من العُرى، والمراد: إنه وجد نفسه غريباً أو عارياً من كل فضيلة.

ولكنــه ألفــاه لم يغــدُ مالــكاً لمــا مَنَحَتْــه مِنْ عَزيــزِ المَواهبِ
وألفاه لم يكْشِــفْ خَبيئةَ نفســه لذياك الماضِي الــذي لَمْ يُصَاحِبِ!
وأَبْصَــرَ بالآمــالِ حَــيرى كأنما تَســاءَلُ عن دَاعٍ لها جَــدِّ دَائبِ
دَعَاهَــا فلمّا أقْبلَتَ من سَــمائِها رأتْ غيرَه في غَفْلَــةٍ غيرَ رَاقبِ[1]
ومــا الأملُ «البسّــامُ» إلاّ رغيبةٌ لنفسٍ تَرى مِنْ دَهْرِها وَجْهَ «غَاضِب»

* * *

فَعَــادَ إلى الأقْدَارِ يَطْلُــبُ عَوْنَها عَلى رَجْعِ مَاضيه بِحَسْــرَةِ تَائبِ!
أجَلْ عادَ مَلْهُوفــاً لِمُرّ التجاربِ وأيامه الأولى الظِّماءِ السَّواغِبِ[2]
أجَلْ ذلك الماضي الذي هُو بِضْعَةٌ من النفسِ دُسَّتْ في الحَشا والترائبِ[3]

* * *

فأصغتْ لــه الأقــدارُ في أمنياته علــى أنّها لَم تُصْــغِ يوماً لِطالبَ!
وعَــادَ إلى دُنْيــاه مِنْ بَعْــدِ غُربةٍ وألقتْ عَصَاها واســتقرّتْ بآيبِ

* * *

١- دعاها الماضي الشقي وأقبلت فوجدت الماضي السعيد غير ملتفت لها.
٢- السواغب :مفردها ساغبة: جائعة متعبة.
٣- الترائب: عظام الصدر موضع القلادة، والمراد دُسّت في القلب والصدر.

خبيئة نفسي *

خبيئةَ نفسي؛ قد غَفَا الكونُ فاسفِري   وكوني سَميري، بعد أنْ نامَ سُمَّرِي
سَهَا الدهرُ والأقدارُ رنَّقَها الكَرَى   وهوَّم في جوفِ الدُّجَى رُوحُ خيِّرِ[1]
يُطيفُ على العَانين بالعطفِ والرِّضا   ويغمــرُ بالإغفــاءِ رأسَ المفكــرِ
وينتظــمُ الدنيــا هــدوءاً كأنهــا   عــوالمُ في وادِي المُــنى لم تُصــوَّرِ
فلا صوْتَ إلا خَفْقــةٌ من جوانحٍ   كما خفقتْ للضــوءِ عينُ المُصوِّرِ
ولَــمْ يَبْقَ من تلك الحيــاة وأهلِها   سوى طيفِها السّارِي بوادِي التّذَكُّرِ

* * *

خبيئةَ نفســي مِن عهودٍ ســحيقةٍ   ومن جَوفِ آبادٍ مضتْ قبلَ مَولدِي!
أُحسُّــكِ في أغوارِ نفسي ولا أرَى   مُحيّــاكِ إلا كالخيــالِ المُشَــرّدِ
علمتُكِ حــتى أنتِ مِنّــي بُضْعةٌ   جهلتكِ حتى أنتِ في غيرِ مَشْــهدِ
ويــا طَالما أخلفــتِ لي كلَّ مَوْعدٍ   ويــا طالما ألقــاكِ في غــيرِ مَوْعِدِ!
عبجتُ فكـــمْ مِنْ نفــرةٍ تَنْفُرينها   على فَرْطِ مــا تُبْدينه مــن تَودُّدِ!
حديثُكِ من نفســي قريبٌ؛ وإنما   إخالُــكِ في وادٍ من التّيه سَــرْمَدِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- رنقها: كدّرها.

خبيئةَ نفســـي، ما تُرى أنتِ؟ إنني   أريـــدُك في جوٍّ من الضـــوءِ مَعلَمِ
أعنصـــرُكِ الإيمـــان والطُّهرُ أصلُه   وإلا إلى الكفـــرانِ والرِّجسِ مُنْتَمِ؟
وفي أي وادٍ أنْتِ تســـرين خِلْسَةً؟   ومـــن أي عهدٍ في الجهالات مُبْهِمِ؟
وكم فيك من نصرٍ، وكم مِنْ هَزيمةٍ   تَجاوزتَـــا في حَشْـــدِكِ المتَزَحّـــمِ
وكم فيك من يأسٍ؛ وكم فيَك مَأملٌ   وكم مـــن تَردٍّ، أو وثـــوبِ تَقَحُّمِ
وكم فيك من حُبٍّ، وكم فيك بغضةٌ   ومنْ رُشْـــدِ إلهامٍ، إلى خَبْطِ مُظْلِمِ

* * *

خبيئةَ نفســـي في ثنايـــاكِ مَعْرِضٌ   لمـــا لَقِيَتْـــهُ الأرضُ في الجَـــوَلاَنِ
وفيـــك من الآبـــادِ ســـرٌّ وروعةٌ   وفيـــك صِراعاتٌ بـــكلِّ زمانِ[1]
وفيك الْتقى الإنسانُ من عهدِ خَلْقِهِ   وفيك الْتقَى الرُّوحـــيُّ والحَيواني
وإنـــكِ طَلْســـمُ الحيـــاةِ جميعها   وصورتُها الصُّغـــرى بكلِّ مكانِ[2]
أبيني إذنْ عن ذلـــك العالمِ الذي   تضمّنتـــهِ مـــن صُـــورةٍ ومَعَـــانِ
أبينِـــي أُطَالِعْ في ثنايـــاكِ مَا مَضَى   ومـــا هُـــو آتٍ مِـــنْ رُؤىً وأمَانِ

* * *

١– الآباد: مفردها الأبد وهو الدهر .
٢– الطّلسَمُ: السرُّ الغامض.

الخطيئة*

مِنْ خِــلال الظَّلماءِ في بَهْمَةِ اللّيلِ تَمَشَّــتْ كالحيَّــةِ الرَّقْطــاءِ
تُوقظُ الجِسْــمَ والغزيرةَ بالْهَمْسِ وتَطغــى علــى الحِجَا والــذكَاءِ
وَهْيَ من خشــيةِ الضَّميرِ تَوارَى في زَوايــا الميــولِ والأهــواءِ
فــإذا شَــعَّ مِنْ سَــنَاهُ شــعاعٌ أرْجَفَتْ منه، وانــزوتْ في التواءِ
وإذا خيَّــم الظَّــلامُ تــراءَتْ في احتــراسٍ مــن أعــينِ الرُّقَباءِ!

* * *

لحظــةٌ تلــك ثم خَيَّــم صمتٌ وظَــلامٌ؛ فما تَــرَى مِــنْ ضِيَاءِ
فمضــتْ تُضــرِمُ الغريــزةَ ناراً وتُثــيرُ الشُّــواظَ بــين الدِّمــاءِ
البِدارِ البِــدارِ يا أيها الْجِسْــــمُ شِفاءً من الطَّوى والظُّماءِ![1]

* * *

وتوارى (الإنســـان) حين تبدَّى (حيــوانٌ) ذو شِــرَّةٍ نَكْــرَاءِ
وإذا بالخطيئَــةِ السَّــوْءِ نَشْــوَى بانتصــارٍ، نالَتْــهُ في الظَّلْمَــاءِ!

* * *

---

* نشرت في نيسان (أبريل) عام ١٩٣٥
١- البدار: الإسراع. الطّوى والظماء: الجوع والعَطَش.

القطيع *

لَظى الشمسِ ؟ أم فَوّارةٌ من جهنمٍ تَسيُل شَظَاياها، وتنضَحُ بالدّمِ

هو القيظُ قد فازتْ ينابيعُ وَقْدِه وفاضتْ على الأرضين في كل مَجْثَمِ

وضَاقَ رُواقُ الظّل عنها وأرسلتْ من الشمس أرسالٌ إلى كلِّ مُبْهَمِ

فمالَ إلى الرّاعي الشَّطوطِ قطيعُه يَبثُّ رجاءً في ثُغَاءٍ مُتَمْتِمِ

ونَاجَاه، ويحَ الظّلّ إنْ نحن لم نَمِلْ إليه، ويا بُؤْسَاه سعياً لِمَغْنَمِ!

عَيينا بهذا الضَّرْب في كلّ حَرّةٍ وراءَ ذَمَاءٍ من شَرابٍ ومَطْعَمِ[1]

وما أنتَ – لو تدرِي – برابحِ صَفْقَةٍ ولا نحن؛ إنّا كَلّنَا ذلك العَمِي!

نسيرُ بصحراءِ الحياة، ولا نَرى سِوى ظِلّنا، يَطْغى على كلِّ مَعْلَمِ

يُسَخِّرُنا مَنْ لا نراه، لغايةٍ يَراها، ولم نُؤذَنْ بها أو نُفَهَّمِ!

فيا أيُّها الرّاعِي هدوءًا وهَيْنَةً إلى الظِّلّ نَرْتَعْ لحظةً أو نُهوّمِ[2]

فمالَ به الرّاعي إلى ظلِّ دَوْحةٍ ظليلٍ، وعُشْبٍ نابتٍ قُرْبَ جَدْولِ

* * *

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٣٥

١ – الحرة: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت ، ذماءٍ: البقية.

٢ – النهومُ: النوم الخفيف.

تَناهَى إليها الطيرُ من وَقْدة اللَّظى   وثــابَ إليها الظِّــلُّ في غير مَعْجَلِ

وألْقَــى عصاه، ثُمَّ ألْقَى بجســمِه   وقد ضَافَه بالأيْنِ طــولُ التنقلِ[1]

وراغَ إلى المــاء القطيــعُ كأنمــا   تَدَهْدَهَ جَرفٌ مــن بَطيحٍ مُزَلْزَلِ

يَعُبُّ وَيستسـقي بشـوقٍ ولهفةٍ   ويُفْعَـمُ ريَّـا مــن مُعــلٍّ ومَنْهلِ

فلما ارْتَوى آوى إلى الظلِّ مُجهداً   وقد خلَّ في أعضائـه كلُّ مَفْصلِ

فنامَ على الأعشابِ، مَا إنْ تُرى له   رؤوسٌ، فقد دُسَّتْ بأحناءِ مَدْخَلِ

توحَّدَ جسمُ الشَّاءِ كالزَّرَدِ التقتْ   مَدَاخِلُه، وانْسَابَ جَمّ التَسَلْسُلِ[2]

كأنَّ شــاءَ ذياك القطيــعِ تَوَحُّداً   فأغفــلَ ذاك الرأسَ رمــزَ التعقلِ

ويا طالما قد فَرّق الناسَ رَأْسُــهم   وما يَقتضيــه من طِمــاحٍ ومَأْمَلِ

* * *

وطافتْ على الراعي رُؤىً عَسْجَديةٌ   وجالــتْ به الأحــلامُ كلَّ مَجالِ

لقــد هبطَ الــوادى فَألْفَــاه جنةً   بمــا فيه مــن خَفْضٍ وهَــدْأةِ بَالِ

ومــاءٍ غزيرِ النبعِ سَلْسَــالِ مَنْهلٍ   يَحُفُّ به عُشـْبٌ وفيــضُ ظِلالِ

ألاَ إنــه هــذا النعيــمُ ، وإنهــا   هي الجنــةُ الفَيْحاء خلــقُ خَيالِ!

وقد غادرَ الوادى إلى الغابِ، ياله   من الخوفِ في هَــوْلٍ به وصيالِ[3]

١- الأين: الإعياء والتعب.

٢- الزَّرد: حِلقُ الدّرع، المراد أن الشاء في تجمعها أو تكورها كأنها مغطاة درع من حِلق.

٣- الصيال: غالبه ونافسه.

يُزمجر فيه الوحـــُش من كل فاتكٍ قـــد اختلطـــتْ أصواتُـــه كعَوالِ

وتَعْصِفُ فيه الريحُ، ياهَولَ عَصْفِها زئيرُ أُســـودٍ، أو فحيـــحُ صِلالِ[1]

فهَـــبَّ مَفيقـــاً، يســـتبين حياتَه ليوقـــن أن لم تَصطـــدم بوبـــال

فألفى قطيعَ الشـــاءِ يدعوُ فصيلَه إلى الثّدىْ ، في صوتٍ يجلجل عالِ

وأطرقَ يستوحى الرُّؤىَ ويحها الرؤى إلى أين قد طافَتْ بـــه غيرَ عَالِمِ؟

وأين مـــن الوادى خُطَـــاه؟ وإنها لآ مالُ رَاجٍ أو خيـــالاتُ حَالِمِ !

وأين هـــو الغابُ الرَّعيـــبُ؟ وإنّه ليهفُـــو إلى مـــاضٍ ســـحيقِ المعالِمِ

لأعيـــاه تَاوْيُل الـــرُّؤى ، غير أنّه يحسُّ هدوءاً في ضَلالِ الطلاســـمِ

فمـــال على (أرغوله) يَستَجيشُـــه خواطـــرَه بالذكريـــاتِ الهوائـــمِ

فرجّـــعَ أنغاماً من الغـــابِ وزْنُها وألحانُهـــا نســـمُ الريـــاضِ الحَوالِمِ

فأوزانُهـــا ذكـــرى، وألحانُها مُنىً كذلك يشدو في الورى كلُّ نَاعمِ

وقد رقّتْ الآصالُ وانسلّتِ الصّبا وصاتَ مع الأرغولِ صوتُ السّوائمِ

فـــكان مِزَاجاً من جمالٍ وَوَحْشَـــةٍ ولـــذَّاتِ مَوهـــوبٍ وآلامِ غَارمِ

وغَشّـــى على الدُّنيا ظلاَمٌ فهوّ متْ ونامـــتْ كطفل في الغِـــرارةِ هَائِمِ

* * *

١- الصّلّ: الحية من أخبث الحيات، والجمع: الصّلال.

على القمة*

نظــرتُ إليها وهي شَــمَّاءُ تذهبُ   كما لاَحَ في أفْقِ السموات كوكبُ

فأعجبــني منها السُّــموقُ وهَالَنى   تَطاولُها والرّيح تَطغى وتَصخبُ[1]

وطــارَ خيــالي فوقَهــا ووراءَها   يصــوّر مــن أطيافِهــا مــا تَغيّبُ

عجائــبُ لَم تخْطُر على البالِ مِثْلُها   ودُنيا من الأحــلام تَزْهُو وتعجبُ

وقلت: ســعيدٌ من تطــاولَ كَفُّهُ   ذَرَاها وتــدرى عينُه مــا تَحجبُ

دَلَفْتُ إليها، والخُطَا تَسْــبقِ الخُطَا   وفي النفس شَوقٌ يَسْتَحِثُّ ويُلْهِبُ

هو الشوقُ للمجهولِ يَهْمِسُ طيفُه   وتهفُــو رُؤاه مغْريــاتٌ وتَغْــرُبُ

هو الشــوقُ للرُّقيا وفي الحيِّ حافزٌ   إليهــا فيرقــى في الحيــاةِ ويَغلبُ

دَلَفْــتُ فلم أنْظُــرْ إلى الخلفِ مرةً   وهل ينظرُ العَجْلانُ مــاذا يُعَقّبُ؟

وما عاقني جُهدٌ ولا وَقْعُ عُثْــرَةٍ   وأنْسَــتْني الأشــواقُ أنّــي مُتْعَبُ

هنا القِمّةُ الشَــمَّاءُ يَا حُسْنَه هنا!   ويا حُسْنَ ما يدنُو إلى النفسِ مَأرَبُ

تأمَّلْتُهــا فرحــانَ أخفقُ نَشْــوةً   وأوْشــكُ أُغْذِي سَــنَاهَا وأشْرَبُ

وقلتُ: هنا يا نفسُ أشْــرَفُ بُقْعةٍ   وأرْحَب أفقٍ في الســماوات يَرقُبُ

وإنّــك مِن فــوقِ التــلالِ طَلِيقةٌ   ولم يَبْــقَ مَســتورٌ عليــك مُغيَّبُ

١- نشرت في تشرين الثاني(نوفمبر) ١٩٣٧

٢- السموق: الارتفاع والعلو

فَقَرّى هنــا يا نفسُ جَدٌّ ســعيدةٍ فليس وراءَ الأفقِ يا نفسُ مَطْلَبُ»

وأغمضتُ عيني سَابحاً في خواطِري وبي نَشْــوةٌ تَطفُو بنفسٍ وتَرْسُــبُ

فمــا رَاعَــني إلاّ الزمــانُ يَلُفُّني إلى الضّفّة الأخرى كما لَفَّ كوكبُ

إلى أيــنَ ؟ لاتَعجلْ رُويــدكَ هَيْنَةً فما هكذا تُطــوى الأمَانِي وتَذْهبُ

وما هكذا يُجْــزَى الذي جَدَّ جَدُّه إلى القمةِ الشــمّاء، والقلبُ مُلْهَبُ

وخلّــفَ في ناءٍ من السّــفْحِ زَادَه وما عَــزّه في ذلك الوعــرِ مَرْكبُ

رويــدكَ يا هــذا الزمــانُ فإنني من الهوّةِ الجَرَداءِ أخْشَــى وأَرْهَبُ

وإن لا يكنْ بُدٌّ من الســيرِ فانطلقْ إلى الخلــفِ إنّي عَاذِرٌ لــك مُعْتِبُ

تَألّفْتُــه يومــاً فإنْ عُــدتُ لم أَعُدْ إلى غربــةٍ تجفُــو علــيّ وتَنْكُبُ

ولكنّــه لم يُصْــغِ لي في ضَرَاعتي ومــازال يَهْــوِي بي ولا يَنْكُــبُ

إلى الهوةِ الجــرداءِ فالعُمرُ مُجْدِبُ إلى الهــوةِ الجرداءِ فالدّهْــرِ يَلْعبُ

* * *

١- تَنكب: تميل عني. والمراد تبتعد

مصرع قصيدة*

أحسسْتُ مَصْرَعَها بِنَفْسي بينَ التأوُّهِ والتأسّي
وسمعت حشرجة الجريح تئنُّ في أطواء حسّي
هي من بنات الشّعر لم تُولَدْ، ولم تُوأَدْ لوكْسِ[1]
جاشت لفاتنةٍ على الشُّطآنِ ذاتِ رضًا وأُنْسِ
نضِجَت محاسُنها كما نضجت قطوفُ جنًى بِغَرْسِ
وحسبتها صينت على ال أنظار من قطفٍ ومسّ
فهممتُ أدعوها دعا ءَ الفَنِّ في خطراتِ همسِ
شعراً يسّجلُ حسْنَها للكون في أحناءِ طِرْسِ
وإذا الأيادي القاطفات تجول في عَبَثٍ وبخس!
يا ويل قُطّاف الجمال بغير ما وَرَعٍ ونَطْسِ[2]
بَيْنَا نَحُومُ عليه في تَقْوى كما نَرْنُو لِقُدْسِ!

* * *

وإِذا التي جَاشَتْ بِنَفْسِي تُشَوّى مُضَرَّجَةً بِحِسّي!

* * *

* نشرت في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٣٨

١- الوكس: العيب والنقص.

٢- النطس: من نطِسَ أي دقق النظر في الأمور واستقصاها.

وجوه طريفة*

طَالعِيــنى في كلّ يــومٍ بِوَجْــهٍ   فلديكِ الوجــوُهُ شــتَّـى طريفَهْ

وَافْجَئينِــى لديــك بالخَطْرِ المَحبو   بِ يُجَــدِّدْ حياتَنــا المَألُوفَــهْ

بِــتُّ أَشْــتَاقُهُ وأرقُــبُ مَــاذَا   يَحْمِــلُ اليومُ من أمــانٍ مَخُوفَهْ!

كلّ سَــمْتٍ أراكِ فيــهِ جميــل   كلُّ ظــلٍّ أراكِ فيــه شَــفيفه

أنــتِ مــا أنــتِ؟ عَالَــم مُترام   أبْــدَعَ الفــنُّ والمُنَــى تَأليفَــهْ

أنــت كُثْــرٌ فَفيكِ تَحْيَــا طُيُوفٌ   كلُّ طَيــفٍ لــه رُؤاهُ المُطيفَــهْ

تــارَةً أنــتِ حَــرَّةٌ أصْطَليهَــا   وإِذَا أنــتِ كالرِّيــاضِ الوَرِيفَــهْ

وَتَلُوحِــينَ قِطْعَــةً مِــن حَنــانٍ   وَتَلُوحِــينَ بَعْــدَ حِــينٍ مُخيفَــهْ!

وأرى فيــكِ طِفْلَــةً لم تبــارحْ   مَلْعَــبَ الطِّفْلةِ. اللّعــوبَ الخَفيفَهْ

وإذَا أنــتِ قَهْرَمَانَــةُ دَهْــرٍ   مُوْغِــلٍ في المَســارِبِ المَلْفُوفَــهْ(1)

وإِذا ما انْطويتِ أمســيتِ سِــرًّا   صَانَــهُ الدَّهْــرُ مُحْكِمــاً تَغْليفَه

وإِذَا مــا انطلَقْــتِ مثلَ شُــعَاعٍ   كنــتِ رَقْرَاقَــةً وكنــتِ لَطيفَــهْ

لَــكِ طَعْــمٌ أذُوقُــهُ بَــل طُعُومٌ   كُلُّهَــا نَاضِــجٌ هَويــتُ قُطُوفَــهْ

هُــوَ طَعْمُ الحياةِ في فَــوْرَةِ النُّضْجِ   شَــهِيُّ الْجَنَــى خَبِــرْتُ صُنُوفَهْ

* * *

---

* نشرت في آذار (مارس) عام ١٩٤٢

١ – قهرمانة: مدبرة البيت ومتولية شؤونه ويقال: المرأة ريحانة وليست بقهرمانة.

إلى الظلام*

إلى الظَّلام الأمين تَحدَّري يَا سَفِينِي
وَجَانبي كُلَّ نُورٍ النُّورُ يُؤذِي جُفُونِي
لَقَدْ حَطَمْتُ شِرَاعِي ومِجْدَفي ويَميني
وهدّ عَزْمِيَ مَوجٌ يَثُورُ كالمَجْنُونِ
أخْشَاه أخْشَاه جُهدِي فَحَاذِرِي يا سَفِينِي!

* * *

طَالَ الصِّرَاعُ ونَاءتْ نَفْسِي بِعبْءِ السِّنِين
أُرِيدُ وَقْفَةَ أمْنٍ في مَجْهَلٍ مَأمُونِ
أُزِيحُ فيهِ قَليلاً عَن عَاتِقي المَوْهُونِ
وأستريحُ رُويداً من الصِّراعِ الحَرُونِ[1]
وقد أُعاوِدُ سَيْري في اللُّج أزجي سفيني

* * *

إلى الظلام الأمينِ إلى مَلاذِ السُّكون
طَالَ التيقُّظُ حتّى أعْشَى السُّهادُ عُيونِي[2]
إلى المَسَارِبِ فَامْضِي لأنْزَوِي عن شُجُونِي
وعَنْ رَجائي ويأسي وكلّ ما يَعْنِينِي
الانْزِوَاءُ مُرِيحٌ فأوْغِلِي يَا سَفِينِي

* * *

---

* نشرت في ١٩٣٤.

١- الحرون: المتمرد والمراد: الصراع المرير.

٢- أعشاها: أضعفها.

قافلة الرقيق *

قِــفْ بنا يا حَــادِي العمــرِ هُنا لَحْظَــةً تَنْظُــرُ مــاذَا حوْلَنــا
في طَرِيــقٍ قَــدْ نَثَرْنَــا عُمْرَنــا فيــه أشــلاءَ حيــاةٍ ومُنَــى

* * *

قــد نَثَرْناها على طَــولِ الطريقْ ومَضينَا ضِمْــنَ قُطْعــانِ الرَّقيقْ!
مَوكِبٌ يَعطُو إلى الشَّطِّ السَّحيقْ مُغْمَــضَ العينين يَسْــرِى مَوْهِنا[1]

* * *

من ظَــلامِ الغَيبِ تَخطُــو قَدمَاه لظَــلامِ الغيــبِ تَنْسَــاقُ خُطَــاه
في طريــقٍ غامــضٍ يُدْعَى الحياه يَهْتِــفُ الحــادِي فيمضِــي مُذْعِنَا

* * *

لَهَفَــةً لو عُدتُ أرْعَــى خُطَواتِي في طَرِيــقٍ دَرَجْــتُ فيــه حَياتِي
فَتَطلَّعــتُ إلى هــذا الشَّــتاتِ وأنــا في الكَــرَّةِ الأخْــرى أنَــا!

* * *

لَتَمَلَّيْــتُ شِــيَاتِي وسِــماتِي وأمَانِــيَّ ويأسِــي ورَجَاتِــي[2]
وحَمَاقَاتِــي ورُشْــدِي وهَنَاتِــي والهَــوى الحَانِــي الــذي ظَلّلنــا

---

* نشرت في عام ١٩٤٦.
١ – المَوهِنُ: نحوٌ من نصف الليل أو بعد ساعة منه. والمراد ليلاً.
٢ – شياتي: مفردها الشية. العلامة.

* * *

كلُّها عَاهَــدتُ أن أقْضِي عُمرِي   وأنــا أُخْلِصُهــا سِــرّى وجَهْرِي

وإذَا السّــوْطُ هَوى يُلْهِبُ ظَهَرِي   حيثُ لا أسْــتطِيعُ رَيْثــاً أو وَنى[1]

* * *

وإذا الآمَــالُ والآلامُ خَلْفِــي   سَــاخِرَاتٌ مِنْ مواعِيــدي وخُلْفِي

مُلْقَيــاتٌ بــينَ إهمــالٍ مُسِــفّ   لم أُوَدّعْهــا. فيــا وَاحَزَنَــا![2]

* * *

أيُّهــا الحَــادِي ألا فامــضِ بنَا   قــد أثــارتْ ذِكْرَياتِي الشّــجَنا

لم نعُــدْ نَجــزعُ لو تَحْــدُو لَنَا: «نحــن لا نَرْجَــع يوماً هــا هُنا»

* * *

١- الريث: التمهُّل ، الونى: الضعف. ٢- المُسِفّ: من أسَفّ إذا دنا إلى الطريق.

في مفرق الطريق *

بين نفسين من النفوس الكثيرة التي تعيش في الإنسان الواحد متفرقة في بعض الأحيان. دار هذا الحوار... فأما إحداهما فتتعلق بماض عزيز لا رجعة له ولا أمل فيه، وأما الأخرى فتترع إلى العزاء بالتطلّع إلى جديد:

أنْتَ أوْغلتَ في الظلامِ طويلاً فمتى يا رفيقُ تبغى القُفولا؟
شدَّ ما آدَنَا التخبُّطُ في الليلِ وخِفْنا ظلامَه المدخولا![1]
ورأينَا الأوهامَ تبدو شخوصاً ورأينا الشخوصَ تبدو هَيُولَى[2]
وَخَبَرْنا فلم يُفِدْنا اختبارٌ وسَخِرْنَا مِمَّا خَبَرْنَا طَويلاَ
يا رفيقي. إذا قَدَرْتَ فأوِّبْ إن هذا الظلامَ يُضْنِي العُقُولاَ

* * *

أنا أخشى الضياءَ أُبْصِر فيها ذكرياتي تبدلتْ تبديلاَ
أنا أخْشى النَّهار يكشفُ عني كلَّ وَهْمٍ أرُودُه تعليلا
أنا يا صاحبي أُشيحُ بوجهي أنا أرى عهْدنا تَرَدَّى قتيلا
أنا يَا صَاحِبي أُدافِع عَقْلِي أنْ يَرُودَ الْيَقِين جهماً ثَقيلاً
الظَّلامُ الظّلام أرْوَحُ للقلبِ ولو كان لا يُريح العقولا!

* * *

---

* نشرت في آب(أغسطس) عام ١٩٤١

١- آدنا: أتعبنا وأهرقنا.

١- الهيُلى: مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة، قالبلة للتشكيل والتصوير في شتى الصور.

يَا رَفيــقُ. الحَيَاةُ أسْــمى وَأغْلى   أن تُقَضّــى كــذاك وهمــاً ضئيلاً

يــا رفيــقُ. الحياةُ أقصــرُ عهداً   أن تُضحّــى ســاعتها تخْييــلا

أُبْ مــن الظُّلمــةِ الحبيبة واهجُرْ   كلّ مــا كان في الحيــاةِ الأولى

وتطلّــعْ إلى جَمــالٍ جَديــدٍ   أفلــم تَلْــقَ في الحيــاةِ جميــلاً؟

عِــشْ بما قــد وُهِبْتَهُ مــن حياةٍ   مُسْــتثارَ الإِحســاسِ نَهِماً عجُولا

* * *

آه يــا صاحــبي أتجهــلُ أنّــى   أفقِــدُ الــدّارَ إنْ فقــدتُ الطُّلولاَ

ذاك عهــدٌ أنفقتُ فيــه رَصيدِي   كلّــهُ لم أُبْــقِ منــه قليــلاَ

أتُراني أُجــدّدُ الذُّخــر والعُمــ   رمُــوَلٍ والجَهْــدُ أمســى هَزيلاَ؟

أنــا باقٍ هُنــا فإن شــئتَ دَعْني   ورُدِ الْكــونَ حافــلاً مَأهُــولا

أنــا بــاقٍ هُنــا أرُودُ طُلُــولي   لَم أعُدْ بَعــدُ أســتطيبُ القُفُولا!

* * *

أقدام في الرمال *

نحنُ؟ أم تلك على الأرضِ ظلالْ؟ وخيــالٌ سَــارِبٌ إثْــر خيــالْ
في متاهــاتِ وجــودٍ لــزوالْ كبقايــا الخطــو في وجــه الرِّمالْ

زُمَــرٌ تَدْلــفُ في إثْــرِ زمَــرْ وَيْحَ نفســي ! إنه ركبُ البشــر
مغمــضُ العَيْنَيْن في كَــفِّ القدَرْ كلَّمــا أوْغَــلَ في التِّيــهِ انْدَثَــرْ

* * *

أينَ رَأْسُ الركْبِ أم أيَّانَ سَــارَا؟ مــا أرى في إثْــرِه حتّــى غُبَــارَا
مــا أرى قبراً ومــا أُبْصِــرُ دَارَا ضَلّــةً لي! ذاكَ ظِــلٌّ وتَــوَارَى[1]

* * *

مِنْ ظَــلامِ الغيبِ في التيــهِ البعيدْ لظــلامِ الغيــبِ في التيــهِ المديدْ
وَمْضَــةٌ كالــبرقِ تجتــازُ الوجودْ ويُسَــمِّيها بنُــو الأرضِ الخُلُودْ!

* * *

خُدْعَــةٌ رَاقــتْ لأبنــاءِ الفَنَــاءْ حينمــا أعْيا علــى الأرضِ البَقَاءْ
المســاكينُ هَبَــاءٌ في فَضَــاءْ رَحْمَــةً للذرِّ في مَسْــرَى الهواءْ!

* * *

---

* نشرت عام ١٩٤٦
١- الضَلّة: الحيرة

ما أرى الأرضَ تَحِسُّ الوافدين   أو أرى الأرضَ تَحِسُّ الرَّاحلينْ
كلُّ مَا كَانَ وما سوف يَكُونْ   نَأمَةٌ تَهْجِسُ في جَوْفِ السُّكُونْ

* * *

خَطَواتٌ ذاهباتٌ في الرِّمَالْ   وخيالاتٌ تَرَاءَتْ لخيالْ
وشُخَوصٌ تتوارى كظِلالْ   للزوالِ... كلُّ شيءٍ للزوالْ!

* * *

خدعة الخلود*

لا أنتِ سَالَمكِ الزمانُ ولا أنَا   لا أنْتِ داعيةٌ ولا أنا مُسْتَجيبْ
هذي مَياسِمُه على قَسَمَاتنا   قَرَّتْ أمانينا على الأُفقِ القَريبْ
ودَبيبُه ينسابُ في خَطَرَاتنا   ويَكْشِفُ الوهمَ المُغَلْغلَ في الغيوبْ
ويَدَاه تَنْسلُ من خيوطِ حَياتنا   وبدوتِ عاريةً من الألَقِ العجيبْ
ويَدُ البِلى تَطوي الرغائبَ والمُنى   وبدوتُ عَاديَّ المحاسنِ والعُيوبْ!

* * *

ما الفجرُ؟ما الأحلام؟ما الشوقُ الدفينُ   ألقاكَ كالذكرى تَمرُّ بخَاطرِ
مَا نَشْوةُ الذّكرات؟ ما حَرْقُ الحنينِ؟   كالخَطْرَةِ الوَسْنَى بفكرةِ شَاعرِ[1]
مَا وَهْلَةُ الغيبِ المُوشَّحِ بالفتونِ؟   كالرسمِ يَبْهتُ لا يَبينُ لناظرِ
ما اللهفةُ الكبرى تُراودُ في جنونٍ؟   كبصيصِ نارٍ في الرمادِ الفَاترِ
مرّتْ عليها كُلّها كَفُّ السنينَ!   وَيْحي ويحُكِ نحنُ ذِكْرى عَابرِ!

* * *

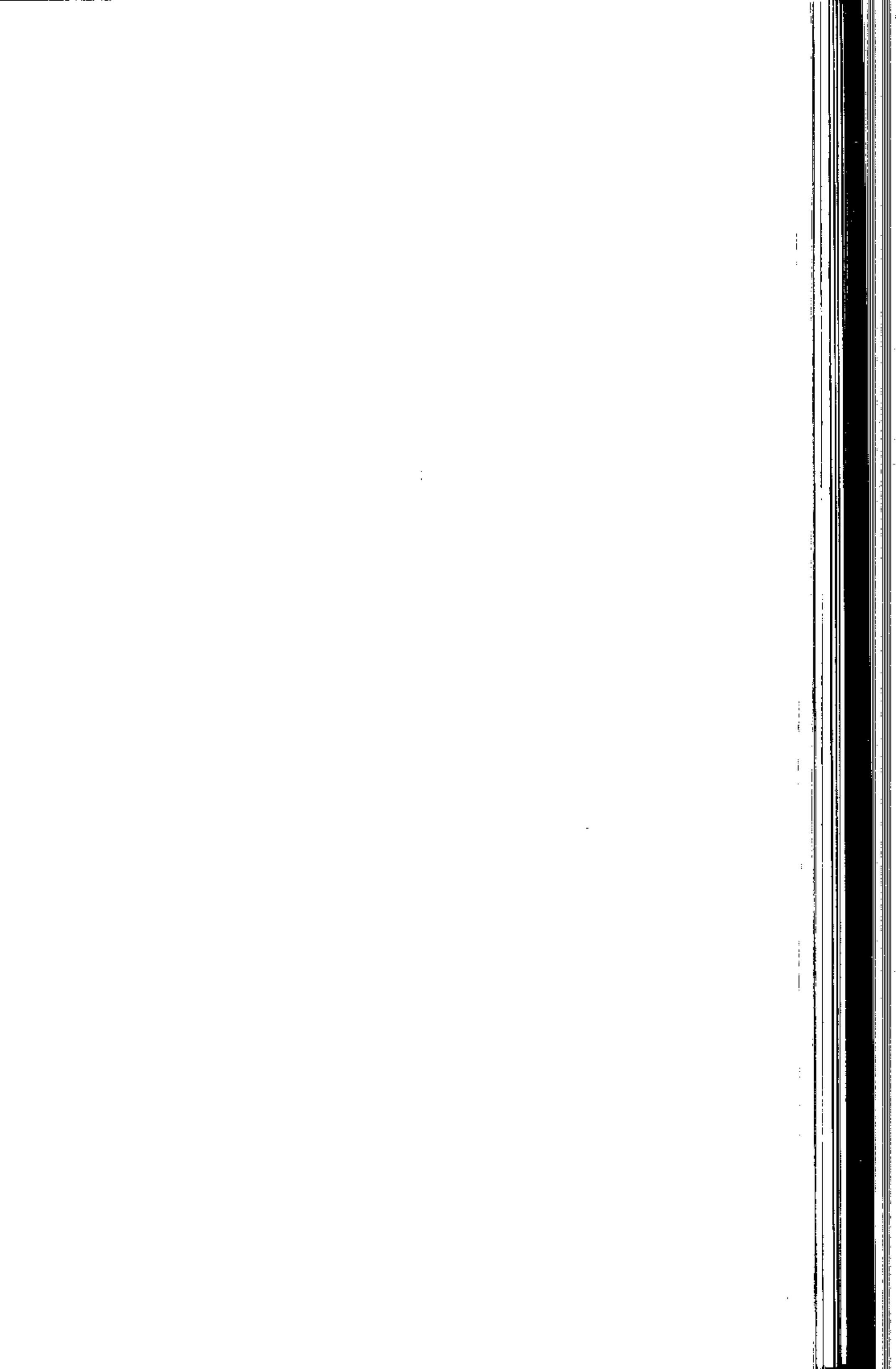
خَطَوتُك النَّشوى التي كادتْ تَطيرُ   ويَحْي وويحُك ما الحياةُ وما الخُلُودْ؟
وتوَفُّزُ النَظَراتِ في ألَقٍ مُثيرٍ   خُدَعٌ تُهَدْهِدُنا بها الأمُّ الولودْ
وتَوثُّبُ اللفتاتِ في لَهَفٍ حَرورٍ   ويدُ البلى تَطْوى القديمَ على الجديدْ
وتُقَلُّبُ الرّغَباتِ في قَلَقٍ غَريرٍ   والدَّهرُ ماضٍ لا يكلُّ ولا يَحيدْ[2]
ويَحْي وويحُكِ قدْ تَعاروَها الفُتُورُ   والناسُ والأيامُ والدُّنيا عَبيدْ

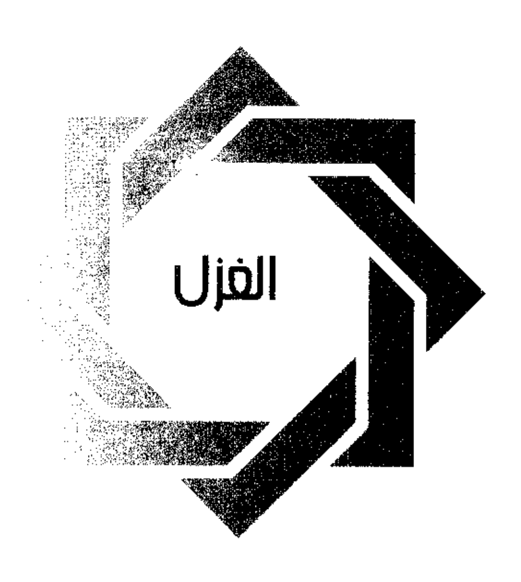
* * *

* نشرت عام ١٩٤٨.

١- الوسنى: الناعسة.

٢- الغرير: الساذج، عديم الخبرة.





هي أَنتِ التي خُلِقَتْ لِنَحْيا

في ظلالٍ من الوفاءِ الرَّشيدِ

كحياةِ الأَرواحِ تُضْفِي حناناً

وهي تهفو في ظِلِّها الممْدُودِ

ليلة؟! *

يا ليلةَ الأمسِ والليــلاتُ ذَاهبةٌ كغَمْضَةِ العــينِ في أضْغَاثِ أَحْلامِ
يَرْعَاكِ مَنْ وَهبَ الإنسانَ عاطفةً تجيشُ بالحــبِّ عَن وَحْــيٍ وإلهامِ
يَرْعَاكِ مَنْ خَلَقَ الأرواحَ شَاعرةً دقيقــةَ الحــسّ في رِفــقٍ وإحكامِ
لأنتِ أقصــرُ ليلاتــي وأخْلَدُها وأنــتِ أَزْهَــرُ سَــاعَاتِي وأيامي
فيــكِ التقينا فــلا إثمٌ ولا حَرَجٌ في ظلِّ طيفٍ من الإخلاصِ بَسَّــامِ
ورُوحٌ من الحبِّ خَفّاقٌ يَحفُّ بنا حفَّ النسيمِ بِغُصنِ الدَّوْحَةِ النّامي
ويُنْشِــدُ الحــبُّ أنغامــاً يُلحّنُها لحنَ الطبيعةِ ذَاتِ المنطقِ السَّــامي
بالليــلِ يَتلُو على الأكــوانِ آيتَه ما أبدعَ الليــلَ في شَــدْوٍ وأنْغامِ

* * *

يــا ليلةَ الأمسِ هَــلا أنت عائدةٌ إلى الزمــانِ فَأنْسَــى كل آلاَمــي
إنّــي لألْمَحُ طيفاً مِنْكِ يُؤْنسُــني في وَحْشَــتي بــينَ أيقــاظٍ ونُوَّامِ
ذكــراكِ باقيةٌ مهمــا يَطُلْ زَمني فأنــتِ زهــرةُ أيامــي وأَعْوَامِي
فيــكِ أوّلُ آمَــالي وآخرهــا وأنــتِ مَنْبَــعُ إمــدَادي وإلهامِي

* * *

---

* نشرت في أيلول (سبتمبر) ١٩٢٩.

نظرة موحشة *

أهو حظي منك تلك النظرات كلما جادت بمرآك الصُّدَفُ؟
وخيالاتٌ تراءى في سُبات مُذْ كيات ما بنفسي من شَغَف؟
أكذا تمضي بقيّاتُ الحياة ليتَ شعري وكذا يُقضي العُمُرْ؟
آهٍ . ما أشجى وما آلم . آهِ إن يكن هذا فما أقسى القَدْر!
أين ساعاتٌ مضت قبل الفِراق ملؤها العطف وريّاها الوفاْء؟[1]
هكذا الدنيا اجتماع وافتراق وهي آهات وذكرى وشقاءْ!
شد ما ألقاه في هذا النّوى من عذاب ينكأُ القلب أليم[2]
شَدَّ ما تَسْتشعرُ النفسُ الجوى فَتلظّى في شُعورٍ كَالجحيمْ
ليتني أدْرِي — وإن لم يُشْفني — كيفَ أُبْدِي مَا بِنَفْسِي مِنْ أَلَمْ!
ربَّ إحساسِ أليمٍ شَفّني لم أصورْهُ بلفظٍ فاضطرم[3]
آلم الإحساسَ إحساسٌ دفينٌ وشعورٌ في فؤادٍ يَشْتَجِرْ
لم يَجِدْ لفظاً فأدّاه الأنينُ ودموعٌ سَاكِباتٌ تَنْهَمِرْ
أتَرى آلَمُ للقلبِ الكَليمِ مِنْ رَجاءٍ كان يَزْهُو فَخَبَا؟
وانطوى يَغْمرُه يأسٌ عَقيمٌ يتركُ القلبَ قِفَاراً مُجْدِبا؟
أتُرى أوْحَشَ مِنْ ديرٍ كئيبٍ في فَلاةِ لا يُدانِيها البَشَرْ

* نشرت في نيسان (إبريل) عام ١٩٢٩.
١- ريّاها الوفاء: ملؤها الوفاء.
٢- ينكأ: يفتح الجرح من جديد.
٣- شَفّني: أنحلني، أذهب عقلي.

وتكادُ الرِّيــحُ تَحميــه الهبوبَ   دَقَّ نَاقــوسٌ بــه عندَ السَّــحَرْ؟
ذَاك قَلْــبي بعــدَ فُقْــدانِ الأملِ   مُوحِــشٌ يَطْرقُــه صوتٌ سَــحِيقْ
تبعــثُ الذكرى صَــدَاه إذْ تُطلُّ   مُشْــجِياً يُوغِلُ في الصَّمْتِ العميقْ
ما الــذي كانَ وماذا سَــيكُونْ؟   لســتُ أدْري مَا جَوابي، لا جَوابْ!
لَيتــني أدرِي خَبيئَــاتِ الســنينْ   إن فِراقــاً أو يَكُــن بعــدُ اقترابْ
إيــه يــا مِــلءَ فُــؤادِي ومُنَاهْ   إيــه يــا رمــزَ الأمَــاني والأمــلْ
يا نســيماً ضَــمَّ أنْفَــاسَ الحياةْ   نَفْحَــةٌ تُهْــدِي إلى مَيْــتٍ أجَــلْ
أنــا إذ ألْقَــاك عَفْــواً لا أُحِسُّ   فيــك جســمْاً كبقيات الجسُــومْ
إنمــا ألقــاكَ طَيفــاً لا يُحَــسُّ   طائفــاً يَهفُو كمــا يَهفُو النَّســيمْ
في خَيــالي أنــتَ أنْقَــي وأرقُّ   أنــتَ رُوحٌ فيــه أو طيــفُ مَلَكْ
بجناحَيــه تَــراءى فخفــقَ   بِســناءٍ هــادئٍ يُغْــرِي الحَلَــكْ
أفَــلا لُقْيــا بِثغــرٍ بَاســمٍ؟   أفــلا قلــبٌ أُناجِيــه سَــمِيعْ؟
أفــلا شَــكْوى فُــؤادٍ هائــمٍ؟   أفلا نَجْــوى بِصْمَتٍ وخُشُــوعْ؟
«بِحَياتِــي أفْتَدِي هــذا اللقاءَ»   وأمانِــيَّ ومــا ضَمَّــتْ يَــدَاي
وبِنَفْســي لو دَنا عهــدُ الرِّضَاءِ   فَمَحــا بُؤْســى وأوْدَى بِجَــواي
وأوَى قلبــين في بُــرْدِ الوَفــاءِ   مثــلَ مــا كانَــا شَــقِيقَيْ مَوْلِدِ
ليتَ. لكن «ليتَ» لا تُدني رَجاءَ   فَلأَمُــتْ أو أبــقَ حِلْــفَ الكَمَدِ

* * *

طيف!!*

هو هــذا أنتَ يا طيــفُ؟ فَأهلاً مرحباً يا طيفَ مَنْ أهوى وسَــهْلاَ

* * *

هَــوَّمَ النَّــومُ وأرْخَــى رِيشَــه واحتــواني بِجَنــاحٍ قَــد تَدلَّــى
وانــزوى العَــالَمُ عنّــي وخَبَتْ ضَجّــةُ الكَــونِ وما فيــه وَوَلَّى
ها هُنــا في النــومِ ألْقَــى عَالمَاً هَادئــاً رَحْبــاً ويَسّــاماً مُظــلاَّ
وتَراءى الطيفُ سَــمْحاً رَاضِياً بَاسمــاً كالأمــلِ الحُلــو وأحْلَــى
هُو هــذا أنتَ يا طيــفُ؟ فأهلاً مرحباً يا طيفَ مَنْ أهوى وسَــهْلاً

* * *

أدْنُ مِنّي فاســتمعْ لَحْنَ فُؤادي إنّــه لَحْــنٌ يُغَنّيــه بَديــعْ

* * *

إنَّــه عنــوانُ حُــبٍّ وَوِدَادٍ وهَيــامٍ بين أحْنــاء الضُّلُــوعْ[1]
إنَّــه أُنْشُــودَتِي أخْلُــو إليهــا بــينَ صَمْــتٍ وهَيــامٍ وخُشُــوعْ
إنــه لَحْــنٌ أُغَنِّيــهِ وَقلْبِــي خَافقٌ والعــينُ تَهْمــي بالدّمُوعْ[2]
أدْنُ مِني فاســتمع لَحْــنَ فُؤادي إنَّــه لَحــنٌ يُغَنّيــه بَديــعْ

* * *

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٢٩.
١- أحناء: الأضلاع

هـــاك قَلْبِــي فتســـمّعْ خَفقاتِــه   فهــو قَلْــبٌ مُسْــتثارُ الخَفَقــاتِ

* * *

بَلِّـــلِ الْوَجْــدَ وهَــدِّىء زَفَرَاته   فهــو قَلْــبٌ ضَيــقٌ بالزَّفَــراتِ

أنتَ يا طيفُ الذي يرجُو فُؤادي   بعد ما قَــدْ ضَاقَ ذَرْعاً بالشَــكاةِ

هــاكَ قَلْبِــي فتســمّعْ خَفَقَاته   فهــو قَلْــبٌ مُسْــتَثارُ الخَفَقَــاتِ

* * *

أنْـــتَ يا طيــفُ ويا رَيّــا حبيبي   أنــتَ رُوحُ أو رَمْــزُ السَّــلامِ

* * *

لــك مِنّــي كُلُّ مَعْــنى قُدْسِــيّ   يَهْمِــسُ الحــبُّ بِــه بــينَ الأنامِ

أنـــتَ يا طيــفُ ويا رَيّــا حبيبي   أنـــتَ رُوحُ الحبّ أو رَمْزُ السَّــلامِ

* * *

صوت؟!*

تُذَكِّــرُنِي الماضِي فآســى لِذِكْرِه وتُوقظُ أشْــجَانِي وقد كنتُ نَاسيَا
وتُلْهِبُ إِحسَاســي بأنغامكَ التي تحــدّثُ عــن قلــبي إِذَا أنَّ باكيا
حنانَك هذا القلبُ قد آدَه الأسى فخلَّفَــه نضْــواً من الهــمّ واهيًا[1]
تُهيــجُ بِــه الأنغــامُ آلامَه التي تحمّلَهــا بالرغــم أسْــوانَ رَاضيَا!
تحمَّلها لم يَشْــكُ للنــاسِ ثِقْلَها وقد كان معذوراً لو آلتاعَ شــاكيَا

* * *

تُذَكِّــرُنِي حُبَّــا قديمــاً دفنتُــه ونفضتُ كَفِّي يائســاً منه آســيَا
ورحــتُ أواري كلَّ آثــاره التي تَراءى فَتُذْكِي الشَّجْوَ لَوْ بَاتَ خَابيَا
بعثــتُ به حيّــاً يُطِــلُّ ويَنْزَوِي ويفتــحُ أجْفَانــاً مِراضاً سَــواهيَا
يُجَرْجِرُ أكفاناً من القلبِ صُغْتُها تُمَــزِّقُ أشــتاتاً وتبــدُو بَواليَــا
هو اليَــومَ ذِكْرى لا تُرْجَى حياتُه فلا هــو مَعْدومــاً ولا هُــو باقيَا
هو اليــومَ آلامٌ وقــد كان مُتْعةً ورُوحــاً ورَيْحاناً وطيْفــاً مُناغيَا

* * *

ترددَ هذا اللحنُ في النفسِ قَبْلَما بعثتُ بــه صوتاً من الثغرِ شَــاجيَا
وجَاشَ به صدرُ الحيــاةِ فرجَّعَتْ أغاريدَه كالنُّــوحِ أسْــوَانَ دَاوِيَا
وحدَّثْتَنَــا عَما أكَنَّتْ نُفُوسُــنا فأيقظت فيها كلَّ ما كانَ سَــاهيَا[2]
تَحدَّثْ إِذنْ ننصتْ وإِن ثَارَ شَجْونَا ونُمْسِــكُ أكبــاداً تَنَــزَّى دَواميَا

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٠، والمراد بالصوت : محمد بخيت.
١- آده: أتعبه وأرهقه، النضو: الهزيل.
٢-أكنّت: أخفت.

هي أنتِ *

هــي أنتِ الــتي خُلِقَــتْ لِنحيَا في ظــلالٍ مِــنَ الوفاءِ الرشــيدِ؟
كحيــاةِ الأرواحِ تُضْفِــي حناناً وهــي تهفُــو في ظلّها الممــدودِ؟
حيثُمــا الحــبُّ طائــفٌ يَتَراءى كالمــلاكِ المهــوّمِ المَكْــدُودِ
حَانِــي العِطْفِ إذ يَضــمُّ علينا ضمــةَ الأمِّ رَحْمَــةً بالوليــدِ
فــإذا الكــونُ والحيــاةُ جمــالٌ وإذَا العيــشُ فُسْــحَةٌ في الخُلُودِ؟

* * *

هي أنْــتِ التي أطافتْ بنفسِــي وتــراءتْ في خَاطِري مــن بعيدِ؟
حينمــا كنــتُ هائمــاً أتلقــى أغنيــاتِ الآمالِ شَــتّى النشــيدِ؟
في ظِــلالٍ مــن الأمانِــي تَتْرى بــين وادِي التعلَّــةِ المعهــودِ![1]
إذْ تَراءَيْــتِ هَالــةً مِــنْ رجاءٍ هَــادئٍ لَيِّــنٍ رفيــقٍ وَئيــدِ[2]
ثم دَانَيْــتِ في دَلالٍ وديــعٍ ثم باعــدتِ في دلالٍ شَــرودٍ؟

* * *

هي أنــتِ التي تلاقيــتِ رُوحاً مع روحِــي فَهَامتَــا في الوجودِ؟
هــي أنتِ الــتي تُحَــدّثُ عنها خَطَــرِاتي، في يقظــتي وهُجُودِي؟

---

* نشرت عام ١٩٣٠
١- التعلة: ما يُتعلل به.
٢- وئيد: متمهل.

إن تكُـــوني! إذْنْ فهـــاك فؤادي كلّـــه خالصـــاً نقـــيَّ العهـــودِ

وتعالَـــيْ نَبْـــغِ الحيـــاةَ جهـــاداً عبقـــريَّ التصويـــبِ والتّصعْيـــدِ!

شَـــجّعيني علـــى الجهـــادِ طويلاً فجهـــادُ الحيـــاة جـــدٌّ شـــديد

أشْـــعريني بـــأن قلبـــاً نقيًّـــا يرتَجى سَـــاعدي ويهوى وُجُودي

ثم سِـــيري معـــي نَخُـــطُّ طريقاً كمهـــادٍ في الصَّخـــرةِ الجُلْمُـــودِ

نظـــرةٌ منـــكِ وابتســـامةُ حُبٍّ تتـــركُ الصَّعْـــبَ ليّنـــاً كالمُهـــودِ

لكِ منـــي عَواطِفـــي وعُهودي لـــكِ مـــني رعايـــتي وجُهـــودي

* * *

أحبك *

أُحبــكِ كالآمالِ إذْ أنــتِ مِثْلُها   تُذَكّين في نفِســي أعــزَّ مَواهبي[1]

ومــا هِــي إلا نظــرةٌ شــاعريَّةٌ   تعبِّــرُ عمــا شــئتُه مِــنْ رَغَائبِ

فَتَسْرِي إلى نَفْسِــي مَضَاءً وجَرْأَةً   ووثبَةَ حسَّــاسٍ. وَعزْمَــةَ راغب

ورُوحاً ذَكِيّ النفحِ يَسْــرِي كأنَّه   نشــيدُ مَــلاكٍ هَائــمٍ مُتَقَــارِبِ

يعيــدُ إلى المكدودِ راحة نفســه   ويبعثُــه خَلْقــاً جديــدَ المطالبِ

* * *

أُحبُّكِ من قلبي الــذي أنْتِ مِلْؤُه   ومِنْ كلِّ إحســاسٍ بِنَفْســي ذَائبِ

فُؤادي الذي فتَّحْتِ فيه مشــاعراً   من الحبِّ والإحساسِ شَتَّى المَذَاهبِ

سموتُ به حــتى تكشّــف دونَهُ   عــوالمُ أقــرى تائهــاتِ الجوانبِ

عــوالمُ لاتعــد ولقلــبٍ مَنصَّبٍ   بلا ذلك القلــب الرفيق المصاحب

هِــا كلُّ لــذاتِ الحيــاةِ ودونَها   لِذائــذُ أُخْرى كاذبــاتِ العَواقبِ

* * *

أُحبُّــكِ إذ تَرجــين مــنِّ رعايةً   وتَهْوينَ ســاعاتِ الحيــاةِ بجَانبي

هنالك نَسْــمُو بالحيــاةِ فَنرْتقي   إلى كَنَــفٍ بينَ الســمواتِ ضَاربِ

هنالــك نَحيــا والأمــانيُّ حَوْلَنا   تُغَــرِّدُ ألحــانَ المُــنى والرغَائــبِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٠.

١- تذّكين: من ذكت النار: اشتدد لهيبها

توارد خواطر!*

خَطَرَ ببالِ الشاعر اسمٌ مُعين، ثم نَظَر فجأةً ؛ فإذا بصاحبةِ هذا الاسم تنظرُ إليهِ وتحييه...!

أفأنتِ ذي ؟ أم ذاكَ طيفُ منام؟ إني أراكِ كطائــفِ الأحـــلامِ !

لما خَطَرْتِ وقد سَمَوْتُ بخاطري ألفيتُ شَــخْصَك كالملاكِ أمَامي

فَدُهِشْتُ أو فارتعْتُ أو فتضَرَّمَتْ خَفَقــاتُ قلبي المُنتَشِـي البَسَّــامِ

عجباً! أكنتِ هُنا فأوْمَضَ خاطري بكِ؟ أم سريت على جناحِ غرامي

إنَــي لأ ومِــنُ بالغــرام وإنّــه يَقْــوي علــى مُتَعَــذِّر الأوهام!

* * *

ماذا صنعتِ بعالَمِـــي وخَواطِري لَمَّــا لَقِيتُك كالخيالِ السَّــامي ؟

أفَأنْتِ سَـــاحِرةٌ تَصُوغُ من الدُّجَى نوراً، وتبعــُث في الحياة حُطامي ؟

وتُحيلُ صُـــمَّ القافــراتِ نَوابضاً بالزهـــرِ ، والآمـــالِ والإلهَام ؟![1]

وتُجَمِّــلُ الدُّنيـــا وتَخْلُــقُ عَالَماً للخُلْــدِ فيه مَــدارِجٌ ومَسَــام ؟

الله ! . أو فالحـــُب . فهـــو ظِلالُهُ في عـــالمِ الأوهـــامِ و الأفْهـــامِ !

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٣

١- صم القافرات: الأرض الصّماء المجدبة.

ياللقـــاءِ ! فكيـــفَ قـــد حَجّبتِـــه عن نفسٍ منهـــومِ العواطفِ ظَام؟

هو هـــذه الدُّنيا وعَالَمُ سِـــحرِها ؟ هو ذلك النبعُ الجميلُ الطّامي؟[1]

حَجّبتِـــه عنّـــي، فأســـفَر بغتـــةً بيـــدٍ تجـــيء بِمُعْجِـــزِ الأيـــامِ !

الحـــبُّ ؛ ياللحـــبِّ ! يَرْتَجِلُ المُنى مـــن غـــيرِ تدبـــيرٍ وغـــيرِ نِظَام!

إنّي وَثِقْـــتُ بـــه ومـــا هُـــو باخلٌ بـــكِ يا ســـعادُ بيقظـــتي وَمَنامي

* * *

١ – الطامي: من طما الماء: ارتفع وملأ النهر.

عينان*

هما عينان لم يدر الشاعر مدى نظرهما، وتصوّر أنهما تستطيع اختراق الحجب والأستار، وعجب أي مدى يستنفذ طاقة هذه النظرة حتى ما وراء الكون، وهذه الطاقة في تصوره لا يستنفذُها بعدٌ من الأبعاد فتساءل:

إلى أيِّ سِـــرٍّ بَـــلْ إلى أيِّ طَلْسَـــمِ   تَوَجَّه مِنْ عينك شُـــعَاعُ مُلْهمِ ؟

إلى مَخْبأ الأسْـــرارِ في نفـــس كَاهِنٍ   تُحجِّبُها أســـتارُ دُجْوان مُظْلمِ[1]

إلى الغابرِ الماضِي الذي ضَاعَ رَسْـــمُه   وغيَّبَه النِّســـيانُ في تِيه عَيْلَمِ[2]

إلى القابـــلِ الآتِيّ الـــذي نَـــدَّ طيفهُ   عن الوهمِ بل ضَلَّتْه رُؤيا المُنَجِّمِ

إلى حَيثُمـــا الأقدارُ تُمضـــي أمورَها   على خِفْيـــةٍ من وهمِـــه المُتوهِّمِ

إلى مـــاوراءَ الكـــونِ والعـــالمِ الذي   تُحيـــطُ به رُؤيا السَّـــحَيْرِ المُنوِّمِ

* * *

لَأَحْسَسْـــتُ فيها رِعدةً[3] إذْ تَوجَّهَتْ   وَدَبَّ لهـــا قلْـــبي وأَنكَرَها دَمِي

وأَحْسَـــبُها قد جـــاوزتْ في عُبورِها   عَوالِـــمَ لم تُخْلَـــقْ ولم تُتَوهَّـــمِ

* * *

---

* نشرت في أيار(مايو) ١٩٣٤.

١ – دجوان مظلم: المراد تامة الظلمة من دَجَا يدجو: تمّ وكمُل.

٢ – عيلم: بحر.

حدثيني *

رأى الشاعر سحابة من الأسى على جبينها لا يعلم لها سبباً:

حدثيـــني بِمســـتَار شُـــجُونِكْ   واكْشِفي لي عما اخْتَفَى مِنْ شؤونِكْ
حَدّثيـــني بمـــا تُكنّـــينَ إني   أنـــا أولى بعبئـــه مـــنْ دُونِـــكْ
أنـــا أقْوى على الحياةِ إذا عِشْـــتُ   حَياتـــي مُـــزَوّداً مِـــنْ يقينِـــكْ
ولقـــد عِشْـــتُ للمآسي إلى أنْ   قَدْ عَرَفْتُ السُّـــرورَ مِـــنْ تَلْقينِكْ
ولقـــد عِشْـــتُ للبـــكاءِ إلى أنْ   قد سَـــمِعْتُ الغِنَـــاء في تَلْحِينِكْ
ولَقَـــدْ عِشْـــتُ للظـــلامِ إلى أنْ   قَدْ لَمَحْـــتُ الضّياءَ بـــينَ عُيونِكْ

* * *

حَدّثيـــني عَـــنْ سِـــرِّهَا نَظَرَاتٌ   أو دُمـــوعٌ تَجُـــولُ بـــينَ جُفُونِكْ
حَدّثيـــني عـــن الأســـى يَتَرَاءى   كأســـيف الرَّجَاءِ فـــوقَ جَبينِكَ[1]
أو تَعالَـــيْ لذلـــك الكَنَـــف الحا   نـــي عليـــك وارْكَني لِســـكُونِكِ
هُو أَحْنَى عليكِ مِـــنْ قَلْبِها الأمّ   وَأَدْرَى مـــن قَلْبِهـــا بِحَنينِـــكْ
فَاغْمُـــرِي في عُبَابِـــه المُترامِـــي   مَا مَضَى عَنْك أو أَتَى مِنْ شُجُونِكْ
وَابْعثِيهـــا ابتســـامةً وحيـــاةً   مِلْؤُها السِّـــحْرُ والهوى مِنْ فُتُونِكْ

* * *

* نشرت في آب (أغسطس) ١٩٣٤.

١ – كأسيف: رقيق القلب.

خصام *

تَخَاصَمْنـــا. تخاصمْنـــا ! كذلـــك يعبـــثُ الحـــبُّ !
أليـــسَ الطّفـــلُ إذْ تَنْـــزُو قُـــواه يَهُـــمُّ أو يَكْبُـــر؟[1]
ألَيْـــسَ يُحطِّـــمُ اللُّعَـــبَ الـــــــتي كانَ لَهَـــا يَصْبُـــو؟
أليـــسَ يَهـــزُّه الصَّخَـــبُ ويَحْلُـــو عِنْـــدَه الوثْـــبُ؟
كذلـــكَ حُبُّنَـــا يَحيَـــا وَليـــداً جَـــدُّه لعِـــبُ!

* * *

تَخاصمْنـــا. تخاصمْنـــا وإنْ لَـــم يَسْـــمَعْ القلـــبُ!
أليســـتْ لا تُحَيِّنِـــي ولا يســـليني القُـــرْبُ؟
ألسنَـــا إنِ تلاقَيْنَـــا نَغُـــضُّ وتُسْـــدَلُ الحُجْـــبُ؟
وَمـــا قُبلاتُنـــا تَتَـــرى ولا الرُّسُـــلُ ولا الكُتُـــب
كـــذاكَ نَعِيـــشُ في صَمْـــتٍ فـــلا غَـــزَلٌ و لا عَتْـــبُ

* * *

تخاصمْنـــا. خُصُومَتُنـــا ســـلامٌ ثَوبُـــه حَـــرْبُ!
ســـلامٌ بـــينَ قَلْبَيْنـــا فـــكلٌ هَائِـــمٌ صَـــبٌّ

---

* نشرت في تشرين (أكتوبر) ١٩٣٤.

١- تنزو: يثب بنشاط.

وَنَخْسِـــرُ   في   مَظاهِرِنـــا   ومِـــلْءُ   وِطَابِنـــا   كَسْـــبُ !
وَنَظْمَـــأُ   إن   تَنَاءيْنَـــا   فَيحلُـــو   الْـــوِردُ   والشُّـــرْبُ
وتَذْكُـــو   للهَـــوى   شُـــعَلٌ   فَـــلا   تَخْنُـــو   ولا   تَخْبُـــو
كذلـــك   حُبُّنَـــا   يَحيَـــا   كذلـــك   يَعْبَـــثُ   الحُـــبُّ

* * *

بيانو وقلب *

هُـــو قلـــبٌ لَمَسْـــته، أَمْ(بِيَانهُ)؟ فَتَنَـــادتْ مِـــنْ جَوْفِـــه ألحَانُـــهُ
هو قلـــبي أجَـــلْ فهـــذي الأغاني هُـــو يَشْـــدُو بهـــا، وذا تَحْنَانَه
أم تُـــراه – كمـــا أرْجـــو– فؤادٌ بـــينَ جنبيـــكِ مُلْهَـــمٌ خَفَقَانُـــه
فتلاقـــى القلبانِ في ذلـــك اللحن وحَاكـــتْ خفقاتهمـــا أوزانُـــه
وتَـــراءى في اللحن طيـــفُ الأمَاني مُطْبَقَـــاتٌ على الـــرؤى أجْفَانُه

* * *

لَحْـــنِي أنتِ خَفَـــقَ قَلْبِي نشـــيداً أنْتِ أدْرَى بِـما حَـــوى وِجْدَانُه
والْمَســـي بالحنـــانِ قَلْبِي فيشـــدُو مثْلَمَـــا تَلْمَـــسُ البنـــانُ البَيَانُـــه
بَـــلْ فُـــؤادِي مُلَحّـــنٌ عَبْقَـــرِيٌّ ! لَحْنُـــهُ مِنْـــه قِطْعَـــةُ وَبَنَانُـــه
أَلْهِميـــه النشـــيدَ وهـــو يُغَنّـــي لـــكِ وادِي الخلودِ سَـــامٍ حَنَانَهُ
أَلْهِميـــه النشـــيدَ وهـــو يُجَلّـــي لـــك وادِي الخلودِ زُهْـــرٌ جِنَانَهُ
أطلقيـــه مِـــن القيـــودِ بِلَحْـــنٍ قَدْ تَسَـــامى على القيـــودِ افْتِنَانُهُ
ودّعيـــه يَطِـــرْ دونَ جَنَـــاحٍ غـــيرَ حـــبٍّ يَزِيـــدُه طَيَرَانُـــه

* * *

---

* نشرت في تشرين الأول(اكتوبر) ١٩٣٤

١– البنانُ: أطراف الأصابع.

الظامئة *

بِعَيْنَيْكِ أُبْصِرُ رُوحَ الظِّماءِ وبالنفسِ أَلْمَحُ طَيْفَ القَلَقِ
ففي الخَطَرَاتِ، وفي اللّفَتَاتِ وفي النَظَرَاتِ، وبينَ الحَدَقِ
يُطِلُّ التلهفُ في وَثْبَةٍ وتَعْصِفُ ريحُ اللّظَى المُحْترِقِ
لأيِّ مِنَ الأمرِ هذا التَطلُّعُ هذا التوثُّبُ، هذا الحَرَقِ
شُوَاظٌ من الشَّوْقِ ؟ أَمْ جَمْرَةٌ؟ مِن الحبِّ محمرةٌ كالشَّفَقِ؟

* * *

أُحسُّ بأنّكِ مَلْهُوفَةٌ لأن تَنْهلِي كلَّ مَعْنَى الغَرَامِ
وأن تَنْهبِي النورَ مِن فجرِه وأن تَسْلُبِي زَفَرَاتِ الظّلامِ!
وأن تَقْطفِي كلَّ زَهرِ الحياةِ من الشَّجْوِ والوَجْدِ أو الابتسامِ
تَفَتَّحَ فيكِ شُعورُ الحياةِ فَشَفَّكِ منهَا الهوى والأُوَامِ[1]

* * *

إليَّ إليَّ؛ ولا تَجْفَلِي فإني ظمئتُ لما تَظْمَئينْ
و أحسبُني كنتُ أهْفُو إليك كما كنتِ لي في المُنى ترقُبينْ
وشَطَّتْ بنا بدواتُ اللّقاءِ وضَلّتْ بنَا خُطَواتُ السّنينْ
إلى أَنْ لقيتُكِ فَتانةً فحرّكْتِ مني اشتياقي الدَّفينْ
تَعالَيْ نَروِّ ظِمَاءَ السنينِ تعالَي نَعِشْ للمُنى والفتُونْ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١-الأوام: حرارة العطش.

لماذا أحبك!؟*

أُحبُّــك حُــبَّ الهــوى والجُنونِ أحبُّــك حــبَّ الرَّشَــادِ الرَّزينْ

أحبــك بالقلــبِ في وَقْــدَةٍ أحبــكِ بالعقــلِ جَمِّ السُّــكُونْ

وتَبديــنَ في قلبِــي المســتطارِ كما تُسْــفرينَ بفكرِي الرَّصِينْ[1]

ففيــك تَلاقَــى الهــوَى والهُــدى وشَــابَه فيــك الرشــادُ الجنونْ

فأمــا ازْدَهانِــي بحبِــي الفتــون رَكَنْــتُ بِــه للحِجَــا واليقــينْ

* * *

لمــاذا أحبــكِ؟ هــل تَفكريــنَ؟ وما الســرُّ في الأمرِ؟ هل تَعلمينْ؟

أللحُسْــنِ؟ كَم قد لَقيتُ الحِسَــانَ فَمــا هجْنَ بِي وَمْضَــةً من حنينْ

أللعطــفِ؟ إنِي القَــويُّ العطوفُ فمــا أرْتَجِــي رحمــةَ العاطفينْ

أللنظــراتِ وللِفتــاتِ وللسِّــحرِ في مُهْجَتِي تَسْــكُبِينْ

وشــتى الخلالِ وشــتى السِّماتِ؟ لقــد طالَما اجتمعــتْ للمئينْ[2]

إذَنْ فــلأيِّ المزايــا يكــونُ هَواي وحُبِّــي؟ هَــلْ تُدْرِكينْ؟

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- المستطار: المفزوع . تسفرين: تشرقين وتضيئين .

٢- للمئين: للمئات.

ألا فاعلمي الآنَ عِلْمَ اليقين   سأكْشفُ عن سِرِّ حُبّي الدّفينْ

لقد لَجَّ بي قبل هذا، السكونِ   وقد آدني الصمتُ، صمتُ الحَزِينْ[1]

وقد عِشْتُ للجِدّ، جِدِّ الرصينِ   أهُمُّ وأكبُو بعبءِ السّنينْ

إلى أنْ لَقِيتُكِ خفّاقةً   توَقّدَ فيكِ الهوى والفُتُونْ

فأنتِ هُنا جمرةٌ كاللّظَى   وأنتِ هُنا شُعْلَةٌ تُومِضِينْ

فأكمَلَ هذا المراحُ الطروبُ   هدوءَ الحزينِ وجدَّ الرّصينْ

وأعجبني حُسْنُ هذا الكمالِ   وإني عليه الحفيظُ الأمينْ

* * *

لهذا أُحبُّكِ: هل تَفْكرينَ؟   وهذا هو السرُّ. هل تَعْلَمِينْ؟

* * *

---

١ - آدني: أجهدني

رسول الحياة*

أفي كلِّ لُقْيَا شُعورٌ جَديدٌ؟ وفي كلِّ قُربٍ ظمَاءٌ يَزيدْ؟
وفي كلِّ يومٍ أرى عَالَماً مِنَ الحبِّ يَنْسُبُنا للخُلودْ؟
وألقاكِ والكونُ قفرٌ جديبٌ فتنبضُ فيه المُنى والوُرُودْ
ويَخْفُقُ بالحبِّ قلبُ الحَياة وتَشْدُو هَواتفُها بالنّشيدْ
كَأنَّ الحياةَ وآمالَها إذَا مَالقيتُك خَلْقٌ جديدْ
هو الحبُّ لا القَدَرُ المستطيلُ يُقَسِّمُ في الكون شَتى الجُدودْ[1]
فيمنعُ فالكونُ شاكٍ شَقيٌّ ويمنحُ فالكونُ راضٍ سَعيدْ !
ويَنْبضُ فالكونُ في نَشْوةٍ ويَجْمُدُ فالكونُ جاثٍ بَليدْ

* * *

لَقيتك خَفّاقَةً كالرجاء فذكّرْتني أنني بَعْدُ حَيْ
وجَاشَ بنَفْسي شعورُ الحياة وفتّحتُ في رَجْفَة مُقْلَتيْ
أقلِّبُ عيني بهذا الوجود وترتادُ رُوحي منه الخَفيْ
فيا للجمال، و يا للغناء ويا للخواطر تهفو إليْ!
ويالي مِنْ ظَامئٍ لاهفٍ! ويالي مِنْ عَاشقٍ عَبْقَريْ!
يحيلُ الحياةَ إلى فتنةٍ وأصداءَها لنشيدٍ شَجي
ويُطربُ بالشعرِ قَلْبَ الحياةِ وَيَنْفَحُها بالرِّضا القُدْسيْ
وما أَنتِ إلا رسولُ الحياةِ وحبُّك مُعْجِزةٌ مِنْ نَبيْ

* * *

* نشرت في ١٩٣٤.

١- المستطيل: المُترفع أو المُتفضل، الجدود : الحظوظ.

سر انتصار الحياة *

أَطِلّـــي بِطَلْعَتـــكِ السَّـــاحرهْ وحَيِّـــي بنظرتِـــكِ الشَّـــاعرهْ
أَفيضي على الكـــونِ فيضَ المِراحِ وغَذّيـــه بالقـــوةِ الطّافـــرةِ[1]
ومالـــك أنـــتِ؛ وما للسُّـــكُونِ؟ ومـــا أنـــتِ إلا القُـــوى الثائرهْ
قُـــوى الحبّ تَنْبِـــضُ بـــينَ القِفَارِ فتغـــدُو القِفَـــارُ بهـــا ناضـــرهْ
وتنفـــخُ في ســـاكناتِ القُلـــوب فتغـــدُو سَـــواكنُها نَافِـــرهْ
وتهتـــفُ للصُّـــمّ بالأغنيـــاتِ فَيَصْغُـــون للنَغْمَـــةِ السَّـــاحِرهْ

* * *

ألســـتِ التي نَبَضَـــتْ (بالوجودِ) فشـــقَّ قُوى العَـــدَمِ السَّـــاخرهْ
بلـــى ! أنتِ ســـرُّ انتصـــارِ الحياةِ على المـــوتِ في الوقعـــةِ الظافرهْ
هُنالـــك مـــن قبـــلِ ميلادِهـــا وكانـــتْ مغيبـــةً حائـــرهْ
وكنـــتِ نـــواةً بهـــا ضَامـــرةً فعـــدتِ حيـــاةً بِهـــا سَـــافرهْ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.
١- الطافرة: الواثبة.

المعجزة
أو
السهم الأخير *

مَنَحتِني اليومَ ما الأقدارُ قد عجزتْ عـن منحه، وَتَنَاهـي دونَه أملي
منحتني الحـبّ للدُّنيا التي جَهِدَتْ في أن تُميـلَ لها قلبي فلـمْ يَمِلِ
وكلمـا قرّبْتني، قلـُت: خادعةٌ! وكلّما طمأنْتني؛ قلت واوَجَلي[1]
ويغمرُ الشّكُّ نَفْسِي كلما كشَفَتْ عن فاتنٍ من حُلاهَـا غيرِ مبتذَلِ
حتى خَسِـرْتُ من الأيّامِ ما غبَرتْ به السُّـنون، وحتَّى عقّني أجَلي

* * *

واسـتَلْهَمَتْ هذه الدنيـا طبيعَتها في مُعْجِـزٍ مِنْ قُواهـا قاهرٍ حانِ
فأبدعتْـكِ جَمـالاً كلُّـه ثقـةٌ يؤلّـُف الحبَّ من وَحـيٍ وإيمانِ
وأودعتْـكِ رَحيقاً مـن خُلاصتِها ومنبعُ السِّـحرِ فيها جَـدّ فتّانِ
وأرسـلتْكِ يقينـاً في طَلائعهـا منيرةً في دُجى عَقْلِـي ووجْدَانِي
فكنـتِ آخـرَ سـهمٍ في كِنَانتِهَا وكنتِ معجزةً مـن خَلْقِ فنانِ[2]

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.
١- واوجلي: وأخوفي أو افزعي.
٢- الكنانة: الجعبة، تحفظ فيها السّهام.

والآن أُخْلِـُص للدنيـا وأمنَحُهـا حبّي، وأُدْرِكُ ما فيهـا من الفِتَنِ

والآن أنظـر للدُّنيـا وأنـتِ بهـا كعاشـقٍ بهواهـا جِـدّ مُفْتَتِـنِ

والآنَ أعْمَـلُ للدُّنيـا علـى ثقةٍ بأنـني قَلْبُها الخفَّـاق في الزمنِ!

والآن أنصـْت للدُّنيـا فَيُطْرِبُـني من صوتِها العذب لَحْنٌ ساحِرُ اللَّحَنِ

لـك الحيـاةَ إذنْ ما دمـتِ مانحةً لِـيَ الحياةَ بـلا أجـرٍ ولا ثمنِ!

* * *

اللحن الحزين*

أســى الألحــان أمْ هــذا؟ أســاكَ يســيلُ في اللّحْــنِ؟
وإلا هــذه نَفْســي تهيــمُ بعَالَــم الحُــزنِ
فتُوحِي النفسُ للأذنِ؟

وأيــن نشــيدُك الراضــي؟ وأيــنَ نشــيدُك العَــذْبُ؟
وأيــن الفَرْحَــةُ النّشْــوى؟ وأيــن القفــزُ والوثْــبُ
فيُذْكي وَقْدَةَ الحبِّ؟

سَــمِعْتُكِ أمــسِ لم أسْــمَعْ ســوى نــبراتِ أسْــفَانِ
وغنــوةِ عاشــقٍ يَئِســتْ مُنَــاه مــن الهــوى الفَانــي
فأنَّ فؤادُه الحاني

هــي الأوتــارُ عَالمــةٌ بمــا في قلبِــك المُفْعَــمِ؟
وإلاّ أنــت مُوحيــة لهــا تَرنيمــةَ المــؤلم
تَمَسُّ القلبَ كالبَلْسَم

بربــكِ عَلّمــي اللحْنَــا يُرجّــعُ غنْــوةَ الأمــلِ
ويُبْهِــجُ هــذه الدُّنيــا ويبعــثُ نشــوةَ الجَــذلِ
فَيَدْعُو الكونَ للعملِ

أجــلْ يــا خطــرةَ الفَــنّ بــرأسٍ مُفَكّــرٍ سَــامِ
وغايــةَ كلِّ فَنّــانٍ يُنَاجــي حُسْــنَ أوهــامِ
أجَلْ ياسرَّ إلْهامي

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

الغيرة*

إذا كان الشاعر صادقاً في شعوره. صادقا في التعبير عنه؛ كان في الشعر مجال للدراسة السيكلوجية؛ فوق الدراسة الفنية.

وفيما يلي مقطوعتان من الشعر في موضوع واحد يفرق إحداهما عن الأخرى يوم واحد ولكن الفرق بين روحيهما بعيد!

ولا يهمني أن أدرسهما من الناحية الفنية. فذلك شأن القراء. إنما يهمني أن أدرسهما من الوجهة النفسية، ذلك أن مبعثهما هو(الغيرة) وهي عامل نفساني بحت.

* * *

فَهمتْ هي! أن الشاعر يتوجه إلى شقيقتها بقلبه. في حين لم تكن إلا مجاملةَ. فآلمها ذلك ، ولكن لم تُرِدْ أن تبين سبب الألم؛ لِدقة الموقف؛ وإن أشارت إليه من بعيد.

وبدت كاسفةَ البال واجمةً، يتراءى في عينيها الرجاء الأسيف؛ والأمل المكلوم؛ والريبة التي تهَرب منها فتلاحقها.

ورأى هو هذا الشعور فأخرج المقطوعة الأولى تحس فيها عطفه على ارتيابها؛ واطمئنانه لهذا الارتياب لأنه وثيقة على حبها له أو لأنه كما يقول:

فلولا اعتزازُكِ بالحبِّ لم تَثُرْ في فؤادكِ تلكَ الرِّيَبُ

ولكن هذه الريبة تَجَسَّمَتْ في نفسها؛ ومضى يوم كامل لم تعد فيه إلى يقينها. فكانت المقطوعة الثانية، وكان ما يشبه التَبَرُّمَ بهذا الشك منها حيث لا مبرر للشك!.

* * *

الغيرة تَلَذُّ الرجل أول مرة لأنها وثيقة الحب، ولكن حين تَلِجُّ فيها المرأة قد يتبرم بها، لأنها تكون طعنة للحب!

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١

غَضبْـتِ فيالَـكِ مِـن غَاضِبْـةِ! وأرْسَـلتِها نَظْـرةً عاتبـةْ
يُتَمْتِـمُ فيهـا الرجـاءُ الأسـيفُ وتجـأرُ فيها المُـنى الوَاثِبَـهْ![1]
وفيهـا هُـدوءُ الرّضـا المُطْمَئنّ تُمازِجُـه الغَيْـرةُ الصّاخبـهْ!
تُطـلُّ بِهـا الذكريـاتُ العذابُ وتَرْجِـعُ مُجْهَـدةً لاَغبَـهْ
وفيهـا فُتُـورٌ ولكنّـه فُتـورٌ بـه قـوةٌ غَالبـهْ

* * *

ولكـن بِهـا بعـدَ هـذا وذاكَ فنـونُ الهوى والجمـالِ العفيفْ
وفيهـا مـن السّـحْرِ أطيافُـه بعينيـك ألْمَحُهَـا إذا تطيـفْ
لأهمتـني السـرّ لمـا نظـرْتِ إليّ بهـذا الفُتـورِ الشّـفُوفْ[2]
وحدثْتـني في خُفـوتٍ عجيـبٍ بمـا أضمرتْـه لُغـاتُ الطيوفْ
ولـولا شـعوري بحبّـي العطوف لأحببتُ فيكِ الشـعورَ الأسيفْ!

* * *

قـد انتصـرَ الحبُّ. يـا للانتصار بهـذا العتـاب وهـذا الغضبْ
وَثِقْـتُ مـن اليـومِ في حُبّنَـا وأنـك تَرْعِينَهـه في حَـدَبْ
فلـولا اعتـزازُك بالحـبّ لم تَثُـرْ في فـؤادكِ تلـك الرّيَبْ
إذَنْ فاطمئنّـي فهـذا الفـؤادُ يحبُّـكِ في وَقْـدةٍ كاللهـبْ
يحبُّـكِ إي وجمـال الغضـب يحبُّـكِ إي والهـوى المُلْتَهِـبْ

١- تجأر: تتضرّع
٢- الشفوف:من شَفّ يَشِفّ شُفوفاً: رقّ حتى يُرى ما خلفه.

٢

حَدِّثِيــني أمــا تَزالــين غَضْبِــي؟ أوَ مَــا زَالَ مِــلءُ نَفْسِــكِ رَيْبَا

ولِمــاذ الوقــارُ والصمــتُ يُضْفِي بعدمَا كنــتِ لِي مَراحــاً وَوَثْبَا

كانَ بالأمــسِ كالعِتَــابِ جميــلاً ما له اليــومَ لَمْ يَعُدْ منْــكِ عتْبَا

صَمَتَ الكونُ مُــذْ صَمَتِّ ونَامَتْ صادِحاتٌ تُــرَدِّد اللحــنَ عَذْبا

أنــا أخْشَــى ولا أُصــرِّحُ مَــاذا أنــا أخْشَــى؛ فمــا أزال مُحِبّا

اِبْسُــمِي تَبْسُــمُ الحيــاةُ وتَرْضَى وامْنَحِيــني اليقــينَ. أمْنَحْكِ حُبّا

* * *

مصرع حب! *

خامر الشاعر الشك فيها بسبب أخبار تناهت إليه عن الماضي فقال:(ب) وبات هذه الليلة في الجحيم حتى لقد فضل اليقين، ولو جاءه بالفقدان على هذه الحيرة الطاغية.

أنـــا أشْـــرِي اليقـــينَ بالفُقْـــدَانِ مُؤثـــراً فيـــه وَاضـــحَ الآلامِ

ولكنه صمد له لأن الرجل قد يفضل اليقين الأليم على الحيرة الطائرة.

وإذا هو بعد ذلك يشعر بالفقدان فيكتب (الجنة الضائعة) فيها ألم؛ ولكن بها عفة عن جنة (تَجُوسُ فيها الذئاب) وإن كان يتمنى لو فقد جنته هذه وهي (مؤمنة عَامرة) حتى لا يفقد ذاكراها كذلك. فيتضاعف الفقدان، وهنا يبدو إحساسٌ نادرٌ؛ فقد يود بعض الناس إذا فقدوا شيئاً أن يفقدوه محطماً لا قيمة له، على عكس ما يريد الشاعر.

* * *

المرأة سريعة التشكك؛ ثائرة الغَيْرة؛ ولكنها سريعة التصديق لا تَجْنح لليقين إذا كان هذا اليقين يفجعها في الحب، بل ربما هربت من اليقين، وتعلقت بالأوهام.

والرجل بطيء التشكُّك؛ هادىء الغَيْرة، ولكن الشك الذي يداخل نفسه، بطيُء الزوال، وقد يفضل اليقين المؤلم، على التعلل بالخيال.

---

* نشرت عام ١٩٣٤

ليلة الشك

ليلــةُ الشــكّ والأسَــى والظّلامِ وجحيــمَ الإقــدامِ والإحجــامِ

والعــذابِ المُمِــضّ لم يُتَصــوَّرْ في وعيــدٍ أو خَطْــرَةِ الأوهامِ[1]

قد تركتُ الماضي حَصِيداً هَشِــيمَا ونَضــيرَ الآمــالِ مثــلَ الحُطَامِ

عــنِ عذابِ الآمــالِ قَــدْ أتَعزّى وما عَزَائِي عَمّا مَضَى مِنْ غرامِي؟

ليتــنى أســتطيعُ أنْ أُرجِــعَ المــا ضي فأُحيي ما ضَــاعَ مِنْ أيامِي

ليلــةَ الشّــكّ هل مضيــتِ؟ فإني لم أزلْ بَعــدُ غارقــاً في الظّــلامِ

والهــوى المُشْــرِقُ المنــيرُ تَهاوَى في خِضَــمّ الدُّجَى العميق الطّامِي

والحيــاةُ الــتي تفيــضُ مِرَاحــاً قــد تبــدَّتْ في ذِلّــةِ الأيتــامِ

وَمَشــى الحــبُّ مُطْرِقــاً يَتَوارَى كَحَيــيٍّ يَنُــوءُ تحــتَ اتّهامِي[2]

ليلــةَ الشّــكّ قَدْ طَمَسْــتِ حياةً مِــنْ رَجاءٍ صِيغَــتْ ومِنْ إلهامِي

لَهفَــتي لليقــينِ يَغْمُــرُ نَفْســي لَهفِتي للهــدوءِ بعــدَ اضطرامِ

أنــا أشْــرِي اليقــينَ بالفُقْــدانِ مُوثِــراً فيــه واضــحَ الآلامِ

* * *

١- الممض: المؤلم.

٢- المطرق: من أطرق : سكت لحيرة أو خوف أو نحوهما. ينوء: يعجز.

اليقين

اليقـــينَ اليقـــينَ بعـــدَ ارتيـــابِ الهـــدوءَ الهدوءَ بعـــدَ اصطخابِ

اليقـــينَ اليقـــينَ أطلـــبُ فيـــه راحةَ اليأسِ من جحيمِ اضطرابِ

أيهـــذا اليقـــينُ إنّـــك قـــاسٍ ما تَطلبـــتُ كلَّ هَـــذا المُصابِ!

أيهـــا الشـــكُّ رُبّما كنـــتَ خيراً من يقـــينٍ كالجَدْبِ بـــين اليبابِ

حَيْرَةَ الشـــك، هَـــدْأةَ اليأسِ، هَلا لحظـــةً تتـــركانِ نَفْســـي لِما بِي

لحظـــةً تُخْليـــانَ فيهـــا فـــؤاداً مَـــلَّ وقـــعَ اليقـــينِ أو الارتيابِ

ثم مـــاذا؟ ومـــا الهـــروبُ؟ وهذا واقعُ الأمـــرِ، ما لهـــذا التَّغابِي؟

يـــا يقيـــني إلَيّ. إن حَفـــيٌّ بيقـــينٍ شَـــرَيْتُه بلُبَابِـــي[1]

بدمائـــي الـــتي بُذِلَـــتْ، بِدَمْعِـــي برجائـــي المُنَـــوّرِ الوَثّـــابِ

أنـــتَ أغلى عَلـــيّ مِـــنْ كلِّ هذا يَـــا يَقِيني، ومُرْشِـــدِي للصوابِ

١- الحفيُّ: المهتم.

الجنة الضائعة

فَقَدْتُــكِ يــا جَنَّــتِي السّــاحرةْ وغــادرتُ أفيــاءَكِ العاطــره

وهِمْــتُ تُشَــرِّدُنِي المُقْفِــراتُ وتَلْفَحــني كاللظَّى الهاجــرةْ[1]

وتَعْصِــفُ في نَفْسِــي العاصفاتُ وتَنْهَشُــها الوَحْشَــةُ الظَّافِــرَهْ

وقَدْ طَمَــسَ اليأسُ نَهْــجَ الرَّجَاءِ وغَــشَّ البصــيرةَ والبَاصِــرهْ

فــلا الظَّنُّ يَلْمَــعُ مِثْلَ السَّــرابِ ولاَ العِلْــمُ يُرْضِي المُنَــى الحَائرهْ

هــو اليــأسُ أو اليقــينُ الأليــمُ وبعــضُ الحقائــقِ كالكَافِــرهْ

فيــا لليقــينِ المُمِــضِّ اللّجــوُجِ ويَــا لَحَقيقتــه الجَائِــرهْ

فَقَدْتُــك ياليــتي إذ فَقَــد تُــكِ كنــتِ مؤمنــةً عَامِــرهْ

لَعزّيْــتُ نَفْسِــي بالذكريــاتِ وأودعــتُ فِرْدَوسِــي الذّاكرهْ

ولكــن فَقَدتُــكِ نَهْــبَ الذئابِ تجــوسُ خِلالَــكِ كالآسِــرهْ

ونَهْــبَ القَشَــاعِمِ والجارحــاتُ تخطِــفُ أثمــارك النَّاضِــرهْ[2]

ونَهْــبَ المطامِــعِ والمغريــاتُ تُدَنِّــس نِيَّتَــكِ الطَّاهِــرهْ

فقدتُــكِ في النفــسِ أنْشُــودةً ومعنى مــن الفتنــةِ السّــاحرهْ

فقدتُــكِ ذِكْــرى فوا حســرتاه لِفَقْــدٍ مــنَ العــينِ والخاطــرهْ

1- الهاجرة: القيلولة: شدة الحر.

2- القشاعم: النسور الذكور الضخمة.

الحنين والدموع

جَفَّ قَلْبــي منَ الحنــينِ فَفَاضَتْ عَبَراتــى وأقفــرتْ مُنْــذ حِينِ

وحســبتُ الدموعَ ذِكْرى توارتْ بــينَ ماضِــي حياتــي المَكنُونِ!

وإِذا بي أُودِّعُ اليــومَ عَهْــدَاً فتفيــضُ الدموعُ مِــلْءَ الجفُوُنِ

في انســكابٍ يَغُضُّ مــن كِبْرِيَائي واضطرابٍ يرتاعُ منهُ سُّــكُونِي

يــا دمــوعَ الوفــاءِ أَنْتُــنَّ أَغْلَى أن تُرَقْرَقْــنَ للوفــاءِ الغَبــينِ[١]

* * *

١ - الغبين : الناقص: الضعيف: الخادع وهو المراد.

اللغز*

خَفَــقَ القلبُ الذي مَسّــتَ يَداكِ جانبيــهَ؛ في جنــونٍ واضطرابِ
أكــذا يَهْتَاجُنــى مَــسُّ هــواكِ وأنا الهادِئُ في مَورِ العُبابِ؟![1]

* * *

عجباً ! مــا السّــرُّ في خفقتِه.. ؟ إِنــني أسْــأَلُكِ السّــرّ الدفــينْ
أنــت أدْرَى بالــذي أودَعتِــه فيــه من حبٍّ، ووَجْــدٍ، وحَنِينْ!

* * *

إن قلــبي لم يكــنْ يَنْــزُو ، فماذَا سَالَ في كفّكِ مِنْ سِحْرٍ عَجيبِ؟
أهــو اللُّغْــزُ الذي تَحْويــنَ هذا؟ أم هي الفتنــةُ في مِفْتَاحُ القُلُوبِ؟

* * *

إيه !. إنِ في اضطرابي قَدْ نَســيتُ مَبْعــثَ الفتنــةِ عينيــك تْــينِ!
تُضْمِرَانِ السِّــحْرَ يُحيي ويُميتُ ؟ وهمــا سِــرٌّ اتصــالِ المُهْجَتَيْــنِ

* * *

سِــحْرُكِ المجهولُ أَمْسَكْتُ عَصَاه! فــإذا شــئتُ اتقــاءً أتّقِيــه!
لكن السّــحْرَ الذي تَاهــتْ رُقَاه إنــني أهفُــو إلى الإِخــلادِ فيهِ

* * *

---

* نشرت في ١٩٣٤

١- مور العباب: تحرُّك الأمواج.

قبلة*

أهـــي النَّشْـــوةُ أم وَقْـــدةُ جَمْـــرٍ إنني أحسســـتُها تذكُو بِصَدْرِي[1]
وبِرُوحـــي لَهْفَـــةٌ تَبعثُهـــا هذه القبلـــةُ من أعـــذبِ ثَغْـــر
قُبْلَـــةٌ ! مـــا هـــذه القُبْلَـــة إذ تنقـــلُ الدُّنيـــا إلى عـــالمِ سِـــحْرِ
وتُحيـــلُ الجســـمَ والـــرُّوحَ معـــاً شـــعلةً طائفـــةً لم تَسْـــتَقِرِ
بل تُحيلُ الجســـمَ والرُّوحَ شَـــذىً من عبيرِ الخُلْدِ أو مِسْـــكَةِ طُهْـــرِ

* * *

لم أُحِـــسّ الـــرُّوحَ مـــنى مُثْقَـــلاً بهمومِ الجســـمِ إذ هَوَّمَ يَسْـــرِى
لم أُحِـــسّ العُمْـــرَ إلا خَفْقَـــةً في فُؤادِ الدَهرِ قد فَاضتْ ببشرى
وأرى الماضِـــى أَضْحَـــى لحظَـــةً بعد ما قَـــدْ كادَ أن يُنْقِضَ ظَهرِي
وتطلَّعْـــتُ بعـــينِ المُنْتَشِـــى لجمالِ الكونِ في نَشْـــوةِ سُـــكْرِ

* * *

أهـــي القُبْلَـــةُ مـــن ثَغْـــرٍ لِثغرٍ ؟ أم هـــي الخَطْرةُ مِـــنْ وَحِي لِفكْرِ
أم تُراهـــا قُبْلَـــةَ النـــورِ الـــتي فاضَ منهـــا النـــورُ في أولِ فَجْرِ
حينمـــا رفـــرفَ والكـــونُ دُجَىً رُوحُ ربّ الكـــونِ في لُجّـــةِ غَمْرِ
فتجلّـــى النـــورُ في بَـــرّ وبَحْـــرِ وتَراءى الحُسْـــنُ في طيرٍ وزَهْـــرِ

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- تذكو: تنمو وتلتهب.

داعى الحياة*

يَخفُقُ القلبانِ ، بل تَهفُو الشّفاه مُنذُ أن ضَمَّتْك في شَوْقٍ يَداه
مُنذُ أن رَنَّ صَداهـا ، قُبْلَةً نَهلَتْ منهـا وعَلَّتْ شَفتاه
وارتَوتْ رُوحَاكُما بَلْ ظمِئت برحيقِ القُبُلاتِ المشتهاه
بَلْ رحيقُ الخُلْدِ قَدْ طَابَ جَنَاه وسَرَى فيه حُلاه وشَذَاه

* * *

يَخفُقُ القلبانِ؛ بل تَهفُو الشِّفاه حينَ يَلْقَى ناظِرَيْك نَاظِرَاه
حينما يَسْتَعِرُ الحُبُّ جَوىً يَكْتَوِى القلبانِ مِنْ حَرِّ لَظَاه
فَيُرجي كلُّ ثغرٍ قُبْلَةً هي بردٌ للحنَايا والشِّفَاه
مثلما يَطْلُبُ رَيًّا ظَامِىءٌ ينظُرُ الماءَ ولا يَبْلُغُ فَاه

* * *

يخفُقُ القَلْبانِ؛ بل تَهفُو الشِّفَاه كلما بَشَّرَ بالحبِّ الهُدَاه
كلَّما نَادَى حَيْ هَلا يَقْطِفُ المحرومُ ما طَابَ جَنَاه
مَا لِمَحْرومَيْنِ لم يَسْتَمِعَا ذلك الصوتَ الذي دوَّى صَدَاه
إيه هيا؛ فَلْنُجبْ دَاعِي الشِّفاه فهوَ داعِي الحبِّ؛ أو دَاعِي الحياةْ

---

* نشرت في ١٩٣٤

تحية الحياة*

شَـــفَتَاي تَخْتَلِجَـــانِ للتقبيـــلِ؟ في كلِّ مُطّلـــعٍ لديـــك جميـــلِ
ظَمَـــأُ الشّـــفاه طبيعـــةٌ أُلْهِمْنَهـــا منـــذ ارْتَوَيْـــنَ بثغرك المَعْسُـــولِ
ظَمَـــأٌ تُؤجّجُـــه القلـــوبُ خَوافقاً تَنْـــزُو بعـــارمِ لهفـــةٍ وغليـــلِ
من يومِ ما التقَت الشّـــفَاهُ فَحدَّثَتْ عـــن حُبِّنـــا بســـواحرِ الترتيلِ!
أفتذكرينَ وقـــد ضَمَمْتُك والهوى يُغْـــرى ويُوقِظُ خَاطِـــرَ التقبيلِ؟
والكـــونُ يُمْسِـــكُ خَفْقَـــه مُنْتظراً قبلاتِنـــا في لَهْفَـــةٍ وذُهـــولِ
هُـــو عاشـــقُ القُبُـــلاتِ! إنّ رَنينَها لَحْـــنٌ يُنَبِّـــهُ فيـــه كلَّ خُمُـــولِ
وهـــي الحيـــاةُ إذا تُحيّـــى قُبْلَـــةٌ رَمْزاً علـــى الترحيـــبِ والتأهيل
أفـــلا نَـــرُدُّ علـــى الحيـــاةِ تحيـــةً مَا عقّهـــا في الكـــونِ أيُّ بخيلِ؟
أفـــلا نُرَجِّـــعُ غِنْـــوةَ التقبيـــلِ! وتحيـــةَ الدُّنيـــا لخـــيرِ نزيـــلِ؟[1]

---

* نشرت ١٩٣٤.

١- النزيل: الضيف

الخطر

بَينَ التلفُّتِ والحَذَرِ خَطَرتْ تُبَشِّرُ بالخَطَرْ!
بُشْرَى! فما دامتْ هُنَا فعلامَ تَقْرُبُنا النُّذُرْ!
وتشيرُ للمتنظّرين إشَارةَ اللّبِقِ الحَذِرْ!
لتضيعَ مني قُبْلَةٌ لبثتْ بِفيها تَنْتَظِر!
ولبثتُ أرقُبُ قَطْفَها من بَعْدِ ما نَضَجَ الثّمَرْ
هو ذاك يا قلبُ الخَطَر لا الناظرونَ ولا النَظَرْ

* * *

صَنَعَ الشبابُ صنيعَه والحبُّ في الحُسْنِ النَّضِرْ
فمضَى يَتِيهُ تخايلاً فإذا تَلَطَّفَ يَعْتَذِرْ!
ويَلُوحُ حتى ننتَشِي ويغيبُ حتى نَسْتَعِرْ
ويروقُ حتى لا نَرى شمساً سِواه ولا قَمَرْ
ويَرِقُّ حتى لا نَرى طيراً سِواه ولا زَهَرْ
ونَطِيرُ في نَشَوَاتِنا نهفُو إليه وننتظِرْ
فَإذاهُ آناً يعتذرْ عَنّا وآناً يستترْ!
هو ذاك يا قلب الخَطَرْ لا الناظرونَ ولا النَظَرْ!

* * *

تِــه أيُّهــا الحُسْــنُ الأغَــرُّ وامــرحْ بِنَفْسِــك وازْدَهِــرْ

مــا الحُسْــنُ إلا شُــعْلةٌ تَخْبــو إِذا هِــي لم تُثَــرْ

مــا الحُسْــنُ إلا طَائــرٌ يَهــوِى إذا هُــو لم يَطِــرْ

مــا الحُسْــنُ إلا قُــوةٌ تَعْيَــا إذَا لم تَقْتَــدِي

أمّــا الذيــن أسَــرْهُم بــينَ التــبرُّجِ والخَفَــرْ[1]

فعليهــمُ أن يَعْلَمُــوا يــا حُســنُ مــن أيــن المَفَــرْ

أو يَســتَنِيُموا للخَطَــر وبحســبِهم مِنــكِ النَظَــرْ

* * *

١- الخفر : الحياء.

يقظة*

سَـــهِرْتِ؟ إِذنْ تَعَالَــيْ حَدِّثِيــني بما أَحْسَسْــتِ من حَــرَقِ الحنينِ
فقــد جربتُــه ســهرَ الليــالي وقــد خَبَــرْتُ تســهيدَ الجفونِ
وأعْلَــمُ أن مبعثَــه غَــرامٌ يَــؤُزُّ جوانبَ القلــبِ الحَنُونِ[1]
ويَقْظَــةُ حــالمٍ تَسْــمُو مُنَــاه عــن النُّــوامِ في دُنيا الســكُونِ
فَهــلْ أحْسســتِهِ حُبًّــا كهــذا فبــتِّ الليــلَ سَــاهِدةَ العُيونِ؟

* * *

ومــا أبْغِــى لــك السُّــهدَ المُعَنّى ولا الحُرُقَاتِ سَــاعرةَ الشُّــجونِ
ولكنّــي أريــدُ نشــاطَ حُــبٍّ ويقظــةَ عاشــقٍ جَمِّ الفُتــونِ[2]
فنوقــظُ هــذه الدُّنيــا خلــوداً ونَسْــمُو عــن تقاليدِ الســنينِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤
١- يؤز: يزلزل.
٢- الجمّ: الكثير.

رقية الحب*

خَيَّمَ اللَيلُ فَنامِي في هُدوءٍ وسَلامِ
رَفَّ مِنْ حَولك قَلبٌ عَلّم الحبَّ التَسَامي
أو فَإنَّ الحبَّ نَقَّاهُ بوحِي مِنْه سَامِ
فهو يَحْيَا في سماءٍ مِن أمَانٍ ومَرَامِ
وهو يَسْرِي في وَسِيعٍ من رجاءٍ مُتَرَامِ
يَشْمَلُ الدُّنْيا بعطفٍ ورِضَاءٍ وابتسامِ

* * *

خَيَّمَ اللَيلُ فَنامِي في هدوءٍ وسَلامِ
رَتَّلَ الحبُّ رُقَاه في سُكُونٍ لِتَنامِي
رُقْيَةُ النومِ وأُخْرى للرُّؤى بعدَ المَنَامِ
ودُعَاءٌ لكِ بالبِشْرِ غَداً عندَ القِيامِ
وتَعَاويذُ مِن الشَّرِّ لعامٍ بعدَ عَامِ
رُقْيَةٌ في إثْرِ أُخْرَى مُشْرِقَاتٌ في الظَّلامِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

أيُّهـا الحـبُّ فَـلا تَنْـسَ دُعـاءً بالـدوامِ
وتعاويـذٌ لقلبينـا لِصَـدٍ أوْ سَـآمِ
أو فَعَوِّذْهـا ودَعْنِـي لِتَعاويـذِ غَرامِـي
وإذا شـئتَ فَعَـوِّذْ لِي مـن فَـرْطِ هُيامِـي
ومِـنَ اللهفـةِ تَطْغَـى في فـؤادي كالضِّـرَامِ![1]
واجعـلْ الدُّنْيَـا سـلاماً وارْوِ يـا حُـبُّ أُوَامِـي[2]

* * *

١- الضِّرام: النار الملتهبة.
٢- أوامي: الأوام: حرارة العطش.

الحياة الغالية*

بالأمسِ كنتُ أعيــُش نِضْو تَرقُّبِ   أُزْجي حَياتيَ كالأجــيرِ المُتْعب[1]

أرنُــو إلى الإِصْبَــاحِ ثم تَمُجُّـــه   نَفْســـي وأنظرُ كارِهاً للمَغْيب[2]

وأُحــسُّ بالقفــرِ الجديــبِ يَلُفُّني   ويَجُوسُ في نفــسٍ كقبرِ الغَيْهَبِ

ولو أنمــا اختصرت حيــاتيَ لم أبل   بَــلْ لم أحسُّ بنقصِهــا أو أعْيب

وإِذَا تَشَــابَهتِ الحيــاة وأقفرتْ   مُجَّــتْ بِرُمَّتِها، ولَــمْ تُتَطَيب

* * *

واليومَ. آسَــفُ للدقائــقِ تَنْطَوي   من عُمْرِي الغَــالي الثمينِ الطَّيب

واليــومَ أرْقُبُهــا وأرْقُــبُ خَطْوَها   فأعيشُــها مِثْلَينِ بَعــدَ تَرَقبذث

وهــي العميقــةُ كالخلــودِ وإنما   تَمْضــي حَثيثاً في خُطَــا المُتوثب

وأودُّ لــو هــي أبْطَــأتْ وتَلبَّثتْ   في خَطْوِها لَيْثَ الوَئِيــدِ المُكْثِبِ

تَغْلُــو الدقائــقُ في حيــاةِ خِصْبَةٍ   وتَهُــونُ أعْــوامٌ بِعُمْــرٍ مُجْدِبِ

* * *

الحبُّ فَــاضَ على الحيــاة بخصَبه   وأجَــدَّ عُمْراناً بِــكلِّ مُخَرَّب[3]

وأزَاحَ أسْــتَارَ الدُّجَى فتكشَّــفَتْ   ظُلُمَاتُــه عــن كلِّ زَاهٍ مُعْجِــب

وكذلك تَحْلُو لِيَ الحيــاةُ وتَجْتَلي   وتَعِزُّ ســاعاتُ الغَــرامِ المُخْصِب

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- النضو: هزيل والمراد: هزيل من الترقب والانتظار.

٢- تمجه: تلفظه كارهة.

٣- أجَدّ: استحدث.

الكون الجديد*

تَغَنّي وامْلئي الدُّنيا نشيدَا وحَيّي ذلك الكونَ الجديدَا
فإنّ الحبّ أبْدَعَه؛ وإني نَظمْتُ على بَدائعه القَصيدَا
أجَلْ حيّيه فهو لنا، وإنّا لَنَعْمُرُ كَوْنَنا عُمْراً سَعيدَا
نعيشُ مَعيشَةَ الطُّلَقاءِ فيه وكونُ الناسِ يُثْقِلُهم قُيودَا
وَنَمْلِكُه وَما الأحياءُ إلاّ أجيري هذه الدُّنيا عبيدَا
وَنَبْذُرُ فيه آمالاً وضاءً فَيُنْبِتُ غَرْسُها الطَّلْعَ النَّضيدَا

* * *

تَغَنّى بالرجاءِ وبالأمَاني وبالنُّعْمى تَدومُ لَنا خُلُودَا
ومِنْ فِتَنِ الحياةِ خُذي الأغاني ومِنْ خَفَقاتها صُوغي النَّشيدَا
ومِنْ شِعْري؛ فقد نظّمْتُ فيه أهازيجَ الهَوى لَحْناً فريدَا
فما أحْلى الغِناءِ بِعَذْبِ شِعْرٍ نحيّي فيه عَالَمَنا الوَليدَا

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

حب الشكور*

إنْ لَـمْ أُحبُّـك للسَّـنَا والنُّـور ... وَلِحُسْـن وجه في الحيـاة نَضِير

ولِسحْرِ رُوحْك حين يَخْتَلِسُ النُّهَى ... منّـي فَأتْبَعُـه اتّبَـاعَ سَـحِير[1]

ولّمـا تَضَمَّنْت الجمـالَ فأفصحتْ ... بك منـه سَـاحرة مـنَ التعبير

ولما مُنحْـت، وما مَنحت من الهوى ... للكـون؛ أو أحببْت مـنْ مَقبور

إنْ لَـم أُحبُّـك حُـبَّ مفتونٍ ولا ... حُبّ الأسـير؛ إذَنْ فَحُبُّ شَكُور

* * *

حُـبَّ الذي أحببْـت فيـه حَيَاتَه ... مما لديـك مـن الحَيـا المَذْخُور

ووهبتـه مُلْـكَ الحيـاة وطَالَمـا ... قَـدْ عَاشَـها كالعَامـلِ المأْجُور

ومَنَحْتـه مَاضيـه بعـدَ ضَيَاعـه ... وأعَـذْت قَابلَـهُ مـنَ المَحْظُور

حُبَّ الـذي أشْـرَقْت في وجْدَانه ... فجلـوت كلَّ مُحجَّب مَسْـتُور

ونَفَخْـتِ في عَزَمَاتـه فتوهَّجَـتْ ... وسَـمَتْ لـكلِّ مُمنَّـعٍ وخَطير

* * *

أوْ فَلأُحبُّـك حُـبَّ مَـنْ ألهمته ... شِـعْراً يُضيء سَـنَاه كلَّ شُعور

شِـعْراً جمعت من الحيـاةِ زُهورَه ... ومـن الجمـالِ نَفَحْتـه بعبـير

ومِـن الضيـاءِ وهبتِـه آمالَـه ... ومن النَّدَى حلْمـاً كَوجه غَرير

وبعثتِـه وَحـيَ الحيـاةِ وفَنَّهـا ... تجلُـوه ضِمْـنَ جمالهـا المأْثور

* * *

أفـلا أُحبُّـك؟ إنّهـا لَفَرِيضَـةٌ ... حُبَّ الشَّـكُورِ لِواهبٍ مَشْكُور

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- النهى : العقل.

عصمة الحب*

عِصْمَـــةُ الحبِّ من صنيعِ السَّـــماءِ وهي صِنْـــوٌ لعِصْمَـــةِ الأنبياء[1]

يُخْطِـــىءُ الناسُ في الحياةِ اسْـــتِبَاقاً للـــذَاذَاتٍ قبـــلَ يـــومِ الفَنَـــاء

وصِرَاعـــاً مـــا بينَ جســـمٍ ورُوحٍ في شَـــتيتِ الآمـــالِ والأهـــواء

وَلَـــوَ انَّ الأنامَ قَدْ ضَمِنُـــوا الخُلْدَ أوَ انَّ الأرْواحَ مَحْـــضُ صَفَـــاء

لَتَسَـــامَوْا عَـــنِ الخَطيئـــةِ كالقَيْدِ وعَاشُـــوا مَعيشَـــةَ الطُّلَقَـــاء

* * *

وغَنَـــاءٌ عـــن الخُلُـــودِ غَـــرَامٌ هـــو رَمْـــزٌ وَوَصْلَـــةٌ للبقـــاء

وهو يَعْلُو بالرُّوحِ عن خَطَلِ الجِسْمِ ويُضْفِـــي عليه ثَـــوْبَ الضِيَّاء[2]

هُـــو نـــورٌ ومـــا الخطيئَـــةُ إلاَّ ظُلْمَـــةٌ أو حَليفَـــةُ الظُّلْمَـــاء

وهُو يَسْـــمُو عن الزمـــانِ ومَا قَدْ يَقْتَضِيـــه الزمـــانُ مِـــنْ أخْطَاء

هُـــو خُلْـــدٌ، ومـــا الخطيئـــةُ إلاّ بعـــضُ وَحْـــيِ الفَنَـــاءِ للأحْياء

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- الصنو: المثيل والنظير.

٢- خَطَل: فساد: الكلام الفاسد الكثير المضطرب: المنطق الفاسدز

الانتظار الخالد*

أنـــا بانتظـــارِك مـــا أُبالِـــي رِضـــي الهـــوى حُكْـــمَ الجَمالِ!
غيـــبي إِذَنْ أو فَاحْضُـــرِي أنـــا قَانـــعٌ في كلِّ حَـــالِ!
رَاضٍ بأحلامِـــي الـــتي تُضْفِـــي عليـــك حَلْـــيَ الجلالِ
لســـتِ الملومَـــة إنـــني أنا رشْـــتُ أجْنحَةَ الـــدَّلالِ![1]
مَـــا للجَمَـــالِ مَتَـــى بَـــدَا إلا التَّخَشُّـــعُ في ابتهـــالِ

* * *

أنـــا بانتظـــارِك في الشُّـــروقِ وفي الغـــروبِ وفي الـــزَّوالِ
أنـــا بانتظـــارِك حِـــين أصْحُـــو طَلْعَـــةً مِثْـــلَ اللآلِـــي
أنَـــا بانتظـــارِك حـــينَ أغْـــــــــفـــو طائفـــاً مِثْـــلَ الخيـــالِ
وإذا قربـــت تَطلَّعَـــتْ نَفشـــي إلى القُـــرْبِ المُوالِـــي!
وإلى التَّمـــازُجِ بيننـــا خَنْـــيَ النحـــور إلى كَمَـــالِ
هـــو ذاك سِـــرٌّ تَنَظُّـــري أبـــدا إليـــك؛ فمـــا احتيالِـــي؟

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- رشْتُ: السهم، جعل له الريش.

الحب المكروه!*

كَرِهْتُـــكَ أيُّهـــا الحـــبُّ كراهـــةَ مُحْنَـــقٍ غَاضِـــبْ
وضَـــجَّ بِهَوْلِـــكَ القلـــبُ ومـــا تَبْلُـــوه مِـــنْ وَاصِـــبْ[1]

* * *

كَرِهْتُـــك حَيْـــرةً كُبْـــرى جحيمـــاً كَلُّـــه حَـــرَقْ
كَرِهْتُـــك لهفـــةً حَـــرّى وشـــوقاً كلُّـــه نَـــزَقْ

* * *

كَرِهْتُـــك رِيبـــةً فِينَـــا وفي الدُّنيا وفي النَّاسِ
نُكَـــذِّبُ مَـــا بأيدينـــا ونَسْمَع هَمْسَ وَسْواسِ

* * *

كرهتـــك غُلَّـــةً[38] ظَمِئـــتْ ولا رِيٌّ ولا مَـــاءْ
وَوَقْدَتُهـــا قـــد اشـــتعلتْ وفي التلطيـــفِ إذْكَاءْ

* * *

كرهتـــك سَـــهدَ أجفـــانٍ وصَحْـــواً في الدُّجـــى المُبْهَـــمْ
كرهتـــك مَهـــدَ أشْـــجَانٍ ومُذْكِـــي وَقْدِهـــا المُضْـــرَمْ

* * *

---

* نشرت ١٩٣٤.

(1) واصب: من وَصَبَ: مرض.

كرهتــك شُــغْلِيَ الشَّــاغِلْ وآمَالِــي وآلامِــي
وماضِــي العُمْــر والآجِــلِ ولَيْــلاَتِي وأيَّامِــي
* * *
كرهتُــك دورةَ الزَّمَــنِ بــلا حَــدٌّ ولا فَاصِــلْ
وصلــتُ الصَّحْــوَ بالوســنِ بإحســاسٍ لَنــا شَــاغِلْ
* * *
كرهتُــك لســتُ موقوفــاً علــى حُــبٌّ يُقَيّدُنــي
كَرِهْــتُ العيــشَ مَلْهُوفــاً علــى أمــلٍ يُســوِّفُني
* * *
وداعــاً أيُّهــا الحــبُّ كرهتــك فارتحــلْ قُدُمَــا
كرهتــك لم يَعُــدْ قَلــبٌ بصــدري يَحْمِــلُ الألَمــا
* * *
سَــأحيا خَامِــدَ الحِــسِّ فــلا حُــبٌّ ولا أمــلُ
سَــتخْبُو شُــعْلةُ النفــسِ ويَمضِــي ذلــك الأجِــلُ
* * *

نكسة!*

خَفَقْتَ يا قلبُ ! . ماذَا أَنَكْسَةٌ مِنْ جَديدْ؟[1]
تَوثُّبَ الحبّ هَذَا ؟ بعدَ الهدوءِ المَديدْ
وبعد فَكّ القيودْ

* * *

يا قلبُ ماذَا أَثَارَكْ ؟ وهَاجَ فيك الحَنينَا؟
وقد خَلَعْتَ إسارَك وعِشْتَ كالناسِ حِينا[2]
أو عشتَ كالهادئينَا !

* * *

لَقِيتَها يا فُؤادِى أَنَكْسَةُ الحبّ لَقْيَا؟
كالنارِ تحتَ الرّمادِ ما يلبثُ الحبُّ حَيّا
ما أعجبَ الحبَّ دُنْيَا !

* * *

يا قلبُ فَاذكرْ عَذَابَك في الشكّ أو في اليقينِ
فهل نَسِيتَ اضطرابَكَ؟ بين القَلَى والحنينِ[3]
وبين سُودِ الشُّجُونِ؟

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤
١ – النكسة: العودة رأساً على عقب. والمراد العودة إلى المرض بعد العافية.
٢ – إسارك: قيدك.
٣ – القلى: البغض والهجر.

وبـــينَ إنْ قِيـــلَ غَابَـــتْ أو قِيـــلَ : الآن تَأتـــي!
وبـــينَ فَـــوزٍ مُبَاغِـــتْ أو حســـرةٍ بعـــدَ فَـــوْتِ
وحَيْرَةٍ كلَّ وقتِ
* * *
أراكَ يـــا قلـــبُ لَمَّـــا تَســـمَّعْ، ولم تَتَذَكـــرْ
ومـــا تحـــاوُل كَظْمـــاً لِخَفقِـــكَ المُتَســـعِّرْ
وما تريدُ التدبُّرْ
* * *
عَلَيْـــكَ يَـــا قلـــبُ وِزْرَكَ فاخفـــقْ إذَنْ بَـــلْ فَخَاطِـــرْ؟
فليـــس يُجْدِيـــك حَـــذَرُكَ إذَا هَمَمْـــتَ تُحَـــاذِرْ
خاطِرْ بنفسك خَاطِرْ؟
* * *

على أطلال الحب *

تَفَــرّدَ ذلــك الطّلــلُ وطــاف بركنــه الوَجَــلُ
يُغَشّــى اليــأسُ صَفْحَتَــه ويُبْــرِقُ تحتَــه الأمــلُ
وهَمِـسُ حولَــه الذّكْــرَى فتلمــعُ بينهــا الشُّــعَلُ
جَفَــاه أهلُــه مَلَــلاً فَخّيــمَ فوقَــه المَلَــلُ
عَزِيــزٌ عَهْدُهــم فيــه عزيــزٌ أَنْــتَ يَــا طَلَــلُ

* * *

بَنَــاه خَــيرُ بَنّــاءٍ بَنَــاه الحــبُّ مُبْتَدِعــا
وبَــثَّ عَلــى جَوانِبِــه مَفَاتِــنَ تَفْتِــنُ الوَرِعَــا
وأطْلَــقَ حَولَــه سِــحْراً يَبُــثُّ الشّــوقَ والوَلَعَــا
وأَنْشِــدَ بِاسمِــه شِــعْراً مِــنَ الآمــالِ مُنتَزِعَــا
وظَلّــلَ أَهَلَــه الأمــلُ فمــاذا جَــدّ يــا طَلَــلُ ؟

* * *

---

* نشرت ١٩٣٤.

خريفٌ باكرٌ حلاَّ خريفٌ الحُبّ والعُمْرِ
فَحَطّمَ كُلَّ شَامخَةٍ على الأحداثِ والدَّهْرِ
وعَطَّلَ كُلَّ فَاتِنَةٍ مِن الإِغْوَاءِ والسِّحْرِ
وأبْطَلَ كلَّ سَاحِرةٍ وأسْكَتَ نَغْمَةَ . الشِّعْرِ
فَعَادَ بِنَاؤُه طَلَلاً فَويْحَكَ أيُّها الطَلَلُ
دَلَفْتُ إليه مَلْهُوفاً تحُثُّ حَنيني الذّكْرَى
فَأطْرَقَ لا يُحَدّثُني وأرْسَلَ زَفْرةً حَرَّى
وَجَدْتُ لِوَقْدِها لَذْعاً كَأني أَلْمُسُ الجَمْرَا
وتاهتْ نَفْسي الوَلْهَي وأَسْرَتْ رُوحي السَّكْرَي
وقُلْتُ وقَدْ نَزَا أَلَمي «فِداكَ الكونُ يَا طَلَلُ» ؟

* * *

صدى قبلة*

حرارتُهـا لم تَـزلْ فَائِـرَه ونكهْتَهتُـا لم تَـزالْ عَاطِـرهْ

أُحِـسُّ حرارتَهـا في دَمِـي كمـا تَصْـرُخُ الشـعلةَ الثَّائِرهْ

أنْشَـقُ نَكْهتَهـا كالشَّـذى يفـوحُ مـن الزهـرةِ النَّاضِـرهْ

وتخطـرُ رَيَّانَـةً في فَمِـي كمـا يَخْطُـر الحُلْـمُ بالذّاكِرة

وبـينَ يَـديَّ صَـدَى ضَمَّـةٍ تَـردَّدُ كالنَغْمَـة السَّـائِرةْ[1]

أجَلْ! لَيْسَ هَذَا الذي قد ضَمَمْتُ سِـوى نَغْمَـةٍ حُلْـوةٍ عَابِـرَة

أذلـك جِسـمٌ ! فأيـنَ الخيُال وأيـنَ عَرَائِسُـه النَّافِـرةْ؟

تَقَدَّسْـت مِـنْ قُبْلـةٍ قَدَّسَـتْ مُنَـاي وأوْهَامِـي الحائِـرهْ

وأَزْكَـتْ حَياتِـي وإنَّ الحيـاةَ هـي الفتنـةُ الحيَّـةُ الطَّائِـرهْ

أجلْ هـي أطْهَرُ ما فِـي الوجودِ فمـا الرِّجْسُ إلاّ القُـوى الخَائِرةْ

لجَسَّـمْتِ مـا كانَ في خَاطِرِي خيـالاً وأُمْنيـةً طَائِـرهْ

وقَرَّبْـتِ لِلَّمْـسِ مـا لم تَكُـنْ تُقَرِّبُـهُ الفكـرةُ الخَاطِـرهْ

وَأسْـرَيْتِ بالـرُّوحِ في لَثْمَـةٍ تَحُـسُّ بِهـا الشَّـفَةُ الشَّـاعِرهْ

أَمُعْجزَةٌ أنْتِ تَمْزِجُ بين الجِسـم وبـينَ القُـوى الطَّافِـرهْ ؟[2]

قُـوى كلِّ هَيْكلِ هـذا الوجودِ كذلـك قـدرتْ يـا قَـادِرَهْ !

---

* نشرت في تشرين الأول(أكتوبر) ١٩٣٧.

١- السائرة: المنتشرة.

٢- الطافرة: من طفَرَ: وثب: أسرع.

وإنّـــي لأغْمِــضُ فِـــي نَشْــوةٍ وأُمْسِـــكُ أَنْفَاسِـــي السَّـــاعِرة

وأَخْطَرُهَـــا قُبلـــةً في فَمِـــي فَأسْـــمَعُ أَصداءَهـــا السَّـــاحِرةْ

وأسْـــتَرْجِعُ اللحظـــاتِ القِصَارِ فَأُلْفِـــي بهـــا صُـــوراً وَافِـــرةْ

وأَعْرِضُهـــا مَنْظَـــراً كمـــا عُرِضَـــتْ قبـــلُ لِلبَاصِرةْ

ثَـــوانٍ تَرَكّـــزَ فيهـــا الزمـــانُ تُبَـــارِكُ دُنيـــاي والآخـــرةْ

* * *

غني ... ؟!*

غنيّةٌ أنـــتِ بالتعبيرِ قـــد ذَخَرَتْ أطـــواءُ نفسِـــكِ منـــه زادَ أَحْقَابِ

وهَبِتـــني مِنْـــه أشـــتاتاً منوّعـــةً وزدتِـــني منـــه في وجودٍ وإسـهابِ

في كل جَارحـــةٍ عُنـــوانُ مَلْحَمَةٍ مـــن الحديثِ ، وســـرٌّ جِـــدُّ جذّابِ

تقـــصُّ تاريخَهـــا في فـــنّ راويةٍ منسّـــق النّبْرِ ذي لحـــنٍ وإطرابِ[1]

وإنَّ تاريخَهـــا أُقْصُوصـــةُ جمعتْ تجـــاربَ الكـــونِ في أحـــلامِ أربابِ

تجاربُ الكونِ في سِـــحْرٍ وفي فِتَنٍ من نُضْرةِ الرّوضِ أو مِنْ وَحْشَةِ الغَابِ

ومِنْ سَـــناءِ الـــدّراري في تَألُّقِها ورهبةِ الكونِ في جُنْحِ الدُّجى الخَابي[2]

ومِنْ غُموضِ الصّحَارى في مَجاهِلِها والعيلمُ الرّحـــبُ يَطْغَى جِدُّ صَخّابِ

ومن صِيـــالِ الضّواري في تَقحُّمِها ومن أغاريـــد أطيـــارٍ وتَنْعَـــابِ[3]

وفرحـــةُ الظَافِرِ النّشـــوانِ خَافِقَةٌ تختـــالُ مُعْجَبـــةً في خَطـــوٍ وثّـــابِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٧

١- النبر: إبراز النطق والصوت.

٢- الدّراري: مفردها دُريٌّ: وهو كوكب لامع.

٣- التنعاب والنعيب: صوت البوم.

هــذا حديثُــكِ بينَا أنــتِ صَامتةٌ   وَعَيْتُــهُ كلَّه في صَمْــتِ مِحْرابِ

فهلْ بلغتُ مدَى مــا أنتِ زَاخرةٌ   من التجاربِ في خَلْــقٍ وإنْجابِ ؟

لا . لا وحقكِ لم أبلغْ سِوى طَرْفٌ   من الحديــثِ على وَفْــرٍ وإطنابِ

وخَلْفَ ذلــك كَنْزٌ كُلُّــه طُرَفٌ   يزيــدُ مَذْخُــورُة في كــفِّ وهّابِ

وإنَّ عِنْــدكِ مــا تُعطِينــه أبــداً   للســائلينَ بإفْصَــاحٍ وإغْــرابِ

* * *

العينُ . ماذا تَقصُّ العينُ مِنْ خَبرٍ   مُسَلْسَــلٍ في حَنايا النفسِ مُنْسَابِ؟

وما الذي أبْدعتِ للفنِ إذ هَمَست   للأمْنيــاتِ فلبَّتْ بِضْعُ أسْــرابِ ؟

وأفْصَحتِ عن حنينٍ كامنٍ وهَوى   يَسْــرِي الهوينى شَفُوفاً بينَ أهْدابِ ؟

والثغــرُ ماذا يبثُّ الثغرُ من قُبَلٍ   في صمتِه العَذْبِ، بل في سِحْرِه السَّابِي[1]

وإن فيه لقُبلاتٍ قد ارتَســمتْ   من بعد ما نَضَجَت ، لِلاَّثِمِ الصّابي[2]

* * *

والجسمُ. ماذا يقولُ الجسمُ قد خَفَقَتْ   فيه الحياةُ ، وتَاهــتْ تيهَ غَلاَّبِ ؟

يقولُ مــا تعْجَــزُ الدُّنيــا بِرُمَّتها   عــن أن تقولَ بتصويــرٍ وإعرابِ

* * *

خُلاصَةٌ أنتِ من فَــنِّ الحياةِ حَوتْ   جَميعَ ما تُبــدِعُ الدُّنيا لإعْجَابِ

غنيــةٌ أنــتِ بالتعبير قَــد ذخرتْ   أطواءُ نَفْســكِ منــه زادَ أحقابِ

* * *

وحي جديد *

فِـي خِفّـةِ الطيْـرِ في نُضْـرَةِ الزّهْـر
لا قيتُهـا عَرَضـاً بَسّـامةَ الثّغـرِ
فتّانـةٌ تُغـري بالسّـحرِ والطُّهْـرِ
تَهْفُـو فَتَحْسَـبُها لحنـاً هَفَـا يَسْـرِى
في لَفْتـةِ الجِيـدِ في خَفْقـةِ الصَّـدْرِ
«تَقْسـيمُ» موسـيقـــــا أمَنْغُومـةِ النّبْـرِ

* * *

يـا بَسْـمَةَ الفَجْـرِ يـا نَفْحَـةَ العِطْـرِ
أسْـكَرْتِ وِجْـدَانِي مِـنْ لَوْنِـكِ الخَمْـري
أَلْهَبْـتِ إِحْسَاسِـي بالشَّـوقِ كالجْمـرِ
وَهَمسْـتِ في قَلْـبي وهَتَفْـتِ في صَـدْرِي
وبَعَثْتِنـي أَشْـدُو للحُـبّ بالشّـعْرِ
وكأنّـني رُوحٌ تَقْفُـو خُطـا سِـحْرِ
مَفْتُونَـةً ترنُـو للكـونِ في سُـكْرِ
والكـونُ يَشْـمَلُها بالأنْـسِ والبِشْـرِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٧

عَجَبي لِمَا أَلْقى مِنْ لُغْزِكِ السِّحرى!
وَحْيٌ يُوَسْوِسُ لي في السِّرِّ والجَهْرِ
حوّلتِ عُمْري من شَطْرٍ إلى شَطْرِ
حبّبْتِني، عَجَباً! في عيشَةِ الوَكْرِ
قد كنتُ أرْهَبُها كالنّابِ والظُّفْرِ!
وإخَالُها شَرَكاً في البَرِّ والبَحْرِ!
إذ كنتُ أدْمَغُها بالشَكِّ والغَدْرِ
فملأتِني ثِقَةً بجَمالِها المُغْري
ورسمتِ لي صُوراً لفِراخِها الخُضْرِ
تَزْقُو فَنُطْعِمُها بحنَانِنا النَّضْرِ
ونَرِيشُ أجْنِحَةً مِنْ رِيشِها النَّزرِ
فَتَطِيرُ هَازِجَةً في جَوِّنا الشِّعرى
وتؤوبُ وَادِعَةً للعُشِّ كالطِّيرِ!

* * *

يَا فِتْنَتي، هَذَا طيفٌ مِنَ السِّحْرِ
إنْ تَأذَني أضْحَى شَطراً مِنَ العُمْرِ
فَهِبي لي رُوحاً من رُقْيةِ الثُّغْرِ
هي قُبْلةٌ تُمْضي مَا شِئتِ مِنْ أمْرِ
وكأنّها قَدَرٌ بسعادتي يَجْري

* * *

أكذوبة أسوان *

بعد عام أحس في نفسه بالسّلوان، وأحس بمغاليق نفسه تتفتح للجمال. ولكنه تنبه إلى أن كلّ نموذج جميل ينفتح له قلبه فيه شبهٌ أو سِمَةٌ من الجمال الذي حَسَبَ نَفْسَه قَدْ سَلاه وإذا هو يَهْفُو إلى الماضي، والماضي وحْدَه دونَ سِواه.

الآن أعْلَمُ أنّ كلَّ خَواطري تَهْفُو إليك كَرَقْرَقات الطَّائِرِ[1]

ما كان سُلْواني سِوى أُكْذُوبَةٍ خُدِعَتْ بها نَفْسي خَديعَةَ شَاعِرِ

بَيْنَ الشَّغافِ وفي مُنَاي وفي دَمي ألقاكِ هَاجَّةً وبينَ سَرائري

أنْسَاكِ؟! كيفَ وأنتِ بينَ جَوانِجي شَطْري الجَميلُ وأنْتِ وَحْيُ خَواطِري؟

أنْسَاكِ والآمالُ والذِّكْرى معاً مَوْصُولةٌ بكِ في صَميمِ مَشَاعِري؟

وإذَا هَفَوتُ إلى الجمالِ فإنَّما أهْوى مَثالَكِ في الجَمَالِ العَابِرِ

أنْسَاكِ إذْ أنْسَى حَياتي كلَّها فإذا حَيِيتُ فأنْتِ أولُ خاطِرِ

نَبَضَ الربيعُ فَكُنْتِ أولَ نَابضٍ في خَاطِري يهفُو وأوَلَ زَائِرِ

وهفوتُ للماضِي الذي قد أوْدَعَتْ نَفْسي لديه رَغَائِبي وذَخَائِري

أنا ذلك الماضِي الذي لا يَنْقَضي أنا ذلك الماضِي يعيشُ بخَاطِري!

* * *

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤٣

١ – الرقرقة: التحرك والارتجاج.

حلم الحياة*

«وهل الحب سِوى حُلْمٍ نَديٍّ في صحراءِ اليقظةِ المُحْرِقَةِ ورُؤيا مُشِعَّةٍ في ظلامِ الحياة؟».

أيُّها الحُلْمُ الذي كانَتْ حَيَاتي ... مِنْ حَوالَيهِ دُعَاءً وصَلاةْ
وتَسابيحَ وَعتْهَا أُغْنياتي ... وانْتشاءً بأفَاويقِ الحياةْ[1]
أيُّها الحُلْمُ الذي أطْلَقَني ... مِنْ قُيودي نحو آفاقٍ عَجيبَهْ
والَّذي في الصَّحْوةِ قَدْ طَوَّقَني ... بتَهاويلَ مِنَ الوَهْمِ حَبيبَهْ
أيُّها الحُلْمُ الذي طَهَّرَ نَفْسي ... بالعذابِ الحُلْوِ والدَّمْعِ الطَّهُورْ
والذي أفْعَمَ بالآمَالِ كَأْسي ... وحَبَاني بعدَ رُشْدِي بالغُرورْ!
أيُّها الحُلْمُ الذي رَدَّ عليَّا ... نَزَقَ الطِّفْلِ وأهْواءَ الغُلامْ[2]
والذي نَدَّى بِدَمْعي مُقْلَتَيّا ... وعلى إثْرِ بُكَائي الابتسَامْ!
أيُّها الحُلْمُ الذي جَسَّمَ وَهْمي ... فإذَا الأوْهَامُ في الدُّنيا حَقيقَهْ
تَتَجلَّى في أَحاسِيسي وَهَمِّي ... صِلَةً بالرُّوحِ والجسمِ وَثيقَةْ
أيُّها الحُلْمُ الذي أطْلَعَها ... في حَيَاتي مِثْلَمَا تَطْلُعُ نَجْمَهْ
وأرَانيها كَمَا أبْدَعَها ... فِتْنةً تَشْقَى بها الدُّنْيا ونِعْمَهْ

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤١م
١- أفاويق: ما اجتمع مرة بعد مرة، من حليبٍ أو سحابٍ.
٢- نزق: خَفَّ وطاش.

أيُّهــا الحُلْــمُ الــذي هَيّــأ لــي أنّهــا في ذلــك الكــونِ فَريدَهْ
والــذي جَسَّــمَ فيهــا أمَلــي وأمانــيَّ اللَّهيفَــاتِ الشَّــريدَهْ
أيُّهــا الحُلْــمُ الــذي ظَلَّلَهــا في خَيالــي بأعَاجيــبِ الظِّــلالْ
فبــدتْ حُوريّــةً جَلَّلَهَــا ألَــقُ الطُّهْــرِ وإشْــرَاقُ الجَمَالْ
أيُّهــا الحُلْــمُ الــذي صَوَّرَهَــا كُلَّ يــومٍ صُــورَةً منْهــا طَريفَهْ
كلُّهــا تَبْــدُو – ومَــا أكْثرَها – عَذْبَــةً جَذَّابَــةَ اللَّمْحِ شَــفيفهْ
أيُّهــا الحُلْمُ الــذي جَمَّــلَ عنْدي كلَّ ماعَــنَّ لَهــا مِنْ نَــزَواتْ!
والذي عَلَّــقَ وِجْدَانــي وَجَهْدي بالــذي يَبْــدُو لها منْ بَــدَواتْ!
أيّهــا الحُلْــمُ الــذي أوْقَدَهــا شُــعْلَةً هَوْجَــاء تَذْكُــو في دَمي
كلّمــا تَلْمَــسُ كَفّــي يَدهَــا تَلْمَــسُ النَّشْــوةُ قَلْبــي وفَمي!
أيُّهــا الحُلْــمُ الــذي كَانَ وكَانْ أينَ نَحْنُ الآنَ مِــن هذَا الزَّمَانْ؟
أيْــنَ أنْــتَ الآنَ يَــا سِــرَّ حَياتي أينَ أنْــتَ الآنَ يَا مَعْنَى وُجُودي!
أينَ يَــا وَحْيَ نَشــيدي وصَلاتي؟ أيــنَ؟ في وَادٍ مِــنَ الصَّمْت بَعيد
بينَنَــا وَادٍ مِــنَ البُعْــدِ سَــحيقْ بَيْنَمــا أنْــتَ هُنَا مِــلءُ فُؤادي
كَإلَــهٍ حَوْلَــه الصَّمْــتُ العَميقْ وهُــو في كلِّ شُــعُورٍ وفُــؤَاد
لِــمَ يَــا حُلْــمُ قَــدْ أيْقَظْتَنــي فإذَا الصَّحْو خَــواءٌ[٤٣] في خَواءْ
لِــمَ يَــا حُلْــمُ قَــد فَارَقْتَنــي فــإذَا الكــونُ هَبَــاءٌ فــي هَبَاءْ
أيُّهــا الحُلْمُ تُــرى كُنْــتَ خدَاعاً إيــه مَــا أصْدَقَه هَــذَا الخدَاعْ!
أيُّهــا الحُلْمُ الــذي فَــاتَ وَدَاعاً ما الــذي نَمْلكُه غيرَ الــوَدَاعْ؟

* * *

الكأس المسمومة*

أقْلاك أقْــلاك كالشــيطان أقْلاك ... أقْلاك كالسُّم يَسْري جَدّ فَتّاك[1]

أقْــلاك: إنّك في نَفْســي وفي زَمَني ... وفي حياتــي أفَعْى ذَاتُ أشْــواك

سَمّمْت عَيْشــي وأحْلامي وَأخيلَتي ... وأنت شــيطانة في سمــت أملاك

وعشْــتُ أرْعَاك في قَلْبي وأنْت بلا ... قلب يُحِــسُّ ويَرْعَى كيفَ أرْعَاك

مَنْ أنتِ؟ مَا أنــتِ؟ إنّي حَائِرٌ قَلِقٌ ... أأنْتِ أُسْــطُورةٌ في سِفْرِ أفّاك؟[2]

* * *

أنْسَــى اللّيالي الــتي قَضيّتُها قَلقاً ... وأنــتِ سَــاكِنَةٌ رَاضٍ مُحَيّــاك

أنْسَــى الدُّمُوعَ التي أرسلتُها غَدقاً ... ولســتُ لولا هَواك المُرُّ بالبَاكي

وكِبْريائِي التي مَــا كُنْتُ أخْفضُهَا ... منْ قبلُ أو بَعــدُ في دُنْيَاي لَولاَك

أنْسَــى. وأذْكُرُ أحْلاَمي وأخْيلَتي ... كَأنَّهُــن نجــومٌ بــينَ أحْــلاَك

وكلُّهُن نَســيجُ الوَهْــمِ في خَلَدي ... ولَسْــنَ غــيرَ أحابيلٍ وأشْــواك

* * *

أقْــلاكِ؟ لَيْتَ! فإني لَسْــتُ أقلاك ... أهواكِ؟ لَيْتَ! فَإنّي لَسْــتُ أهْواك

أهْــوَى وأقْلَــى وأيامِــي مُوزَّعَةٌ ... بينَ الهوى والقلي كالضّاحك البَاكي

هذا الرّحيقُ وهذا السُّــمُّ قد مُزجَا ... ولســتُ أرْوَى بكأسٍ غَــيرَ رَيّاك

هَاتي لِيَ السُّــمَّ صِرْفاً لا يُمَازجُه ... هذا الرحيقُ فإنّي لســتُ بالشّاكي

مَلَلتُ كَأسَــكِ لا ألتذّ نَشْــوَتَها ... ولا أُحطِّمُهــا تَحْطِيــمَ سَــفّاك

---

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٣.

١- أقلاك: أكرهك.

٢- أفاك: الكذاب، المفتري.

وحي لقاء*

هَـذَا اللّقَـاء كَأنّـه ذِكْـرَى مَكْنُونَـةٌ في عالَـم النَّفْـس
وكأنّـه وَهْـمٌ أَجَسِّـمُه لا حَـادِثٌ في عَالَـم الحِـسّ

* * *

هَـذا اللّقَـاءُ الخَاطِـفُ الوَاجِفْ وَتَلَفُّـفُ الأَنْظَـارِ في حَـذَرِ
كثُمالَـةُ الأَحْـلاَمِ، كالذِّكْـرَى في رِعْشَـةِ اللفتَـاتِ والصُّـورِ

* * *

أُخْتَـاه. وَاعجبـاً لَنَـا! عُدْنَـا في هـذه الدُّنْيَـا غَرِيبَيْـن
عُدْنَـا إِذا مَـا خِلْسَـةٌ سَـنَحَتْ نَمْضِـي علـى حَـذَرٍ كَلِصّيْنِ!

* * *

ألقـاكِ مِثْـلَ الطيـفِ عَابـرَةً وكأنَّ مَـا قَـدْ كَانَ مَـا كَانَـا
وكأنّمَـا الأيـامُ مـا شَـعَرَتْ أنَّـا عَمَرْنـا قَـطُّ دُنْيانَـا!

* * *

وتُفَكِّرِيـنَ كَأنّمَـا افْتَرَقَـتْ مِـن مَطْلَـعِ الدُّنيـا طَرِيقَانَـا
وتذكّرِيـنَ كأنّمـا اجْتَمَعَـتْ في خَاطِـرِ الأيـامِ ذِكْرَانَـا!

* * *

مـا أنـتِ؟ إني لَـمْ أجِـدْ أبداً أني كَشَـفتُك قَـطُّ في النُّـورِ
مـا أنـتِ إلا فكـرةٌ شَـرِدَتْ مـا أنـتِ إلا طيـفُ مذعورِ!

* * *

وشَـقِيّةُ الخُطُـوات عَاثِـرةٌ في حَيْثُمـا اتَّجَهَـتْ لِمَأْمُـولِ
وكأنّمـا تَمْضِـي مُرَوَّعَـةً وضميرُهـا يُضْفِـيَ لِمَجْهُـولِ!

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤٤.

حلم الفجر*

عَجَبـــاً! أنْت مَـــا تَزَالـــينَ حُلْمي   وَمثَالـــي وَفكْرَتـــي ونَشـــيدي
مَـــا تَزَالـــينَ في خَيالـــي رَمْـــزاً   لِرَجَـــاء مُنَـــوَّر مـــنْ بَعيـــد
مَـــا تَزَالـــينَ حَافـــزاً لِجُهـــودي   مَـــا تَزَالـــينَ غَايـــةً لوجـــودي
أَتَحاشَـــاك   بالجَفَـــاء   وباليَـــأ   سِ فأرتَدُّ سَـــاخراً مـــنْ جُهُودي
أَتَحاشَـــاكِ كالجحيـــمِ وكالسُّـــمّ   ولكن إليـــكِ يُفْضي شُـــرودي

* * *

عَجَبـــاً! تَرْكُـــدُ الحَيَاةُ فَأنْسَـــاكِ   قليـــلاً في غَمْرَتـــي ورُكُـــودي
فـــإذا دَبَّـــتْ الحيـــاةُ تَـــراءَى   كطيـــف مُســـتَيْقظ مـــنْ هُجُود
وتَـــراءتْ تَـــرِقُّ حَولَـــك أَطْيَافٌ   لِمَـــا كَانَ بَينَنَـــا مـــنْ عُهـــود
كلّ مالا مســـت يـــداكِ ومامـــ   ـــس هوانا مـــن قيـــمٌ وزهيد
أتمـــلاّهُ   بالخيـــال   وبالحْـــ   ـــس كهـــاوٍ من عـــالَمٍ موعود

* * *

عجبـــاً! بعـــدَ كلِّ مَـــا كَانَ منَّا   مـــنْ صِـــراعٍ دَامٍ وجُهـــدٍ جَهَيد
أتَمَنَّـــاكِ في المَنَـــامِ وفي الصَّحْـــ   ـــو تَمنِّـــيَ العَقيم وَجْـــهَ الوليد
وإذَا ســـرْتُ في الزِّحَـــامِ فَعَيْني   لخيـــالٍ مُسْتَشْـــرِفٍ مـــنْ بَعيـــد!
لهفـــةٌ تَمْـــلأُ الحَنَايـــا حَنينـــاً   لرجـــاءٍ   مُجَسَّـــم   مَفْقُـــود
أنْتَ حُلْمُ الحياةِ في صَحْوة الفجـــ   ـــر   فَأنَّـــى[٤٥] لِحُلْمنَـــا من مُعيد

* * *

---

* نشرت: في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٤.

انتهينا*

انْتَهَيْنَا قد مَضَى المَاضي جميعاً ومَضَيْنَا
انتهينَا لم نَعُدْ نَسألُ أيَّانَ وأيْنا؟!
أو نَمُدُّ اليومَ للأحْلام والأوْهَام عَيْنَا
انْطَوى الحُلْمُ الذي لاَحَ زَمَاناً وانْطوَيْنَا
ويدُ الدّهْرِ تَمشّتْ تُسْبِلُ السّتْرَ عَلَينا

* * *

اضْربي في زَحْمَةَ الأرض على غيرِ طَريقي
فكرةً ضَلّتْ وحُلْماً يَتَوارَى عَن مُفيقِ
ولُقىً يقذفُه الموجُ إلى الشّطّ السّحيقِ
وهَوىً يَخْسرهُ الفَنُّ، على عَينِ الصّديقِ
وَسَنىً يَطْمِسُه الليلُ إلى غيرِ شُروقِ

* * *

وأنَا المَكْدُودُ فَلْيُلْقِ إلى الأرضِ عَصَاه
آنَ للمُجْهَد أن تَسْكُنَ في الأرض خُطَاه
آنَ أنْ يَصْمُتَ لا تَهْتِفُ شَوقاً شَفَتَاه
آن أنْ يُغْمضَ لا تُوقظُه وَهْناً رُؤاه
جَاوزَ الجُهْدُ قُوَاه، فَتَهاوتْ قَدَمَاه

* * *

---

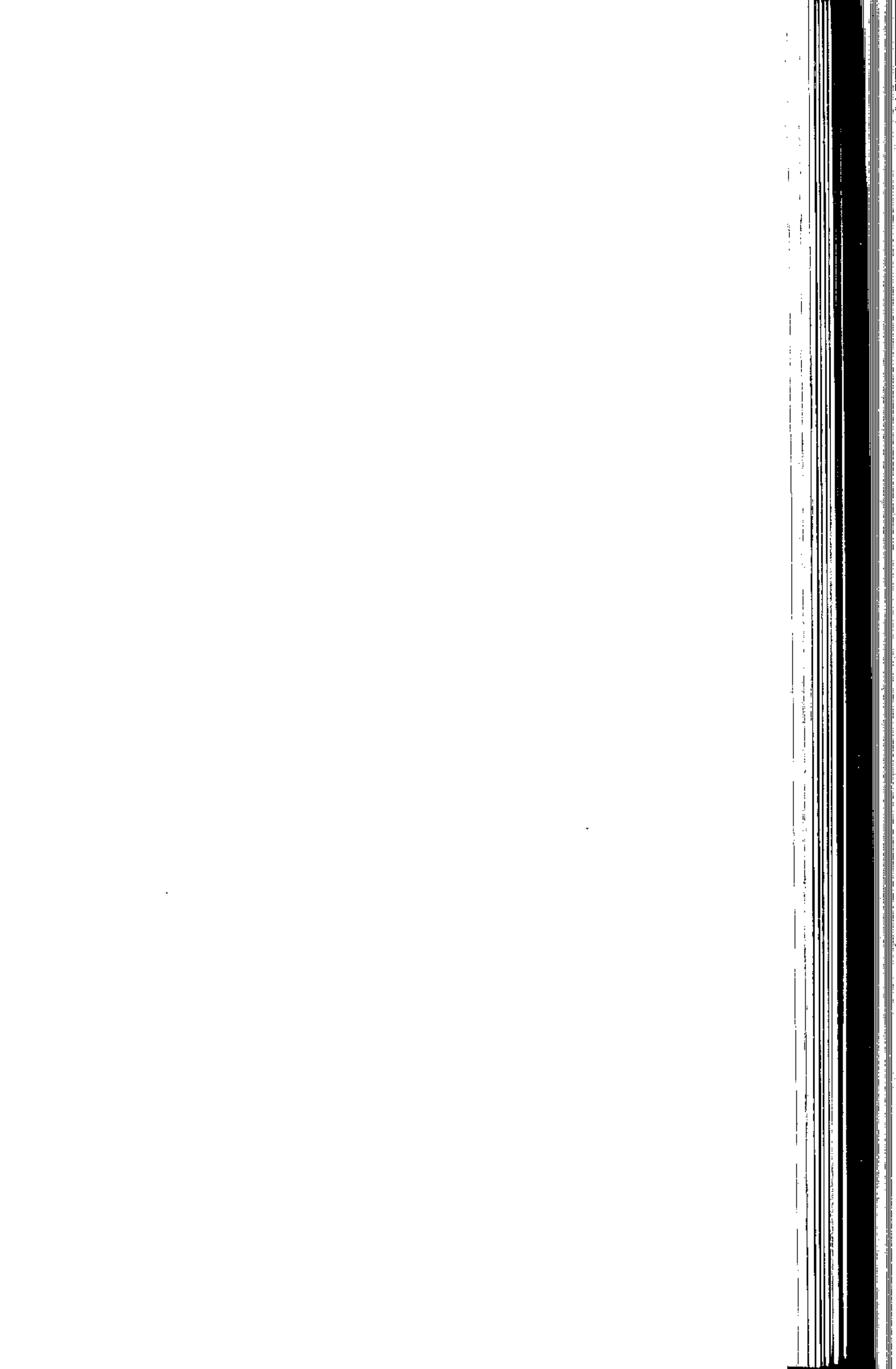
* نشرت عام ١٩٤٥

طَالَ هذا الحُلْمُ حتى صَارَ في النَّفْس عَيَانَا
ومَضَينا في طريقِ الوَهْم تنْسَابُ خُطَانَا
تَهْدمُ الأيامُ مَا نَبْني فَتَبْنيه رُؤانَا!
ونخوضُ الشّوكَ يُدْمينا فتَمْضي قَدَمانا
تتبعَ الوَهْمَ الذي صَاغَ مِنَ الشَّوْكِ جَنَانَا
* * *

يَا لهذا الحُلْمِ والأيامُ تَمضي والليَالي
عَابثَاتٌ بالأَماني وهو يَمْضي لا يُبَالي
يَغْلِبُ الوَاقعَ في الأرضِ بتَحْليق الخَيال
ويَرَى خَلْفَ الرَّوَابي والصَحَارَى طيفَ آلِ[١]
فَيرودُ الأفقَ ظَمآناً مَشُوقاً للظّلالِ
* * *

قَد مَضَى والعُمر يَمْضي وَالأَمَاني وَالزّمَان
وانْتَهَيْنَا. وصَحَا بَعْد الأوَان الحالمان
عَجَباً. قد كان حُلماً. لَيْتَ شعْري كَيْفَ كان
الْعَيَانُ الْيَوم كالحُلم وحُلْمي كالْعَيَان
صَمَتَ الدَّهرُ عَياءً وَمَضَى يَخْطُو الزّمَان
* * *

١- الآل: السراب





وادعاً كالزَّهر حَيَّاه النَّسيمْ
ساهياً كالصَّمْت في ظلِّ الوُجُومْ
حَالماً يصْحُو قليلاً ويهيمْ
بينَ أطياف الأماني
وخيالات الهمومْ

وردة ذابلة*

قــد تولّــتْ وَذَوَتْ نُضْرتُهــا وبــدت كالميِّــت المُحْتَضــرِ
تَفْتَــحُ الأجفــانَ أو تغْمِضُهــا فتحــةَ الضَّعْــفِ وغَمْــضَ الحَوَرِ
وشَــذَاهَا لَــم يَــزَلْ يُفعِمُــني فيعيــدُ الشَّــجْوَ لي بالذِّكْــرِ

* * *

العود*

مُحَلِّــلُ القَلــبِ أنْغَامــاً وألْحاناً ومُلْهِــمُ الوَحْي إســراراً وإعلانا
ومُوقظُ النَّفْسِ إنْ طَافَتْ بِهَا سِــنَةٌ وأَنْــتَ تَهْمِسُ بَالأنْغَامِ وَسْــنَانا
ومُطْلِقُ الرُّوحِ تَسْمُو في معارجِها[46] وتطــرقُ العالَم العُلْــويَّ أحْياناً
وباعثُ الذِّكَرِ اللائي إذا اشتجرتْ أثَرْنَ في النَّفْسِ آلاماً وأشْــجاناً
وواهــبُ الحِسِّ لُطْفــاً في مَدارِكه ومُوحي الشِّــعرِ إحْساساً وأوْزاناً
أسَــلْتَ نَفْســي بالألحان تُنْشِدُها إنشادَ ذي شَجَنٍ قَدْ هَامَ تَحْناناً[1]
كأنَّ ألْحانَــك اللائــي تُرَدِّدُهــا أطيافُ ذِكْرى؛ توارتْ، تَرْجِعُ الآنا
كأنّهــا هَمْــسُ جِــنٍّ أو ملائكةٍ أســرَّ عن عالمِ الإنســانِ كِتمانا

---

*نشرت عام ١٩٢٥

* نشرت عام ١٩٢٧.

١- أسلت: أسأل النفس: حرّكها.

تســـيلُ في النفسِ والأسماعُ مُرْهَفَةٌ   وإنَّ للنفـــسِ مِثْلَ الجســـمِ آذانَا

وتســـتحثُّ خيـــالاً كانَ في دَعَـــةٍ   فيذرعُ الكـــونَ آفاقـــاً وأزماناً

وتمـــلأُ النفـــسَ باطمئنانِهـــا ثِقَةً   وتغمـــرُ القلبَ إِخْلاصـــاً وإِيمانا

* * *

حديـــثُ أيِّ فـــؤادٍ أنـــتَ تَذْكُرُه   أَبَاسِـــمٌ فَـــرِحٌ أمْ كَانَ حَزْنَانَـــا

وأيُّ وَحْـــيٍ لَنـــا تَرْوِي رِسَـــالَتَه   فيؤمِـــنُ الناسُ أفْـــكاراً وَوِجْدَانَا

عَنِ القُلـــوبِ جميعاً أنـــتَ تُخْبِرُنَا   عنِ الأنَاسِـــيِّ ما خَصّصتَ إنساناً

عـــنِ الحيـــاةِ ومـــا فِيهـــا تحدثُنا   فكلُّنـــا مُؤمِـــنٌ يـــزدادُ إيقانَا[1]

عن الطبيعـــةِ تَروِي وهـــي تُلْهِمُنَا   هذا الحديثَ، فمـــا نَحْتَاجُ بُرْهَانَا

* * *

١- إيقاناً: الإيمان والتسليم.

بريشة الشعر*
أو
صورة صادقة

كانَ الأمــس، وبالأمسِ القريبْ يَتَــراءى كالأمانــي هَــا هُنــا
هائماً كالــرُّوحِ يغــدُو وَيئُوبْ والرجــاءُ العَــذْبُ في وَادي المُنــا
وَادِعاً كالزهرِ حيّاه النسيمْ
سَاهِيا كالصمتِ في ظِلِّ الوُجُومْ(1)
حَالِما يصحُو قليلاً ويَهِيمْ
بين أطيافِ الأماني
وخيالاتِ الهمومْ

* * *

زهــرةٌ قــد كَادَ يَعْرُوهــا الذُّبُولْ ثم حَيَّتْهــا تباشــيرُ الربيــع(2)
فهــي تَرْنُو بــين صَحــوٍ وذُهولْ مثلما تَحْتــارُ في العــينِ الدُّمُوعْ
وهو لَحْنُ من أناشيدِ السماءْ
أرسلتْه في تضاعيفِ الضيَّاءْ
فَوَعَاه كلُّ ذي حِسٍّ بَراءْ
وشعورٌ كالنسيمْ
في الحَنَانِ والنقاءْ

* * *

دُميــةٌ تُوحِي بأشــتاتِ المَعَانِي وهي سَكْرَى في حَمى الصمتِ العميقْ

هادئـــاتٍ مثْلَ أطيـــافِ الأمانِي   ســـامياتِ الوَحْي كالعطفِ الرَّفِيقْ

وهو مَا أدْرِي مَلاكٌ أمْ بَشَرْ؟

فهو رُوحٌ هَائِمٌ لا يَسْتَقِرْ

وهو صَفوٌ لم يخالطْه الكَدَرْ

والأناسِيُّ لِئامْ

مثل شَيطانٍ نُكُرْ

* * *

كان بالأمـــسِ ولَكن قـــد تولّى   ذلـــك الأمْـــسُ فَخـــلاّني وغَـــابْ

وإذَا بِـــي مُوحِـــشٌ لا أتَسَـــلّى   والخصيبُ النَّضْـــرُ كالجَدْبِ اليَبَابْ

أذكر الساعات ومضاً ينقضين[1]

ثم يَعْرُوني لِذاكَرَاها الحنينْ

فيهيجُ الوجدُ والشّوقُ الدّفِينْ

إيه ساعاتِ الأمانِي

أتُرى قَدْ تَرجعينْ؟

* * *

١- الومض: بريق سريع الإنطفاء

هدأة الليل*

هَدَأ الليلُ وهَاجتْ بِيَ الشَّجُونُ   وصَحَـــا جَفْنِي لَدى غَفْـــوِ الجفُونْ

وتـــوارتْ ضَجَّـــةُ العَالَـــمِ في   هَـــدْأةِ الليلِ يُغَشّـــيها السُّـــكُونْ

حَنَّتْ. الـــوُرْقُ فلمّـــا هَجَعَتْ   بَعـــدَ لأي هَيجَتْ عنْـــدي الحنينْ[1]

ذكريـــاتٌ مَـــا لَهـــا تَتْبعُـــني   حيثمـــا سِـــرْتُ وأيـــانَ أكُـــونْ

صُـــورٌ شـــتى إذا مـــا عَرضَتْ   صَـــوّرَتْ لي واضحاً طيفَ السّـــنينْ

وأرَتْنِـــي كيفَ يمضِـــي العُمْرُ لا   يشـــعرُ المـــرءُ بـــه حـــتى يَحِـــينْ

يَتقضَّـــى العُمْـــرُ في أحلامِنـــا   وإذا نَصْحُـــو صَحَتْ غُـــولُ المَنُونْ

وأرتْنِـــي شَـــبَحاً مِـــنْ عَـــدمٍ   يتبـــعُ الأحيـــاءَ أنّـــى يَتزِلُـــونْ

يَبْلَـــغُ المَاضِـــي مِـــنْ آثارِهـــم   فَاغِـــراً فَـــاهُ لِمَـــا يَسْـــتَقْبِلونْ

* * *

إيـــه يـــا ليـــلُ أرانـــي مُغْرَمـــاً   بحديـــثٍ مِنْكَ يُشْـــجِي السَّـــامعينْ

هـــاتِ مـــا عِنْـــدَكَ لا تبخلْ به   بلســـانِ الصَّمْـــتِ والوَحْـــي المُبينْ

أوْحِ للأنْفُـــسِ مـــا حُمِّلْتَـــه   مـــن جـــلالٍ وخُشُـــوعٍ ويَقـــينْ

هـــاتِ يا ليـــلُ أحَاديـــثَ الهوى   واتلُ يـــا ليلُ شُـــجُونَ العاشِـــقينْ

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٢٨

١ - الوُرق: جمع الورقاء: الحمامة.

وادَّخــرْ فيــك صَــدى أنّاتِهم لا تُضِـعْ يـا ليــلُ أصْـدَاءَ الأنينْ

إنّهــا ذوبُ قلــوبٍ فُطِــرَتْ ونفــوسٌ داميــاتٌ وعُيــونْ

كَم ســلاماً فيــك قــد حُمّلْتَه من مُحــبٍّ وامقِ القلــبِ حَزينْ[1]

رُبَّ سِــرٍّ غامــضٍ أُودِعْتَــه في حَنايــا الصَّــدْرِ مَخْبــوءٌ دفينْ

ضَاقَ صدْرُ الصَّــبِّ عن كتمانه فــأراكَ السِّــرَّ دون العالمــينْ

* * *

مُــرْ يا ليــلُ فقــد أشْــجَيتَني عَلَّ في الصبُّحِ هدوءاً أو سُــكونْ

إنّ لي فيــكَ لَشَــجْواً وأسَــىً ومُناجَــاةً وشَــكوى وحنــينْ

عبَثــاً أنْجُو بروحِي مِــنْ حنينِ هُو أصلُ الوَجْدِ عِنْدِي والشُّجُونْ

إنــني أهْــواكَ يــا ليــلُ ولكنْ أنْتَ بالإشــفاقِ والعطــفِ ضَنينْ

تبعثُ الأشــجانُ مِــنْ مَكْمَنِها رحمــةً يــا ليــلُ بالمســتيقظينْ

* * *

١- وامق: محب ودود

الصبح يتنفس*

نَسَــمَاتٌ زَفَّهَــا الفجــرُ الوليدُ بعد ما جَــاشَ بها صَــدْرُ الحَياةْ
ناعمــاً مِثْــلَ أنفــاسِ الــورود بَلّــلَ الطــلُّ شَــذّاها بنَــداهْ

* * *

كانت الدُّنيا يُغَشّــيها الســكونُ وظــلامُ الليــلِ والنــومُ العَميق
طِفْلــةٌ قد ضمَّهــا الليــلُ الحَنونُ ضَمَّــةَ الرحمــةِ كالأمِّ الشَّــفُوقْ

* * *

وتــراءى الصُّبْحُ في سَــمتٍ بديع فــإذا الطِفْلةُ تَصْحُو من سُــبَات
تُرْسِــلُ الأنفــاسَ في رِفْــقٍ وديع وإذا الأنفــاسُ تلك النَّسَــمَات

* * *

وإذا الزهــرُ يُحَــيّ في ابتســامٍ ذلك الصبــحَ ويرنُــو في هُدوء
كابتســامِ الطفلِ في عهــدِ الفِطام حينمــا يَحْلُــمُ بالثَّــدْي المَليء

* * *

وإذا الطَــيرُ وقَــد رَانَ النُّعــاسُ فــوقَ عينيــه تَنَــزَّي فَصَحَــا
يرمــق النــورَ همــسِ واختلاسِ فَيُحَيِّيــه طَرُوبــاً مَرِحَــا

* * *

وانبثاقُ الفجرِ من سُــدْفِ الظلامِ مثلمــا يَبْسَــمُ للغَانــي الأمل[1]
يَلْثُــمُ الكــونَ ببشــرٍ وابتســام ويُحييــه برفــقٍ في القُبَــل

* * *

١- سدف: سواد

وتـــرى الأنفـــسَ في هـــذا الحَنانِ سَـــاكِناتٍ بينَ أحضـــانِ الطَّبيعَه
ســـاهياتٍ رَاضيـــاتٍ في أمـــانِ تُرْسِـــلُ الطرْفَ بنَظَـــراتٍ وَديعه

* * *

عَالِمـــاتٍ في كَراهـــا يَقِظـــاتٍ! ســـابحاتٍ في التَّعِلاَّتِ الوِضَاءْ[1]
تُنْشِـــدُ الآمالَ عَـــذْبَ الأغْنياتِ بينَ سَـــمْعيها ويحْدُوهـــا الرَّجَاءْ

* * *

فتـــرةٌ في مَطْلِـــعِ الفجـــرِ تَمـــرّ هي حُلْـــمٌ مثـــلَ أيـــامِ الطُّفُولَه
فـــإذا مَـــرَّتْ فجـــوٌّ مُكْفَهِـــرٌّ هـــو في الطِّفْلِ شَـــبابٌ وكُهُولَه

* * *

ليتني عِشْـــتُ بأحضَـــانِ الصَّباحِ أو قضيتُ العُمْرَ أســـتمتعُ طِفْلاَ!
لا ولا هـــذا مـــن الدَّهْـــرِ يُتـــاحُ لا ولا قـــد عُدتُ أســـتمتعُ كَلاَّ!

* * *

١- كراها: نومها

عبث الجمال*

غَادةٌ مِراحٌ طروبٌ، لم تقنعْ أنْ تعبثَ بالقلوب والأرواح، فعمدتْ إلى جماعة من الطير، اتخذن لَهن عُشّاً بين أحضان شجرة، تذودُهن عن عشهن الهادئ في عبث قاسٍ، وكلما عُدْنَ إلى العشّ، عادتْ هي إلى الذود!

دَعِيهـا تُغَـرِّدْ لَحنهـا وتُرَجِّـعْ وتمرحْ ما شـاءت وتَلهُو وتَرتَع

دَعيهـا تُنَمِّـقْ للحيـاةِ تحيـةً وتبعثُهـا لحنـاً يَلَـذُّ ويُمْتِـع

دَعيهـا تُعَبِّـرْ عن مَشـوقٍ مُتيمٍ تَلِجُّ به الذِّكرى؛ فيهفُو ويَنْزَع[1]

دَعيهـا ففي ألحانِهـا، الحبُّ نَاطقٌ ومن وَحْيه تَشـدُو مَليّا وتَسْجَع

دَعيهـا فقـدْ رَوَّعْتِهـا وتَرَكْتِها مُشـتّتةً حَيْـرى تُطِـلُّ وتَرجِعُ

* * *

عزيـزٌ عليها عُشُّـها دَرَجَـتْ بهِ فِراخـاً نَحيـلاتٍ تَهُـمُّ فَتَقْعُدُ

يُطالِعُهـا رُوحُ الربيـعِ فتَنْتَشِـي ويَدْهَمُهـا قَـرُّ الشّـتاء فَتَجْمُدُ

وتَنْشَـقُ أنفـاسَ الصبّـاحِ نَديةً فَتَنْدَى؛ ويَحْدُوها الرَّجاءُ فَتَسْعَدُ

وظَلَّلَها في عشّـها الحـبّ حَانياً عَلَيهـا قويّـاً مُنْعِشـاً يَتَجَـدَّدْ

* * *

فَـكانَ لهـا زاداً إذا قَـلَّ زَادُها ورَوحـاً ورِيْحَاناً ولَحنـاً يُرَدَّدْ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٢٩

١- تلج: ألحّ عليه.

وَيَا طالَمَـــا غَنَّتْ ويا طالمـــا بَكَتْ   سُروراً بقربٍ أو حَنيناً إلى ذِكْرى

ويا طالَمـــا ارتاعتْ لِخَطْبٍ مُدَاهِمٍ   فكانَ لها مَنْجَى وكَانَ لَها سِتْراً(٥)

وكَم ليلةٍ مَرَّتْ وكَم أَشْرَقَ الضُّحى   وكم أمَّلَتْ خيراً، وكَم حَذَّرَتْ شَرّاً

دَعيهـــا. بمهـــدِ الذكريـــاتِ أمينةً   تَطيفُ بها كالومضِ مُسْرِعَةً تَتْرَى(٦)

دَعيها أجَـــلْ لا تَعْبَثِي بشـــعورِها   ولا تَحْرميها خيرَ ما حَفِظَتْ ذُخْرَا

* * *

وإنِ لا يكنْ بُدٌّ مـــن اللهوِ فاعبثِي   بألبابِنـــا لا بالطيـــورِ الهَوائمِ!(٧)

وَهَبْتُكَ إحسَاسِي فما شئتِ فاصنعي   أمينـــاً لعهدِي مُخْلِصاً غـــيرَ نَادمِ

وقَاكِ الجمالُ السَّـــمْحُ كلَّ مَلامَةٍ   وعَتْبٍ فَلا تَخْشَـــى مَقالَةَ لائمِ(٨)

ولكنَّهـــا الأطيـــارُ تَلْهُـــو بريئـــةً   فما بالهـــا تُدْهَـــى بِفَعْلَـــةِ ظَالِمِ!؟

دَعِيها – فَدَتْكِ النفسُ – لا تعبثِي بها   فمـــا كان أوْلاَها بِرَحْمَـــةِ رَاحِمِ!

* * *

يوم خريف*

وَقَفَ الكونُ شَــاخِصاً في سُــكُونٍ وتَــراءى لِخَاطِــرِي كالحَزِيــنِ
وشُخُوصُ الأحداثِ يُغْرِقُها الصَّمْتُ فتبــدُو كَبَاهِتَــاتِ الظُّنُــونْ
وكأنَّ الزَّمــانَ سَــاوَرَه الحُــزْنُ فأغْفَــى إغفــاءةَ المُسْــتَكِينِ[1]
وكأنَّ الأفــلاكَ أجْهدَهــا السَّــيْرُ فنــاءتْ بِحمْل عِــبْءِ القُرونِ
وكأنّ الأقــدارَ أرْخَــتْ يَدَيْهــا وتَراخَتْ عَنْ صَرْفِها للشــؤون

* * *

وقفَ الكونُ سَــاهِماً ليس يَدْرِي أينَ يَمْضي؛ وأينَ لَو شَــاء يَمْضِي
طَالَمــا دَارَ بالأنــامِ ودَارُوا بــينَ رَفْعٍ مِــنَ الحيــاةِ وخَفْضِ
ثم ماذا؟ تَســاءَل الكــونُ: ماذَا؟ أحيــاةٌ مــا بــينَ غَــزْلٍ ونَقْضِ
أيّمــا غَايــةٍ نَــؤمُ إليهــا أيُّ قَصْــدٍ قَضَيْتُــه أو سَــأقْضِ
تَعَــبٌ ضَائِــعٌ وجُهْــدٌ غَبــيْنُ ومَصــيرٌ مُقَنَّــعٌ ليــسَ يُرْضِــي

* * *

وسَــرى اليــأسُ والخُمُــولُ إليه فَتَرَاخَــى في سَــيْرِه كالبليــدِ
وتَمَشــى الهُمُــودُ في كلِّ شــيءٍ مِشيَةَ الدَّاءِ بالأســى والكُنُودِ[2]

---

* نشرت عام ١٩٣٢.
١- ساروه: واثبه
٢- الهمود: السكون.

فــإذا الــدَّوحُ في وجُــومٍ كئيبٍ   وإذا الطــيرُ في ذُهُــولٍ شَــريد
وإذا الزَهْــرُ في الريــاضِ أســيفٌ   كصغــارِ الأيتــامِ في يــومِ عيد
وإذا بالزمــانِ يعطُــو كَســيحاً   كأســيرٍ يُســاقُ نِضْــوِ القيودِ

* * *

وكأنَّ السَّــماءَ والأرضَ، مَرْضَى   بَرِمَــاتٌ بثقلــةِ العُــوَّادِ![1]
وترى السُّــحب في السماءِ تغشَّى   ناظرَيهــا كَصَفْحَــةٍ مِــنْ رَمَادِ
وتَرى الأرضَ كالكظيمِ مِنَ الحُزْنِ   ثَكُــولا تَسْــربَلَتْ بالحــدادِ
والفَنَــاءُ المريــضُ، طــافَ عليها   طائــفٌ منْــه في ثَنَايــا الرُّقَــادِ
كلُّ شَــيءٍ يرنُــو إلى كلِّ شــيءٍ!   كســجينٍ يَرْنُــو إلى الجَــلَّادِ

* * *

مَأتَــمٌ صَامــتٌ يُهــوِّمُ فيــه   شَــبَحُ اليأسِ والقُنُــوطِ العَقيمِ
ليــسَ مــوتٌ وليــسَ ثَــمَّ حَياةٌ   كُلُّ شــيءٍ في صمتِه كالسَّــقِيمِ
والوُجُــومُ الــذي يُغشِّــى عليها   كاســفَ البالِ مُمْعِنٌ في الوُجومِ!
وخُفُــوقُ الأرواحِ أبْطَــأَ نَبْضــاً   كَخُفُوقِ النُّجُومِ خَلْفَ السَّديمِ[2]
أسْــبَلَتْ عَينَهــا الحيــاةُ سَــآما   واسْــتَنَامتْ لليأسِ والتســليمِ!

* * *

١- العوّاد: مفردها عائد: زائر المريض.
٢- السديم: الضباب الرقيق

الجبار العاجز*

على إفريز محطة القاهرة، أنزل قطار الصعيد، كتلة بشرية، تتنزى وتتلوى؛ وتصرخ في حشرجة مفزعة. هذه الكتلة هي بقايا رجل متحطم؛ صار أشل، يتنزى الصرع فيه، وتتلوى صرخاته؛ كأنما تغالب معركة داخلية عنيفة ويبدو على سِحْنَته أن هذا العجز ليس أصيلاً فيه، وأن له ماضياً جباراً؛ في ناحية من النواحي؛ وأنه يألم أكثر ما يألم؛ لهذا العجز الطارىء الجديد.

* * *

حَطَّمَ الدَّهْرُ قُواه فانْحَطَمَ   وتنزّي الداءُ فيه والألم

ودَوّتْ من فيه تعوي صَرْخَةٌ   تَتَلَوّي فيه حتى تَحْتَدِمْ

صَرْخَةُ الجبارِ يَشكو مُرْغماً   ذِلَّةَ الشّكْوَى وإِهوانَ الرَّغَمْ [1]

يَشْتكى العجزَ وما يُؤلِمهُ   فيه إلا كَبْحُ نفسٍ تَضطرم

يَشْتكى العجزَ الذي أقعدَه   عَنْ صراعاتٍ وهولٍ يُقْتَحَمْ

تسمعُ القوةَ في صَرْخَتِه   مِن وَراءِ العجزِ تَدْوِي فَتُصِمْ

ويَهمُّ البأسُ في أشلائه   ناهضاً ؛ لكنما العجزُ جَثَم

* * *

* نشرت عام ١٩٣٣

١- الرّغم:الإلجاء.

أَيُّ معنى تَحتوِي صَرْخَتهُ ؟ أَيُّ ماضٍ في ثَنَاياها ارْتَسَمْ

هو ماضٍ نَازَلَ الدهرَ به في عِنَادٍ شامخٍ حتى انحطم

هو ماضٍ غَامضٌ تَكْنُفُه جَلْجَلاتٌ، وهَزيمٌ؛ ورُجَمْ[1]

هو ماضٍ مَاردٌ مُقْتَحِمٌ لا يهابُ الموتَ فيما يَعْتَزِمْ

هو ماضٍ! أَيُّ ماضٍ ؟ يا لَه مُبْهَمُ التعبيرِ كالدَّهرِ الأصَمْ

* * *

١- الهزيم : صوت الرعد.

ناحت الصخر
أو
«الفاعل»*

لِمَنْ طَرْقَةٌ خَرْسَاءُ صَمَّاءُ تُعْوِلُ أَقضَّ بها النُّوَامَ في الفجرِ مِعْوَلُ؟[٢]

لِذلكم الصَّخَّارُ يَحْطِمُ صَخْرَهُ ولمّا يَزَلْ لليلِ في الصبْحِ مَدْخَلُ

أَكبَّ على تحطيمه وانتحاته كَراجٍ له في ذلك الصَّلْد مَأمَلُ[٣]

يُطَوِّحُ في عُرْضِ الفَضَاءِ ذِرَاعَه ويهوي على الصَّمّاءِ كالخَطْبِ يَنْزِلُ

ولكنّها تَلْقَاه صَمّاءَ لَمْ تَلِنْ وقد خُذِلَتْ كَفَّاهُ، والصَّخْرُ يَخْذُلُ

يدورُ حَوالَيها لِيُدْرِكَ مَقْتَلاً وهَيهاتَ في الصَّلدِ الأَصمَّاءُ مَقْتَلُ

ويَغْمِزُها غَمْزَ الخبيرِ ويَنْثَنِي يحاولُ مَا أعياه، لا يَتَحَوَّلُ

وقد جَاشَ في أعضائه كلُّ نَابضٍ وسَالَ دَمٌ في صورةِ الماءِ يَهْطِلُ!

وحينَ توالتْ طَرْقَةٌ بعدَ طَرْقَةٍ تَفَتَّتَ تحتَ العَزْمِ مَا كانَ يَصْمَلُ[٤]

فَأرخي ذِراعَيْه، وأَسْنَدَ جِسْمه إلى مِعْوَلٍ؛ نَضّاه للكدحِ مِعْوَلُ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٢٤.
١- الفاعِل: كلمة متداولة تعني (العامل)
٢- تُعول: رفع الصوت بالبكاء والصياح.
٣- الصَّلد: اللب الأملس الشديد.
٤- يصمل: ما يكون ضخماً صُلباً.

تَســـيلُ جُهـــودٌ أو دِمَـــاءٌ نَقيةٌ   لِيُنْصَـــبَ تِمْثَـــالٌ ؛ ويُرْفَـــعَ مَنْزِلُ

وما نَصْبُ التمثالِ للكادحِ الشَّقيِّ   وليـــسَ له في ذلك القصـــرِ مَوْئِلُ!

ولكن قُصَـــارَاه شَـــرابٌ ولُقْمَةٌ   ومَأمَلُـــه في ذلك الصَّلْـــدِ مأكل!

قِفَارٌ كمثلِ الصَّخْرِ أســـودَ كالحٍ   وأفراخُه كُثْـــرٌ؛ وأَنْثَـــاه مُطْفِلُ[1]

فـــإن كانَ إكليـــلٌ فهـــذا جَبينُه   وَإنْ كانَ تمثـــالٌ فهـــذا المُمَثَّـــلُ

ويا رحمةَ الإنسانِ أَدْعُوكِ فَاخْجَلِي   أمامَ بني الإنســـانِ إنْ كانَ يَخْجَلُ!

* * *

١- أثناه مطفل: لها طفل رضيع.

حلم النيل*

هَازَجَ بالنشيدِ تلْوَ النَّشيد وهو يَمْضِى إلى مَدَاه البَعيدْ
ذكرياتُ القُرونِ قَدْ صَاغَها النيلُ نَشيداً، فيَا لَه مِنْ نَشيدْ!
يَنْظِمُ السِّحْرَ وَالكَهَانةَ والفَنَّ، ويَشْدُو بكلّ هَذَا القَصيدْ
منذُ فَجْرِ التاريخِ لَمْ يَتَبَدَّلْ لَحْنُه العَذْبُ مِنْ قَدِيمٍ جَديدْ

* * *

حَالِمٌ بالرَّجَاء عِنْدَكَ يَا نيلُ سَعيدٌ بِحُلمِكَ المَعْهُودْ
يَنْبُتُ الزَّهرُ في خُطَاكَ بَهيجاً ذاك حُلْمٌ تَأويلُه في الوُرُودْ

* * *

* نشرت في تشرين الأول(أكتوبر) ١٩٣٨.

وداع الشاطئ
من الفردوس إلى الجحيم*

أُحْلُ يا شَـطُّ ما تَشَـاءُ فإنّي رَغمَ سـحرِ الجمالِ والمـوجِ رَاحلْ
رَاحلُ حَشْـدٌ نفْسـه لفتَاتٌ ليسَ عـن فتنـةِ الجمـالِ بغَافلْ
قـدْ دَعَتْـهُ إلى الرّحيـلِ ديارٌ في صَميـمِ الجحيمِ تُدْعي الشَّـواغلْ
هي قبرُ الآمـالِ والفنّ والحبِّ ـب وقَيدٌ عن كلّ ما شـاقَ شَاغلْ
وهي دَارِى التي دَرَجْتُ عليها وإليهـا المـآبُ مَهْمـا أُحـاوِل !

* * *

أُحْلُ يا شـطُّ بالجمـالِ طَليقاً مـن قُيودِ الزمـانِ نَشْـوانَ واهلْ
أَسْـكَرَتْهُ الأمواجُ وهي تُزَجّي دَفَعـاتِ الحيـاةِ في كلّ نـازلْ
فـيرَى نفْسَـهُ خفيفـاً غريراً قاهـراً قـادراً يجـوزُ الحوائـلْ
دَفَعَاتُ الحياةِ في المَوْجِ أَسْـنَى مـن بَريقِ الآمـالِ في نفْـسِ آمِلْ

* * *

أُحْـلُ ياشـطُّ بالعَرائسِ حُوراً سَـابحاتٍ والمـوجُ ظمـآنُ نَاهـلْ
كانْفتَـالِ الحيتانِ في البحرِ وَثْباً وانثنـاءِ الغِـزْلانِ والشـطُّ ذَاهلْ
فتنـةٌ تَسْـكُبُ الحيـاةُ عليها سِـحْرَها والعيـونُ حُـورٌ قَواتـلْ

* * *

واندفاعُ الأمواجِ يُوقظُ في النَّفْـ ـسِ ظَمـاءً مُرَقْرَقـا في الدّخائل
وانطلاقـاً من التَزَمُّـتِ والعُرْ فِ وشَـوْقاً إلى المباهـجِ واغِـلْ
أُحْلُ يا شـطّ لن نُطيـقَ انفلاتاً مـن رَحيـلٍ إلى جحيمِ الشَّـواغلْ

---

* نشرت في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٤٠

الوادي المقدس*

علـى ضفـاف الخلـودْ وفي شـعاب الزمـنْ
والدهـر يحْبَـو وليـدْ قـد كان هـذا الوطـنْ

* * *

يـا فجـرُ مَـنْ ذا رآكْ تجـولُ تلـكَ السماءْ
وليـسَ حَـيٌّ سِـواكْ تُهـدِى إليـه الضيـاءْ؟

* * *

رأتْـكِ تلـكِ الضّفـافْ رأتـكَ تلـك البُـرورْ[1]
رأتْـكَ قبـلَ المطـاف وأنـتَ طفـلٌ غريـرْ

* * *

وشـبْتَ والدّهـرُ شَـابْ وحنّكَتْـك الحيـاةْ
والنيـل بـادي الشـبابْ والزهـر يَقْفـو خُطـاهْ

* * *

يَنْسَـابُ مثـل النَّغَـمْ في عَـزفِ نـاي طـروبْ
وكانسـيابِ الحلـمْ تُضْفِـي عليـه الغيـوبْ

* * *

خريـرُهُ صَلَـواتْ مُعَطَّـرَاتُ النشـيدْ
وموجُـهُ أغنيـاتْ مُرتَّـلاتُ القصيـدْ

* * *

يـا نِيـلُ كـم مـن شـراعْ يـا نيـل كـم مـن سَـفينْ
أسْـلَمْتَها للـوَداعْ علـى مَـدَارِ السّـنيـن

* * *

---

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٤٤.

١- البرور: مفردها البرّ (الشاطئ)

يا نيلُ كَمْ من جُموعٍ ماجَتْ بتلك الضفافْ
يا نيل كم من زروع وذي وذي للقطاف

* * *

وأنتَ صنوُ الخلود وفي يديْك الزّمام
وكل عَامٍ تعودْ مُجدّدَ الأيام

* * *

تجرى فتجرى الحياة ويُمْرعُ الشُاطئان
ويستفيقُ الرُّعاه وتمرحُ القُطْعان

* * *

ويَنشطُ الزرزورْ يجمّع العيدان
لعشّه المعْمُورْ بفرحه الوَسنان

* * *

أكادُ خلفَ القرون أُحسُّ ركْزَ الجموع
أراهُمُ مُهطعينْ فيَ موكبٍ للربيع

* * *

قد شمّروا للحصاد وخَلّفوا إمشير
في فرحةِ الأولادِ تسابقوا للبكور

* * *

وموكبٌ للرّواحْ في كلّ يومٍ يؤوب
يزّفه الفلاحْ على مَدارِ الغروب

* * *

مــن الحقــولِ المّريعــة إلى الحِمــى والدّيــار
تضــمُّ فيــه الطّبيعــةْ أبناءَهــا الأبــرارْ

* * *

لُحُونُــه مــن صيــاحْ ومــن رُغــاءِ النَّعَــمْ(١)
ومــن رجيــع النُّبــاحْ ومــن ثُغــاءِ الغنــمْ

* * *

علــى مَــدارِ القــرونْ يســيرُ فيــه الرُّعــاهْ
كأنهــم خالــدون مــا بُدِّلُــوا في الحيــاةْ

* * *

أُحــبُّ فيــك الخلــودْ يــا أيُّهــا الــوادي
أحــب فيــك الصمــودْ للقاهــرِ العَــادي

* * *

تَصــبُّ فيــكَ الوفــودْ وأنــت يقظــانُ ســاهرْ
تصوغهــم مــن جديــدْ كأنمــا أنــتَ ســاحرْ

* * *

يــا مَهبــطَ الأســرارْ مــن الغيــوب العميقَــةْ
يــا موطــنَ الأســحارْ مــن القــرونِ الســحيقةْ

* * *

يَــأوي إليــك الزمــانْ خــوف البِلَــى والفَنــاءْ
يــأوَي لحصــن الأمــانْ فيســتمدُّ البَقــاءْ

* * *

ووجهـك الفَنَّانْ بلونـه الأسمـرْ
يـا طالمـا يَـزْدانْ بَزرعـك الأخضـرْ

* * *

ترنُـو لـه عينـاي في فتنـة العاشـقْ
يـا أرضُ يـا دنيـاي يـا آيـَةَ الخالـقْ

* * *

يـا أرضُ كَـم تَحْلُمـين بالزهـر أحـلامَ شـاعرْ
رُؤاكِ طـول السـنين يـا أرَضُ ، تلـك الأزاهـرْ

* * *

وريحـك المعـروفْ يشـمُّه أَنْفـي
في خاطـرِي مألـوف مميـز العَـرْف

* * *

يـا أرض، هـذا الصعيـدْ مقـدسٌ في ضمـيري
سَـرى عليـه الجـدودْ وأخلـدوا للقبـورِ

* * *

يـكادُ فَـرْطُ الحنـينْ إليهـمُ في شُـعوري
يردّهـم شـاخصين إلى خلـف الدهـوَرِ

* * *

يـا أرضُ سـرٌّ دفـينْ مُغيّـبُ في ثـراك
يَرُدُّنـا مُوثقـين إليـكِ أسـرَى هـواكَ

* * *

هــذا الثــرى المنشــور في صفحــة الــوادي
عرفتــه في الضمــير رفــات أجــدادي

* * *

يـا أرض. هــذا النشــيد مــن وحيــك العبقــريّ
فاقضِــي لــه بالوجــود بســرّك القُدُســيّ

* * *

في ليلة من ليالي الربيع*

فِي الجوّ رائحةٌ تُوسْوسُ فِي الحَنَايا والصُّدُورْ
نَشْوانةً خَدرَتْ يُعاودُها التوثُّبُ والفُتُورْ
فَتهيمُ كالشَوق المجنَّح في مَتَاهَات الضَّميرْ
وكأنّ رائحةَ الحياة تَدَبُّ في عَبَقٍ مُثيرْ

* * *

وأحسُّ بالنغمات سَاريةً تَرَقْرَقُ في الدّمَاءْ
كهُتَاف مشتاقٍ تولّه لا يكفُّ عَن الدُّعَاءْ
الأرضَ تَفْتنُه ويَرْنُو في ابتهال للسَّمَاءْ!
والصَّمتُ يَغْمُرُه وفي الأحْنَاءِ وسَوْسَةُ الغنَاءْ!

* * *

والحبُّ والأشواقُ والظَمَأ المُغَلْغَلُ للحياهْ
وهَواتفُ الدُّنيا إلى القُبَل المُليحة في الشّفَاهْ
وتَرَقْرُقُ الخُرّقَات في شَغَفٍ يَهيمُ إلى مَدَاهْ[1]
وتطلُّع الصُّوفيّ في شوقٍ إلى ذات الإله!

* * *

هو ذا الربيعُ وإنّه لَهوُ الهَواتف والحَنينْ
أبَداً يَهيجُ إلى عَوَالمَ تائهات لا تَبينْ
ويُهَدْهدُ الأحلامَ والذّكرَاتُ شَتّى والفُنُونْ
فإذَا الحياةُ هوىً يَرفُ وفتنةٌ وشَجىً دفينْ

* * *

---

* نشرت في آب(أغسطس) ١٩٤٥

١ – الخرقات : نوع من العصافير.

جمال حزين*

أجَـلُّ مـن الحُـزْنِ والمَأتَـمِ جَمَالُـكِ. إنْ كُنْتِ لَـمْ تَعْلَمي!

وَقَـدْ دار حـولَ الجبـين الخمارُ تَشَعْشَـعَ°° كالليـلِ بالأنْجُـم!

كمـا أَرْسَـلَ الصبـحُ لآلاءَهُ بَريئـاً مِـن الصّبْغِ كالعَنْـدمِ![1]

وفي شَـفَتَيْكِ الجَنَـي والرَّحيـقُ ولكـن طَهُـرْتِ فَلَـمْ تَأثَمِـي

وكَفّكِ في الصمتِ حُزنٌ شَـفِيفُ سِـوى قُبْلةٍ وصْوصَتْ في الفَمِ![2]

وفِتْنَـةُ هـذا الجَمَـالِ العَميـقِ وطُهْـرٌ نَمَـاكِ إلى مَـرْيمِ

* * *

هُـو الحِلْمُ بـينَ ضِفَـافِ الجنَانِ يَـرِفُّ علـى ثَغْـرِكِ المُلْهِـمِ

ويَطْـرُقُ عَيْنَيـكِ في سَـبْحَةٍ إلى عَـالمٍ شَـاعِريٍّ ظَمِـي

تَحجَّـبَ بـينَ شِـعابِ الغُيوبِ وأومـضَ في قلبـكِ المُفْعَـمِ

ضَمـيري يُحِسُّـكِ أُغْـرُودةً علـى شَـفَتيْ خَاطِـرٍ مُبْهِـمِ

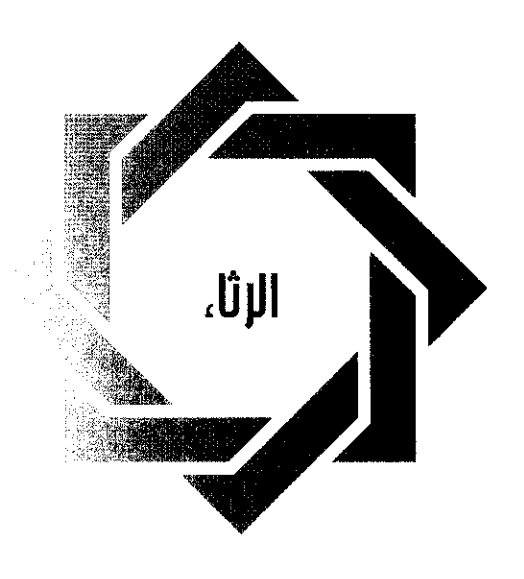
* * *

---

* نشرت في كانون الثاني(يناير) ١٩٤٨.

١ – الغندم: صبغ تختصب به الفتيات.

٢ – وصوصت: ضيقت ويقال: وصوصت المرأة: ضيقت نقابها فلم يرَ منه إلا عيناها، والمراد [illegible] قبلة سريعة خفيفة.



ودمُ المختار ما زالَ نديّا

يستحثُّ الخانعينَ الضُّعفاءْ

وضحايا الأمسِ والأمسُ نذيرُ اليوم

يدعو مَنْ يجيبون الدُّعاء

وحي الخلود*

المـوتُ مرحلـةُ الخلـودِ والذّكْـرُ عُمْـرٌ لا يَبيـدْ
فـإذا انتهـى أجَـلُ العظيـم فَذِكْـرُه أجـلٌ جَديـدْ
مـاتَ الزعيـمُ ولم تـزلْ آثـارُه تُحْـيي الجنـودْ
وَمضَـى شـهيداً طاهـراً يـا نِعْـمَ ذَيَّـاك الشـهيدْ
هـو عَلّـمَ الشـعبَ الجهـا دُوأيقـظَ القـومَ الرُّقُـودْ
هـو كانَ رَوحـاً بيننـا يَحيَـا فُيُحْـيي مَـنْ يُريـدْ
هـو كانَ كالأمـلِ المُضـى ء وكانَ كالجـدِّ السـعيد
هـو قـد حَبَـا الأشـبالَ مِـنْ عَزَمَاتـه بـأسَ الأسـودْ
فـإذَا مَضَـى الأسـدُ الهصـو رُ فَخَلْفَـه أَسـدٌ عَتيـدْ
وإذا خَبَـا الـرأيُ الرّشـيـ ـدُ فَخَلْفَـه رأيٌ رشـيدْ
يـا سـعدُ أدْمنـتَ الجُهـو دُ فحسـبُنا تلـك الجُهودْ

* * *

نَـمْ مطمئنـاً بعدمَـا عَلَّمْتَنـا معـنى الوجـودْ
الشـعبُ بعـدَك لم يَعُـدْ يُثْنِيـه وَعـدٌ أو وَعيـدْ

---

* نشرت في نيسان (إبريل) ١٩٢٨.

الشـــعبُ لا يرضَـــى القُيــوَ دُ ولم تنـــلْ منـــه القُيـــودْ

الشـــعبُ نَصَّـــبَ[٧٥] مصطفـــا كَ وكاتمَ السِّـــرِ الـــودُودْ

وهـــو الأمـــينُ علـــى العهـــو دِ فمـــا يخُـــونَ ومـــا يَحيـــدْ

يـــا أيُّهـــا الخَلَـــفُ العظيـــــُ ـــــم ويا أخَـــا الرأي الســـديدْ

الشـــعبُ خَلْفَـــكَ كُتلـــةٌ في مَوقـــفِ الهـــولِ الشـــديدْ

أقْـــدِمْ علـــى الخَصْـــمِ العَنيـــ دِ يَحُوطُـــكَ الجيـــشُ العتيـــدْ

مُسْـــتَلْهِماً وَحْـــىَ الفقيـــدِ فإنـــه وَحـــيُ الخُلـــودْ

إنَّ الحيـــاة لِمـــن صَحَـــا ليســـتْ لِعُشَّـــاقِ الهجُـــودْ

* * *

الذكرى الخالدة لسعد العظيم *

هـي هذه الذكـرى لثالـثِ عامٍ حَشّـَتْ رَكائِبَها يـدُ الأيـامِ؟

هي هذه ذكـرى الخُلُـودِ ورَمْزه وشـعارُه الباقي علـى الأعوامِ

ذكـرى البُطولةِ والزمـانُ يَحفُّها بجلالِـه فتجِـلُّ في الأفهـامِ

جـاءتْ تُحَدّثُ في جَـلالٍ رَوْعَةً مَحفُوفـةً بمـرارةِ الآلامِ

بَيْنَـا تُذَكِّـرُ بالحيـاة إذا بهـا تَرْنُـو مُحَدِّثـةً بطَـرْفٍ دَامِ[1]

مَمزُوجة الألـوانِ تعَصـفِ تَارةً وتعـودُ هَامِسـةً بَوحْـي سَـامِ

هي كالخلـودِ المحض غـيرَ محددٍ وهـي اليقـينُ يَبُـضُّ بالأحلامِ

وهي النفـوسُ حَيالَهـا في رَوْعةٍ أخّـاذَةٍ مَسـحورةِ الإلْهـامِ

مَشْـدُوهَةً مـا إنْ تَفيـقُ وحولَها زُمَـرٌ مـن الأشـباحِ والإهـامِ

مغمورةَ الأطرافِ شَـاعِرَةً الحَشَا في غمـزةٍ تَطْغَـى وفيـضٍ طامِ

هي هـذه الذكـرى وذاكَ جَلالُها تَحْنِـي لِرَوْعِتهـا أعـزّ الهـامِ

* * *

أمْضَـتْ ثلاثـاً كالقـرومِ طويلةً سُـودَ المفارقِ جُلِّلَـتْ بقَتَامِ[2]

عَصَفَـتْ بمصرَ الحادثـاتُ كأنّها كانـتْ مُهيّـأةً علـى الأقـدامِ

---

* نشرت في آب (أغسطس) ١٩٣٠

١- بطرف دام: طرف: نظر، دام: من الدم والمراد: نظرة أسى وحزن.

٢- القتام: الغبار الأسود.

وَمَشَتْ بها هُوجُ الرِّيَاحِ جريئةً تَجْرِي لغايتها بغيرِ زِمامِ
وعَلَتْ بؤوسٌ كنّ أخفضَ هَامةً وأذلَّ من عِيرٍ بكلِ مَقَامِ
هم قَد دَعَا دَاعِي الغرورِ فأسرعُوا وهم ارتضَوْا من دَهْرِهم بِحُطَامِ
ودَعَاهُم الوطنُ الكريمُ فأعْرَضُوا وتَسلَّلوا للخَصْمِ غيرَ كِرَامِ
هدمُوا من الدستورِ ركناً قائماً وتعلّلوا بالزُّورِ والأوْهَامِ
وتَصيّدُوا للشعبِ كلَّ مَسبّةٍ كيدَ العدوّ وطعنةَ الأخْصَامِ
لولا جلالُ الذكرياتِ ذَكَرْتُ مِنْ آثَامِهم مُستَبْشَعَ الآثَامِ!

* * *

يا سعدُ والذكرى تُثِير شجوننَا وتَهدُّنَا بالعزمِ والإقْدامِ
وتُطِلُّ رُوُحُكَ في جلالٍ صامتٍ يُزْرِي بكلِّ إشارةٍ وكلامِ
يا سعدُ تُوليكَ القلوبُ حُشَاشَةً مِنْها تقومُ بواجبِ الإكْرامِ
وتَزُفُّ أنفاسَ النَّسيمِ رقيقةً تَسْرى مزودةً بكُلِّ سَلامِ
يا سعدُ شخصُك في القلوبِ مُجَسَّمٌ في كلِّ تِمثالٍ هناك مُقامِ!
إنّ الذي يحيى مَشَاعَر أُمَّةٍ تحييه بالأرْواحِ لا الأجْسامِ

* * *

يا أيُّها الثَاوِي وفي تذكارِه وَحْي الخلودِ وآيةُ الإلْهامِ
اليوم تُذْكَرُ والجَلالُ مُخيِّمٌ والصمتُ يبعث شَاجِيَ الأنغامِ

وتمــرُّ أجيــالٌ وأنــت مُغَيّــبٌ عنــا وذكــرُك في المشــاعرِ نَامِ

إنّــا فَقَدْنَــا بافتقــادِك طلعــةً وبَقِيــتَ ذكرى خُلِّــدَتْ بِدَوام

في كلِّ نَفْــسٍ مــن سَــنَاكَ بَقيةٌ وبــكلِّ رُوحٍ منك فيــضٌ هَامِ[1]

هــذا هُو الشــعبُ الــذي خَلّفَته وســطَ الطريــق مُيممــاً لأمامِ

هــو لا يــزالُ مُجاهِــداً كعهودِه هــو لا يــزالُ مُؤيــدَ الأعْــلامِ

أمّا الألى نَكَثُوا العهــودَ فما رَعَوا إلاًّ ولم يَسْتَمْسِــكُوا بِذِمــامِ

فهــم البُغَاثُ جَليلُهــم وحقيرهُم وهُم الذّئابْ تَفَجُّعٌ في الإجرامِ[2]

يا ســعدُ لا تقلــقْ لِفَعْلَــةِ خارجٍ أنــتَ الخبــيرُ بهــذه الأقْــزَام!

حَمَلَ اللواءَ وصارَ بعدَكَ مُصْطفى يقفُو خُطاكَ فــكانَ أخلصَ حَامِ

قــد يَذْهبُ الليثُ الهصــورُ وإنّما تبقى الليوثُ عــن العرينِ تُحامِي

* * *

١ – هام: غزير.

٢ – البغاث: ضعاف الطير

البطل*

في مثل هذه الغمرات القاسية، التي تعانيها الأمة المصرية الآن، يمر كثير من الحوادث الجسَام دون أن يثير انتباها؛ لأن الأمة في شغل عنه بما هي فيه؛ في شغل بالنَكبةَ العامة عن النكبات الجزئية.

من ذلك وفاة السيد (العَبيد) رئيس جمعية اللواء الأبيض في السودان؛ ذلك الشاب الجرىء الذي ألّفَ جمعيته على إثر إخراج الجيش المصري من السودان سنة ١٩٢٤ وقام يناضل عن صلة شطري الوطن المفدى، ووحدته المقدسة؛ في جُرْأة عجيبة؛ ورجولة كاَملة؛ وبطولة فذة غير عابىء بسجن مُرْهق شديد، ولا بتنكيل وحشي قاس بلغ من وحشيته وقسوته أن يسجن الفقَيد وهو «سياسي» في سجن رطب في بقعة نائية من السودان تحيطُ بها الأحْرَاجُ والمستنقعات، ويطوف بها طائف الفناء الرهيب، وتحوم حواليها الحشرات القتالة. ثم لم يكتف الاستعمار بذلك «الاستعمار الذي يمثل المدنية!!!» بل أضاف إليه تشغيل هذا البطل ورفاقه في قطع الأحْجار ورصف الشوارع حتى وَهَنَتْ قواهم وأصابت الشهيد الحمى فمات في سجنه تحوطه مظاهر القسوة بل الوحشية، بعد سبع سنوات كاملة لم تَهُنْ فيها نفسه، ولم يخضع للإذلال.

هذا هو (العبيد) الذي يموت دون أن يشّعر بموته في مصر أحد. والشباب المصري، الشباب التافه الناعم، الشباب المشغول بالتطرية والزينة والحقارات النفسية الوضيعة، الشباب الذي فقد رجولته ومميزاته؛ ونسي ماضيه ووقفاته. هذا الشباب في شغل بما هو فيه من متاع ضئيل عن الانتباه للبطل الشهيد وذكراه، بل عن الانتباه لكل أمر ذي بال في الحياة!

وهذه القصيدة نفثةٌ من شاب يقضي بها حق الشباب، وهذا ما يستطيع فرد أن يعمله؛ فإذا كان بالشبانِ الآخرين حياة تعمل شيئاً للذكرى كان بها، وإلاّ فحسبي هذه النفثة الحرّى.

* نشرت عام ١٩٣١.

سَــجّلي يا أرضُ وارْعَــيْ يا سماءْ مَصْــرَعَ الجبــارِ بــينَ العُظَماءْ
مَصْــرَعُ الجَشَّــامِ مــا إن يَنْثَنــي أو تُدَكُّ الأرضُ أو تُطوى السماءْ[1]
يقــفُ الهــولُ لديــه خَاشِــعاً وهــو يَلْقَى الهولَ بَسَّــام الرِّضَاءْ

* * *

نــالَ منه المــوتُ ما لَمْ يســتطعْ نَيْلَــه الغُصَّــابُ في سَــبْعٍ وِلاءْ
عَذّبُــوه ونَفَــوه ومَضَــوا في فنــونِ الظُّلْمِ ما الظلمُ يَشَــاءْ!
أرســلُوه حيثُ وادِي المــوتِ إذْ لا يَــرى الأحياءُ أطيــافَ الرّجَاءْ
في مَبــاءاتِ تُــدوّى بَيْنَهــا جَلْجَلاتُ الموتِ في هَولْ الوبَاءْ[2]
تَصْفُــرُ الرِّيــحُ بهــا مُعْولــةً تنــذرُ الأحيــاءَ فيهــا بالفنــاءْ
وأرادُوا والمَنَايــا حَوْلَــه أن يُذِلُّــوا فيــه تلــكَ الكِبْرِيَاءْ
فمضَــى يأْنَــفُ في سُــخْريةٍ عيــشَ ذُلٍّ هُــو والموتُ سَــواءْ
لم يقلْهــا: لَفْظَــةٌ، لــو قالَهــا لَقِــي النَّعْمــاءَ مِنهــم والــوَلاَءْ

* * *

ليــتَ أهلَ الأرضِ يــدرونَ بما صنــعَ الغُصَّــابُ بالنفــسِ البَراءْ
أَتُــرى أنْعَتُهــا وَحْشــيةً في ظــلامِ الكهفِ لَمْ تــدرِ الضيّاءْ؟
أظْلَــمُ الوحــشَ إذا شَــبَّهتُه بوحــوشِ الغَــربِ تمتــصُّ الدِّمَاءْ!

---

١ –الجشّام: المتقحّم.
٢– مباءات: الأماكن الموبوءة.

يَفتِـك الوحـش لِيحيَـا بينما يَفتِـك الغـربيُّ حُبّـا في الثَّـرَاءْ!

يا شـبابَ الشـرِق هذا موقفٌ تَقْشـعِرُّ الأرضُ منـه والسـماءْ

ودمُ المختـارِ مـا زالَ نـد يّاً يسـتحثُّ الخَانعـينَ الضُّعفَاءْ[1]

وضَحايا الأمسِ والأمسُ نذيرُ اليـ ـوم يدعُو مَـنْ يجيبـونَ الدُّعَاءْ

* * *

يا شبابَ الشـرقِ والشرقُ إذا لم تكونُـوا جُنْـدَه ضَـاعَ هَبَـاءْ

لا يـردُّ الحـقّ قـولٌ فَـارِغٌ تَذْهَـبُ الرِّيـحُ به عَصْـفَ الهواءْ

إنْمـا يُجْـدِي جِهَـادٌ عَـارِمٌ وخِصَـامٌ ونِضَـالٌ وعَنَـاءْ

إنمـا يُجْـدِي إذا نَبْعَثُهـا كهـزيمِ[95] الرعدِ تَـدوِي في الفَضَاءْ

إنمـا يُجْـدِي إذا مـا أيْقَنُـوا أننـا كالغَـربِ قـومٌ أقْويـاءْ

* * *

يا شـبابَ النيلِ ماذَا؟ وَيْحَكُم! أفأنتـم حيـثُ يُحييكُـم دُعَـاءْ؟

يـا شـباباً نَاعمـاً مُسْـتَأنِثاً كَذواتِ الخِـدرِ في ظِـلِ الخِبَاءْ![2]

يـا شـباباً تافهـاً مُحْتَقَـراً تأنـفُ الأجيـالُ منـه في ازدرَاءْ

يـا شـباباً هَمُّـه لَذّاتُـه فهـو يَحيـا بـينَ كأسٍ وخَنَـاءْ

١- هو الشهيد البطل عمار المختار الزعيم الطرابلسي وقد أعدمه الطليان رميا بالرصاص مع أنه مجاهد مستقل، مخالفين في ذلك كل التقاليد المدنية.

٢- ذوات الخدر: الفتيات الأبكار .

يــا شــباباً قَصُــرَتْ آمالْــه كخَشَــاشِ الأرضِ مَرمَــاه الغِــذَاءْ

يــا شــباباً نُكِــبَ النيــلُ بِه في الأَمانِــي والتّعــلّاتِ الوِضَــاءْ

يا شــبابَ النيلِ هَــلْ أبْصَرْتُمو في فَتى الســودانِ كيفَ الشُّــهداءْ؟

عُمْــرُ الإيمــانِ بالحــقِ لــه مهجةٌ حَــرّى فجــادتْ بالفِــدَاءْ

يــا شــبابَ النيــلِ هــذَا مَثَلٌ لجــلالِ المــوتِ في ظِــلِّ الإِبَــاءْ

مــا يقولُ الشّــعُرُ في هــذَا ومَا حِيلــةُ الشّــعرِ؟ وما طَــوْقُ الرثاءِ؟

موقفٌ جَــلَّ عن الشــعرِ فَهَلْ يُكْمِــلُ التاريخُ بَــدْءَ الشُّــعَراءْ؟

* * *

ذكرى سعد*

خَمْسٌ مَضَينَ تَجُنُّكَ الأستارُ فيها. وقبرُك كعبةٌ ومَنارُ
في كلّ مطّلعٍ وكلّ ثنيةٍ ذكرى تَزاحَمُ حولَها الأفْكارُ
باقٍ على عَنَتِ الخُطوبِ وعَسْفِها مجدٌ تَقَاصَرَ دونَه الأنظارُ
تتصرَّمُ(٦٠) الأيامُ وهو مُوطَّدٌ يعنُوالخصومُ لديه والأنصارُ
وكأنّه عَلَم يُنيفَ على الورَى ترنُو إليه وتَخْشَعُ الأقدارُ
وتَضاءلَ الأشخاصُ عنه ويستوى في ظلّه الأقزامُ والجبارُ!

* * *

ماذا يُطيقُ الكونُ أن يَنْسَاه من سعدٍ؟ وكلُّ عظيمةٍ تَذْكَارُ؟
هل كانَ إلاّ في العظائم مَوْئلاً في يوم تَشْخَصُ عندَه الأبصَارُ
تَذْوي حَواليه الخطوبُ وتَنْثني كأشمَّ يَعْصِفُ حَوْلَه الإعْصَارُ
فإذَا مَضَى الهولُ المُرَوِّعُ وانجلتْ غمراتُه وتَرَاخَتْ الأخْطَارُ
أبْصَرْتَ تحتَ الهولِ بَسْمَةَ هَادِىءٍ راضٍ أشَمَّ كأنّه المقْدَارُ
رُوحٌ تَجِلُّ عن الحياةِ وأهلِها وصروفِها، وتَحُفُّها الأسرارُ
رُوح البطولةِ والبُطولةُ طَلْسَمٌ كالسحرِ تَدْهَشُ عنْدَه وتَحارُ
أفذاكرٌ أنتَ الجموعَ وحَشْدَها لما دَعَا سعدُ الجموعَ فَثارُوا

---

*نشرت عام ١٩٣٢

مــاذا أبــركانٌ تَفَجَّــرَ أم تُرى مــوجٌ أشــمٌّ أحــمٌّ؟ أمْ تَيــارُ
سِــحر البطولةِ أو شُــواظُ لَهيبِها يُذْكِــي النفَــوسَ فكلُّهــا مِغْوارُ
ذكرى تُقدِّسُــها البــلادُ كريمةً وتصــوُن رَوْعــةَ مَجْدِهــا وتَغَارُ
هي بعضُ تاريــخِ البلادِ فَلَمْ تَكُنْ تاريــخَ فــردٍ يَنْطِــوي ويُثَــارُ!
ذكرى يَحُفُّ بِها الجَلالُ وتَنْزَوِي بإزائِهــا الأحقــادُ والأوزَارُ
ذكــرى تُطِــلُّ كأنَهــا قُدْسِــيّةٌ فالــكلُّ تَحــتَ ظلالِهــا أبَــرارُ
فلتَعْــنُ للذكرى الجبــاهُ وتَنْحَنِ الهامــاتُ ولتتخَشَّــعُ الأبصــارُ

* * *

طليعة الضحايا*

سَـــجّلي يا أرضُ وارعَيْ يا سماءْ مَصَرع النّسْرينِ في جوفِ الفَضاءْ[1]

سَـــجّليه بمـــدادِ الفخـــرِ لا بلْ بفيـــضٍ مـــن دِمَاءِ الشُّـــهداءْ

مَصْـــرعُ الآســـادِ في آجَامِهـــا لا كمـــا تَلْقَـــى مَنَايَاهـــا الظِّبَاءْ!

سَـــجّليها رَوعـــةً قـــد مُزِجَتْ من أسَـــى الحزنِ، ومِنْ فَيْضِ العَزَاءْ

وضَحَايـــا المجـــدِ في مَذْبَحِـــه يلتقـــي اليـــأسُ عليهـــا والرَّجاءْ!

وهـــي القُرْبـــانُ يَفْـــدى أُمـــةً إيـــه مـــا أكرَمـــه هـــذَا الفِـــدَاءْ

* * *

دَوْمـــاً والريـــحُ في مُعْتَـــرَكٍ صَاخِـــبِ الأنواءِ، مشـــؤوم العُواءْ

وظـــلامٌ في ظَـــلامٍ مُبْهَـــمٍ يَخْشَـــعُ الهـــولُ لديـــه والفَنَـــاءْ

طَامِـــسُ الآثـــارِ مجهـــولُ الخُطَا لا دليـــلَ، لا شُـــعَاعَ؛ لا ضِيـــاءْ

وهمـــا في جَوْفِـــه تَحْدُوهُمـــا همَّـــةٌ قَعْسَـــاءُ تَأبَـــى الانْـــزِوَاءْ

يَلْطُمـــانِ الريـــحَ إمّـــا لَطَمَتْ ويَروغـــانِ كأطيـــافِ الهَـــواءْ

أُشْـــرِبَتْ نَفْسَـــاهُما حُبُّ العلاْ وأرَادَهـــا حيـــاةً في الســـماءْ

قـــد أرادَا؛ وأرادَ اللهُ مـــا كانَ؛ سُـــبحانَك تُمْضي ما تَشَـــاءْ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٢.

١- هذا البيت لمؤلف في قصيدة سابقة، والنّسرين هما حجاج ودوس شهيدا الطيران.

إيـهِ يـا مِصْـرُ عـزاءً إنّمـا أنـتِ أولَـى بالتحيـاتِ الوِضَاءْ

قـد بذلـتِ اليـومَ مـا تَبْذُلُه أمـةٌ شَـاءتْ حيـاةَ النُّبَـلاءْ

أمـةٌ قَـدْ أعلنـتْ قِسـمتَها من صميمِ المجـدِ بينَ القُسَـمَاءْ!

ودمٌ يُهـراقُ في تَضحيـةٍ سـوفَ يَسْـرِي نخوةً بـينَ الدِّمَاءْ

* * *

موت سوسو*

سوسو هرٌّ أليف ظريف انطفأت فيه شعلةُ الحياة المقدسة بين يديه،
وهذه مرثيته، أو مرثية الشعلة الخابية فيه:

لقد هَمَدَتْ في الضُّلوعِ الحياةُ فما يَرْجُفُ القلبُ أو يَخفُقُ
وقد غابَ لألاؤها في العيونِ فما تَرْمُقُ الكونَ أو تَبْرُقُ
وقد سَكَنَتْ نَأمَةٌ في حَشَاه فما عادَ يَقْفِزُ أو يَمْرُقُ
فَيا قُرْبَها لَحْظَةٌ في الزَّمانِ ويا بُعدَ آثارِها تَنْطِقُ
وتَنْقُلُ من عَالمٍ صَاخِبٍ إلى عَالمٍ صمتُه مُطْبِقُ

* * *

تُقيمُ الحياةَ هُنا مَأتَماً وما إنْ تَني جَزَعاً تَفْرَقُ[1]
وإنَّ الحياةَ لمجنونةٌ بأبنائِها الكلِّ لا تَفْرُقُ
فجيعتُها في صِغارِ الفراشِ كموتِ الفَتى حَادِثٌ مُرْهِقُ
هو الموتُ في كُنْهِهِ واحدٌ ويُزْهِقُ مِنْ بعدُ مَنْ يَزْهَقُ
قَد انْدَحَرَتْ في صِراعِ الرَّدَى فحقَّ لَها كلُّ مَا تَحْنَقُ!

* * *

---

* نشرت في تشرين الثاني(نوفمبر)١٩٣٨.

١ – تني: تضعف.

وتَرْجُــفُ في كلّ حَــيّ إذَا أصَــابَ سِــواه الــرَّدَى المُزْهِــقُ
أشِــعَّتُها في جميــعِ النفــوسِ يُرقْرِقُهــا مَصْــدرٌ يَألَــقُ
فــإن مَسّــه مــا يَغُــضُّ الضياءَ تَذَبْــذَبَ لألاؤهــا المُشْــرِقُ[1]
فيــا دَمْعَــةً رَقْرَقَــتْ في العيون لأنــتِ الحيــاةُ هَمَــتْ تَدْفُــقُ
يَعِــزُّ على النفــسِ فَقْــدُ الحياةِ فَتَجْــزَعُ للمــوتِ إذْ يَطْــرُقُ

* * *

---

١ – الحياة وحدة في جميع الأحياء كمستودع الطاقة يمد فروعه المتفرقة ومتى مسّه ما يغض من طاقته تذبذبت جميع الفروع وكذلك يرجف الأحياء لموته.

الزاد الأخير*

زَوِّدِيني مِنَ الرَّجاءِ الأصيلِ   مُشْرِقاً فيكِ في المُحَيَّا الجميلِ
أَنْتِ كَنْزٌ من الطَّلاقَةِ والبِشْرِ   ودُنْيا مِنَ السَّنا المَعْسُولِ
خفَّةُ الطَّيْرِ وانطلاقُ الأماني   بعضُ مَا فيكِ وانطلاقُ السُّيولِ
وَهَجٌ يُبْهِرُ النُفُوسَ ويُزْكي   خَفَقَاتِ القُلوبِ عندَ المُثولِ
ذَخرَتْكِ الحياةُ كَنْزَ حَيَاةٍ   ورَصيداً لِمَالِها المبْذُولِ!

* * *

زَوِّدِيني لَكَادَ يَنْفَدُ زَادي   في صِرَاعٍ مِنَ الحياةِ طَويلِ
كادَ يَخْبُو المصبَاحُ إلاّ بَصيصاً   فاسْكُبي الزيتَ في بَقايا الفَتيلِ
كُنْتُ كالجَذْوَةِ المُشعَّة نُوراً   وهي اليومَ في طَريقِ الأُفُولِ
فيكِ زَادٌ يَقُوتُنَا ويَقينا   عَثَرَاتِ الطريقِ بينَ التُّلُولِ
أَنْتِ لا غيرُكِ القَديرةُ أنْ تُزْكي   حَيَاةً بِخَاطِري ومُيولي

* * *

حينَ أَلْقَاكِ يَغْمُرُ البِشْرُ نَفْسي   بِرَجاءٍ مُشَعْشَعٍ مَوْصُولِ
وأرَى عِبْئِيَ الثقيلَ خَفيفاً   وأرى نَاهِضاً بِعبْئِي الثَّقيلِ
وكَأنّي استَشْعَرْتُ رُوحَ شَبابي   وَرَجَّعْتُ الزّمَانَ صَعْبَ القُفُولِ
فَأعيدِي إلى مَاضِيَ عُمْري   واغْمُريهِ بالبِشْرِ والتَأميلِ
واطْلُعي في قِفَارِ نَفْسي حياةً   وإذَا مَا دَجَى عَالَمي أوَ مِضِي لي

* * *

* نشرت في تموز (يوليو) ١٩٤١.

نوسة
أو
شطر من العمر*

نوسه قطة صحبتني اثني عشر عاماً، تحتل مكان الطفل الحبيب، وتشغل فراغه من نفسي وزمني، وتمنحني من الودّ والثقة والدعابة كفاء ما أمنحها من العطف والعناية والملاعبة، ثم ماتت بين يدي...

أَغْمِضـي عينيك قـد آنَ الأوانْ وَدَعيـني هُبـةً للشـجَنِ
وَأَمِّنـي دُنيـاكِ في آتـي الزمانِ وَدَعينـي لُعْبَـةً للزَّمَـنِ!

* * *

هـذه كَفِّـي وقد مـرَّتْ عليكِ في حَنَـانٍ وارتيـاعٍ وولُـوعِ
لم تَحُسِّـيها ولم يَنْبِـضْ لديـكِ قلبيَ النابـضُ من بـينِ الضُلوعِ

* * *

هـذه الكفُّ الـتي كَـمْ دَلَّلَتْكِ وسَّـدَتْكِ اليومَ أطبـاقَ الثَّرى[1]
أيَّ حاليْهـا تُرى أحنَـى عليكِ؟ ليتَـني أدْري. ومَـن فينـا دَرَى؟

* * *

ذلـكَ الصّـوتُ الـذي تَرْتقبينَ قَدْ دَعَاكِ اليومَ من خَلْفِ الحِجَابْ
قـد دعـاكِ. إنّمـا لا تَسْـمَعينَ أُسْـدِلَ السّـتْرُ وقد عَيَّ الجوابْ

* * *

---

* نشرت في تشرين الثاني(نوفمبر) ١٩٤٢.

١ - وسدتك: جعلت تحت رأسك الثرى.

أنَا يا «نُوسـةُ» والعهـدُ قريبٌ   مُوحِـشُ النفسِ شَـجِيٌّ للمَغيبِ
مَوْضِعُ الصاحبِ والطفلِ الحبيبِ   قـد خَلا في ذلكَ القلـبِ الغريبِ

* * *

مَوْضِعُ الشَّطْرِ الذي قد عِشْتِ فيه   مِـن حَياتِـي مَوْضِعـاً للحَدَبِ
مَا مَضَى مِـن دونِـه أو مَا يَليه   غربـةٌ تَقْسُـو علـى مُغْتَـرِبِ

* * *

إنـي أبْكيكِ يـا ظلَّ الشبـابِ   إنـي أبكيـكِ يـا طيـفَ البنينْ
رُفْقَةٌ طالـتْ على خيرِ اصطحابِ   لَـكِ عَطْفِـي ولَي الـودُّ المكينْ

* * *

لم يكـن ودٌّ بُطُـونٍ وطعـامِ   إنمـا وُدُّ اصطحـابٍ ووَفَـاءِ
طَالَمَا آثَـرْتِ إنْ غِبْـتُ الصيامَ   أو تَلُوذِيـنَ بِصَمْـتٍ وانْـزِوَاءِ

* * *

فـإذَا عُـدتُ فَوَثْـبٌ ومُـواءٌ   نَاطِـقٌ بالشـوقِ أو بالفـرحِ
وألاَعِيـبٌ وخَمْـشٌ والْتِـوَاءٌ   وتَثَـنٍ   نَاطِـقٌ   بالمَـرَحِ

* * *

طَالَمـا نَادَيْتنـي عَـذْبَ النِّداءِ   في وَدَاعٍ حِـينَ أمْضِـي أو لِقَـاءْ
في صبـاحٍ حينَ أصْحو أو مَسَـاءٍ   بِوثُـوقٍ   واعتـدادٍ   وذَكَاءْ!

* * *

طَالَما أحْسَسْــتُ أنّي لكِ وَحْدَكِ   لا تطيقــينَ شَــريكاً أو شَــبيهاً
طالما وَطّــأتِ في حِجْــرِي مَهْدَكِ   فَعْلَــةُ الطفلــةِ في حُضْــنِ أبيَها

* * *

كنــتِ لي كلّكِ في هــذي الحياةِ   أيــنَ مَنْ ألقَــاه فيها لَــي كُلُّهُ؟
كُلُّ مَــنْ ألْقَــى لــه فيها هَــوَاهُ   ولــه آمَالــهُ فيهــا وشُــغْلُهُ!

* * *

قــد خَلا حُضْنِي وكَفّــي وذِرَاعِي   قــد خَلا قَلْبِــي مِنْ هَــذا المَتَاعِ
مُنْــذُ دَعا المــوتُ فأصْغَيْتِ لداعٍ   مَــنْ دعَــاه لم يُعقّــبْ لِــوَدَاعِ

* * *

أنَــا يا «نُوســةُ» أمْضِــي والليالي   وخَــواءُ المــوتِ يَغْشَــى عَالَمِي
رَسْمُكِ الشّــاخِصُ يبدُو كالخيالِ   أو كَحُلْــمٍ في ضمــيرِ الحَــالِمِ

* * *

وخَيالاتُــكِ   في   كلِّ   مَــكانٍ   شَــاخِصَاتٍ تَتَــراءى للعَيَــانْ
تَصْحَبُ العُمْرَ علــى خَطْوِ الزمانِ   هَاهُنا كنــتِ وقَــدْ كَانَ وكانْ

* * *

هــذه أنْــتِ إلى حُضْنِــي أويْتِ   هــذه أنــتِ أمامي قَــد رَبَضْتِ
هــذه أنتِ علــى صَــدْرِي وَثبْتِ   لهفَ نفســي! أينَ أنتِ أينَ أنتِ؟

* * *

ها هُـــو الصبـــحُ فأيـــنَ الوَثَبَاتُ   هــذه كَفِّي فأيـــنَ اللّمسَـــاتْ؟

ها هـــو الأكلُ فأيـــنَ المَهْمَاتُ؟   أينَ أينَ؟ كلٌّ ما قَـــد كَانَ فَاتْ!

* * *

أيـــنَ قِطّاتُـــكِ في الحِـــرْزِ الأمينِ   مَـــنْ دَنَـــا منهـــا عليـــه تَشبـــينْ

غـــير أنّـــي لِـــيَ وَحْـــدِي تأمنينَ   وإِذَا مُسّـــتْ فَبِي تَســـتَنْجِدين؟

* * *

سَـــكَتَ الصوتُ وقـــد كَان غِنَاءً!   سَـــكَتَ الوَثْبُ وقَـــدْ كَانَ مَضَاءْ

وامتـــلاءُ البيتِ قد أمْسَـــى خَواءَ   كلٌّ مَـــنْ فيه قـــد اسْـــتَلْقَى عَيَاءْ

* * *

هـــا هُنا كنتِ؟ أمَـــا هذا ضَلالٌ؟   وتَهاويـــلُ خَمَّـــارٍ أو خَبَـــالْ؟

لم يكـــنْ شَـــيءٌ ولم يَطْـــرَأ زوالٌ   كلٌّ مَـــا كَانَ خيـــالٌ في خيـــالْ!

* * *

ضَلَّـــةٌ للنـــاسِ في آمالِهـــا   والمَنَايـــا رَابِضَـــاتٌ بالوَصِيـــد

زُمَـــر تَمضِـــي إلى أَجَالِهـــا   والذي يَحيـــا يُرَجّـــى في الخلودِ!

* * *

صدى الفاجعة *

لم تكن إلا مرات معدودة جلست فيها إلى فقيد مصر العظيم. ثم هأنذا أعاني من الفجيعة فيه كأنها فجيعتي الخاصة... فيا ويحَ لأولئك الذين عاشروه، فأحبوه ووارحمتاه لهم كيف يعيشون...؟

جَفَّ الرِّثاءُ بخاطري المَفْجُوعِ وصَمَتُّ لا أفضي بغيرِ دُمُوعي

إنِّي ذُهِلتُ عَنِ المُصابِ بوقعِه حيناً، ذُهُولَ الوَاهِمِ المَخْدُوعِ

فَظَلِلْتُ أنْصِتُ للرجاءِ، وأتَّقِي صوتَ اليقينِ الفَاجِعِ المَسْمُوعِ

أيَمُوتُ؟ كَلاَّ! لا يموتُ وهذه مِصْرُ تُرجِّي نَجْمَه لِسُطُوعِ

أيموتُ والأحداثُ تَهتِفُ باسمِه أتكونُ تلكَ هُتَافَةَ التوديعِ؟

قُلْ أيُّها النَّاعِي سِواهُ؟ فما أرى أنِّي — وإنْ جاهَدْتَنِي — بِسَمِيعِ!

* * *

واويلتَاه! أإنَّها الحقيقةُ جلَّتْ عن الإيجافِ والترويعِ؟[1]

صَمَتَ الذي قَدْ كَانَ ألْحَنَ حُجَّةً وتَحدَّثَتْ طعناتُه بِنَجِيعِ[2]

مُتَفَجِّراتٍ بالدِّماءِ كأنَّها كلماتُه في قوةٍ ونُصُوعِ

كلماتُه اللائي نَبَضْنَ بِقَلْبِه ودِمَاؤه من ذلكَ اليَنْبُوعِ

* * *

---

* نشرت في آذار (مارس)١٩٤٥.

١– الإيجاف: من أوجف الشيء: حرّكه،وجف القلب: خفق،قال تعالى﴿قلوب يومئذ واجفة﴾ والمراد خفقان القلب واضطرابه.

٢– النجيع: دم الجوفز

يا واهبَ الوادي مَريعَ حَياتِه ما بالُ عُمْرِكَ لم يكنْ بِمَريعِ؟

يا مانِعَ الوادي العزيزِ بنَفْسِه ما بالُ عُمْرِكَ لم يكن بِمَنيعِ؟

خَطَفَتْكَ عاديةُ المَنونِ وخَلَّفَتْ وَطَناً يُعالِجُ سَكْرَةَ المَصْرُوعِ

لَهَفاً مَكانُكَ ليسَ يَمْلأُ رَحْبَه إلا الأسى وتفجُّعُ المَفْجُوعِ

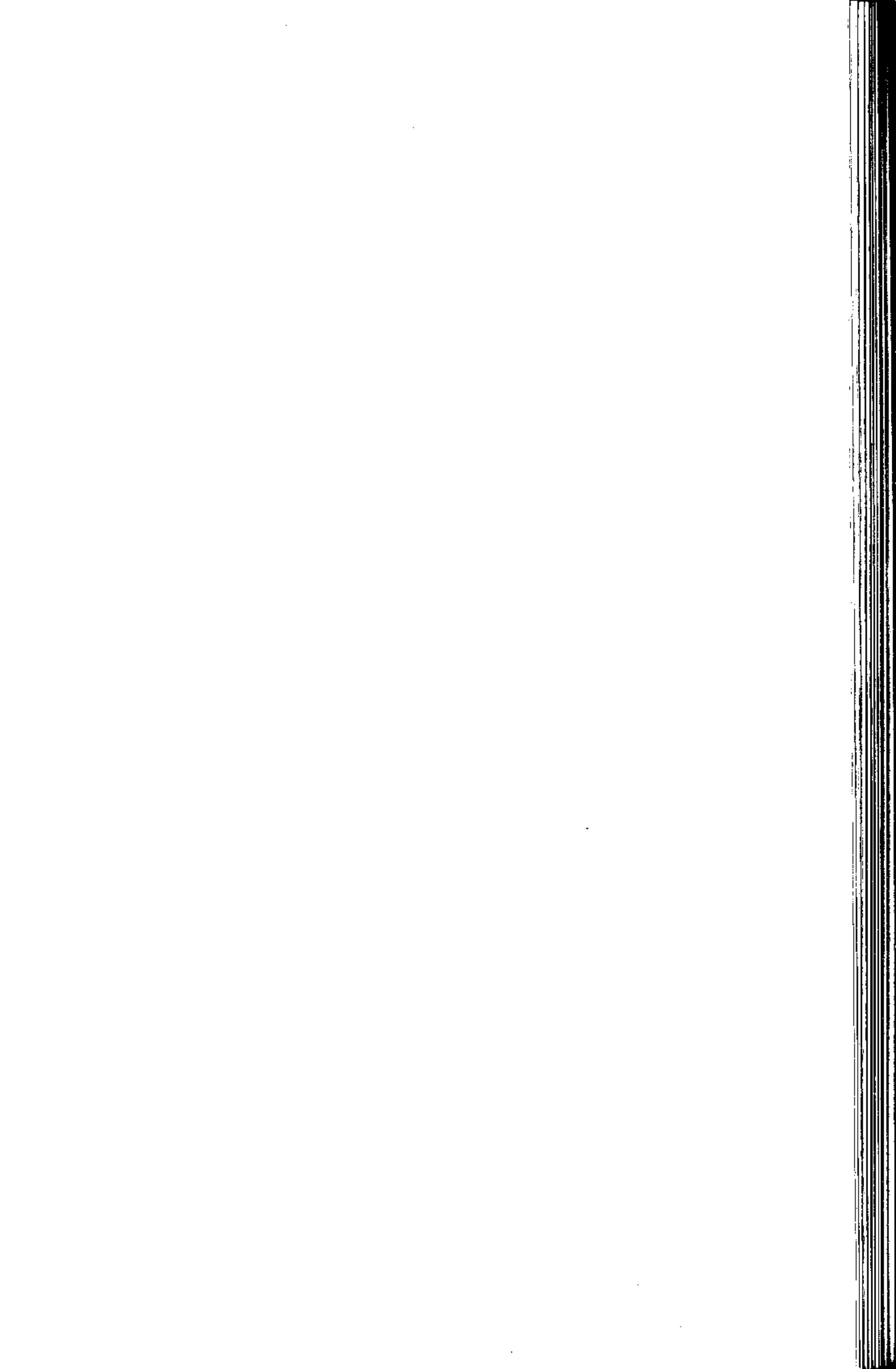
لَهَفاً مَكانُكَ والبِلادُ تَهَيّأَتْ تَخْطُو إلى أُفُقٍ رَسَمْتَ وَسيعِ

وتَلَفَّتَتْ تُصْغِي لِصَوْتِكَ هَادِياً في المُدْلَهِمِّ ورأيِكَ المَسْمُوعِ

فَصَمَتَّ – يا للهولِ – صَمْتَةَ وَاجِمٍ ماضٍ لغيرِ تأوُّبٍ ورُجُوعِ

وَاهاً لِمَصْرَ ويا فَجيعةَ أهْلِها في الرائدِ المتفرِّدِ المَتْبُوعِ!

* * *



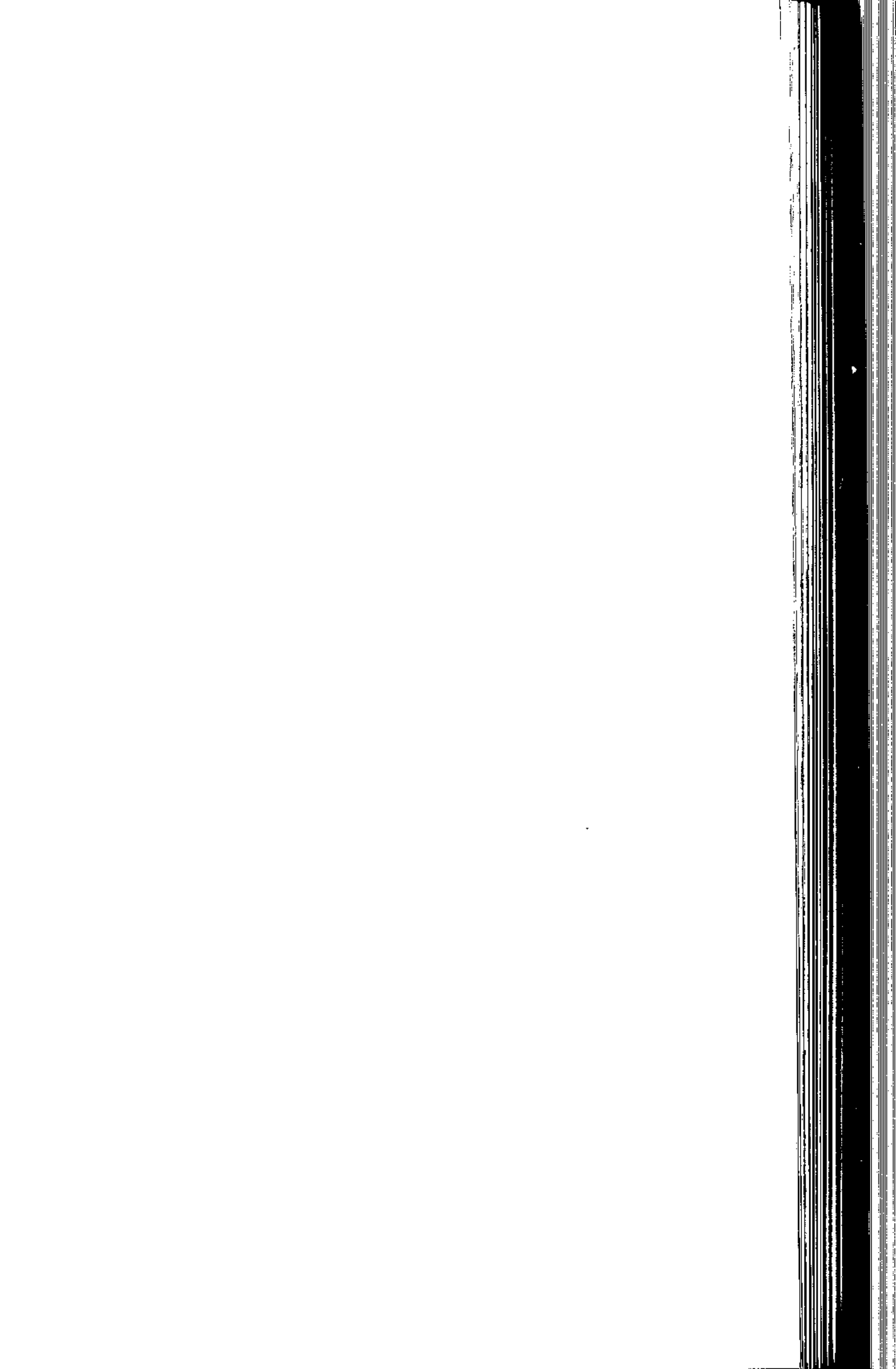


تبغُونَ الاستقلالَ؟ تلكَ طريقُهُ

ولقد أَخَذْتُم بالطريقِ فيمّمُوا

وهو الجهادُ حَميّةٌ جَشّامَةٌ

ما إنْ تخافُ منَ الرَّدَى أو تَحْجُمُ



إلى البلاد الشقيقة*

عَهـدٌ علـى الأيـام ألا تُهْزَمُوا فالنصرُ يَنْبُتُ حيـثُ يُهراقُ الدَّمُ
في حيـثُ تَعتبطُ الدِّمَـاء فأيقنُوا أن سوف تَحيَوْا بالدِّماءِ وتَعْظُمُوا[1]
تبغُونَ الاسـتقلالَ؟ تلك طريقُهُ! ولقـد أخَذْتُـم بالطريـقِ فيمّمُوا
وهـو الجهـادُ حَميَّةٌ جشّـامة ما إن تخافُ مـن الرَّدى أو تُحْجمُ
إن الخلـودَ لمـن يَطيقُ مُيَسَّـرٌ فليمض طلابُ الخلـودِ ويُقْدِمُوا
وطـنٌ يُقَسَّـمُ للدخيـلِ هدية فعـلامَ يَحْجُمُ بعد هـذا مُحْجِمُ؟
الشـرقُ يا لَلشّـرقِ تلك دمَاؤُه والغربُ يا لَلغـربِ يُضْريه الدَّمُ[2]
الشرقُ ويحَ الشرقِ كيفَ تَقَحَّمُوا حرماته الكُبْرى وكيـفَ تهجَّمُوا
غرتُهمُو سِـنَةُ الكَـرى فتوهَّمُوا يـا للذكاءِ! فكيفَ قـد غَرَّتْهُمُو؟
سِـنَةٌ ومـرت والنيـامُ تيقظُوا فليعلمُوا مَنْ نحـنُ أو لا يَعْلَمُوا!
اليـومَ فَلْيَلغُوا الدّمـاءَ وفي غد فَلْيَنْدَمُـوا عنهـا ولاتَ المَنْدَمُ[3]

* * *

أبطـالَ الاسـتقلالِ تلـك تحيةٌ مِنْ مصـرَ يبعثُهـا فـؤادٌ مُفْعَمُ
إخوانُنـا في الحـالِ والعُقْبى معاً إخوانُنـا فيمـا يَلَـذُّ ويُؤْلِـمُ
مصْـرُ الفتاة ومـا تَـزالُ فَتيةً تهفُـو إليكُـم بالقلـوبِ وتَعْظُمُ
في كلِّ مُطّلـعٍ وكُلِّ ثَنيّـة نارٌ من الشـرقِ الفتيِّ سَـتُضْرَمُ

* * *

---

* نشرت في ١٩٣١ بمناسبة ثورة فلسطين وحوادثها الدموية.

١- تعتبط: من عبطه الموت أي مات شابا صحيحا.

٢- يضريه: يجعله من الضواري .

٣- فليلغوا: من ولغ يلغ: شرب الدماء دون ارتواء. لات الندم: ليستالساعة ساعة اليوم.

مأساة البداري*

ليس في مصر من لا يذكر هذه المأساة الوحشية التي مثلها مأمور البداري المقتول مع أهالي البداري عامة؛ وسجين البداري خاصة، وذلك الموقف العجيب الذي وقفته منها وزارة العهد المظلم البائد، وقد حالت قيود ذلك العهد البغيض دون نشر هذه المقطوعة وسواها.

ما ذلك، العِرْضُ الشريفُ يُثْلَمُ؟ ويَسيل مِنْ حَنَق حَواليه الدَّمُ؟
ومن الذي سَام النفوسَ مَهانةً يَأبَى ويأنَفُها الذلُولُ الأعْجَمُ؟[1]
من كلِّ ما عَوْرَاء تُكْشَفُ جَهْرَةً ويُهانُ منها ما يُصانُ ويُكْرَمُ
وكرامَة يَشْتطُّ في تحقيرها نَذْلٌ حقيرُ القلب لا يَتأثَّمُ
في أيِّما بلد نعيشُ؟ وأيّما عهد يمرُّ على الكِنَانة مُظْلِمُ؟[2]
عهدٌ نُسَامُ الخَسْفَ فيه ونُبْتَلى نِقَماً إذا قُمْنَا نَضجُّ ونَنْقمُ
وَحْشيَّةٌ كَشَفَ الزَّمانُ حجَابَها لا بَلْ أشَدُّ من الوحُوشِ وأظْلَمُ
الوحشُ يَضْلُ جَائِعاً ويَعِفُّ عن فَتَكاته إذ ما يَعِبُّ ويَطْعَمُ

* * *

يا أيُّها الرُّفقَاءُ بالحيوان لا تَنْسَوْا أنَاسيًّا تئنُّ وتَألَمُ
في مِصَر قد تَلْقَى الكلابُ رِعَايةً بينَا يُحَقَّرُ شَعْبُها ويُحَطَّمُ!
في مِصَر لا يَلْقَى المسيءُ جَزَاءَه لا بلْ يُكَافَأ دونَه ويُكَرَّمُ
في مصر ما لا يَحْفَظُ التاريخُ من فُحْش يَعجُّ بِها وفُحْش يُكْتَم
في مِصَر! لو في مِصْر بعضُ كرامة غَضِبَتْ وفارَ على جوانِبها الدَّمُ!

* * *

ماذَا يَعزُّ على الهوانِ نَصونُه؟ لم يبقَ من حُرماتنا ما نُكْرِمُ!
الموتُ! يَا للموت! أشرَفُ شِرْعة مِمَّا نُسامُ به ومِمَّا نُوسَمُ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٢.
١- الذلول الأعجم: الحيوان.
٢- نعت مقطوع مرفوع في موضع الذم.

صوت الوطنية*

بمناسبة موافقة وزارة وبرلمان صدقي على مشروع خزان جبل الأولياء.

ضجّـتْ الدُّنيـا فمـاذَا تَرْتَقِبْ   مِصرُ مـن أهوالِها حـتى تَثِبْ؟
ضجّـتْ الدنيا من الهـولِ الذي   تـركَ الدنيـا جميعـاً تَضطربْ
فَـارَ مـاءُ النيـلِ أو صَـارَ إلى   حُمَـمٍ أو نِقْمَـةٍ مِنْـه تُصَـبْ
وأرى مِصـرَ تُعـاني سَـكْرةً   وإذا تصحُـو تولـتْ تَنْتَحِـبْ؟
مِصر. يا مصـرُ. وما يُجْدي البُكا   غضبةٌ يا مصـرُ كاللّيـثِ وَثَبْ
غضبةٌ يا مصـرُ. أو. لا. فادْرُجي   في قيـودِ الذلّ وارضَـىْ بالحَرَبْ

* * *

أفهـذي مِصـرُ أم مـاذا أرى؟   أمـةُ أُخـرى وشـعبٌ مُنْقلبْ
أم تُـرى الأيـامُ دارتْ دورةً   فـإذا الأسْـدُ شِـياهٌ تُختَلَبْ؟
ما عَهِدْنـا مِصرَ تُمطِـي ظَهْرها   كَذلُـولِ النُّوقِ مَنْ شَـاء رَكِبْ!
المَطَايـا حـينَ تَخْشَـى حَتْفَهَـا   تُعطبُ السَّـائِقَ من دونِ العَطَبْ!

* * *

مِصْـرُ لَمّـا غَضِبَـتْ غَضْبَتَهـا   لَـمْ يَرُعْها الغربُ لمـا أنْ غَضِبَ
أرسـلَتْها صَيحـةً داويـةً   كهـزيمِ الرعدِ جَيّـاشَ اللّجُبْ[1]

---

* نشرت عام ١٩٣٢.

١- جياش اللجب: مرتفع الضجيج.

أنصتَ الغـربُ لها واسـتمعتْ   أُذُنُ العَـالمِ مِـنْ خَلْـفِ الحُجُبْ
وأحـسَّ الظُّلْـمُ منْهـا رِعْـدَةً   تتمشـى فيـه كالرُّعْـبِ يَدُبْ
لم تَرُعْنـا هَجْمَـةٌ منْـه علـى   رُسُـلِ الحـقِ غَشُـوماً يَحْتَطِبْ
سـالتْ الأنفـسُ فيهـا فارتوتْ   تربـةُ المجـدِ بهـا بعـدَ الجَدَبْ
وَوَعاهـا الدهـرُ في آثـارِه   جَـذْوةً حمـراءَ في رَأْسِ الحِقَـبْ

* * *

هذه يا مِصـرُ ذِكْـرى فاذكُري   مـا تولّـى وادأبي خـيرَ الدَّأَبْ
أرجِعـي الكَـرَّةَ لا هَيَّابَـةً   واغلبي بالعـزمِ أشـتاتَ النُّوَبْ

* * *

المهرجان*

مَـــا هُتـــافٌ ثَـــمَّ في كلِّ مـــكانْ ما دُعـــاءٌ ثَـــمَّ في كلِّ لســـانْ؟
مـــا نَشـــيدٌ تسْـــكُبُ الدنيـــا به أعذبَ الألحانِ في سَـــمْعِ الزمانْ؟
ما شـــعورٌ فَـــاضَ كالوحْـــيِ هَفَا فهفَا الشـــعرُ علـــى كلِّ جنانْ؟
مـــا ابتهـــاجٌ وسُـــرورٌ ورِضَـــا وانطـــلاقٌ في التمنِّـــي والأمانْ؟
مِهْرَجـــانُ العـــرشِ والشـــعبِ مَعاً عـــاشَ فـــاروقٌ، ودام المِهْرَجانْ

* * *

قَـــال لي الدهـــرُ – وقَـــدْ راودتُه عَـــن خَفَايـــاهُ فأفْشَـــى وأبانْ:
ليـــس كاليـــومِ جَمـــالاً وسَـــنَىً منـــذُ مـــا كان زمـــانٌ ومـــكانْ
ليـــس كاليـــومِ ابتهاجـــاً ومُـــنى منـــذُ مـــا كانَ ابتـــداعٌ وافتنانْ
غـــيرُ يومـــين وإنّـــى حَافِـــظٌ في ســـجلّي كلَّ مـــا كان وبـــانْ
يـــومُ ميـــلادٍ وفي يـــوم ارتقـــى عرشَـــه السّـــامي فأعـــلاه وزانْ
ثم هـــذا اليـــومُ يـــومُ المِهْرَجـــان عـــاشَ فـــاروقٌ ودَام المِهْرَجانْ!
أنـــتَ يـــا فـــاروقُ خـــيرٌ خَالِصٌ بيتما الخـــيرُ مشـــوُبٌ في الزمانْ
مـــن ضميرِ الشـــعبِ مِـــنْ يقظتِه مِنْ مناهُ مِـــنْ أغانيه الحِسَـــانْ
صاغـــكَ اللهُ ســـنَاءً وســـنَى صَانَـــك اللهُ وأعطـــاكَ الأمانْ!!
صَانَـــكَ اللهُ. فَإنَّـــا أُمَّـــةٌ تَقْـــدرُ المُحْســـنَ في غـــير امتنانْ
كلّ يـــوم أنـــت فيـــه مِهرجـــان عاش فـــاروقٌ، ودام المهرجانْ!!

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٨م

أنـــت في مِصـــر قُـــوىً كامنـــةٌ منذ كانت مصرُ شـــعباً ذا كيانْ
يُســـلِمُ الجيـــلُ إلى تَابعـــهِ هـــذه القـــوةَ تَذْكُـــو وتُصـــانْ
والليـــالي مُرهِصَـــاتٌ والدُّنـــا تَرْقُـــبُ الميـــلادَ آنا بعـــدَ آنْ[1]
ثُمَّ شَـــبَّ الشَّـــعْبُ في نهضتِـــه ناضـــجَ الفِكْرَةِ مشـــبوبَ الجَنَانْ
فـــإذا فـــاروقُ في طَلْعَتِـــه هتفُ البشـــرى على كلِّ لِســـانْ
ثم كان اليـــومُ يـــومَ المِهرجـــان عـــاش فـــاروقٌ، ودام المِهْرَجانْ!

* * *

أنـــت صِنْـــوُ الشـــعبِ في تاريخه كنـــتَ منه في الأمانـــي يومَ كانْ
قـــد تَوَافَى مَولِدُ النهضـــةِ والمَولِدُ الضَّاحـــى، فوافت بُشْـــرَيانْ[2]
حِكْمـــةٌ هَـــذا التّوافـــي عَجَـــبٌ شَـــاءها الله فجـــاءتْ في الأوانْ
ثم وَافي اليـــومُ، يـــومُ المهرجـــان عـــاشَ فـــاروقٌ، ودام المهرجانْ

* * *

يـــا صديقَ الشـــعْب قُـــدْ نَهْضتَه في ســـباقِ الكونِ يَظْفَـــرْ بالرهانْ
ولـــه مِنـــك شـــبابٌ طَامِـــحٌ يبعـــثُ الجَـــرأةَ في قَلـــبِ الجَبانْ
كلُّ قلـــبٍ حـــينَ تدعُـــو هاتفٌ: إيـــه لبيـــكَ، إلى شَـــطِّ الأمـــانْ
إيـــه لبيـــكَ، وفيـــه نَشْـــوةٌ وله مِنْ وَجْهِكَ السَّـــمْحِ ضَمانْ

١- مرهصات: من أرهَصَ الشيء: أثبته وأسسه.
٢- توافى جاءا بعضهما مع بعض.

إيـــه لبيـــكَ، وقـــد طَهّـــره حُبُّـــك السَّـــامِي وروّاه الحَنَـــانْ

كلُّ قلـــبٍ خافـــقٌ بِالمهرجـــان عـــاشَ فـــاروقٌ، ودامَ المِهرجانْ

* * *

شَعْشَـــعْ النَّغْمـــة في قِيثَارتـــي وحيُـــك العَذْبُ فجـــوَّدتُ البيانْ

وجَـــرى الشّـــعْر وفي نَكْهَتِـــهِ من معانيك شـــذَى عَرْفَ الجِنَانْ

فأنـــا الشَّـــادِي وفي رُوحي هوىً عَبْقَـــريٌّ الوَحي ذَاكـــي الافتنانْ

وأنـــا الشـــاعرُ آفاقِـــي سَـــمَتْ فَسَـــمَا منّـــى بيـــانٌ ومَعَـــانْ

وأنـــا الغريـــدُ يـــومَ المِهرجـــان عـــاشَ فـــاروقٌ، ودامَ المِهْرَجَانْ

* * *





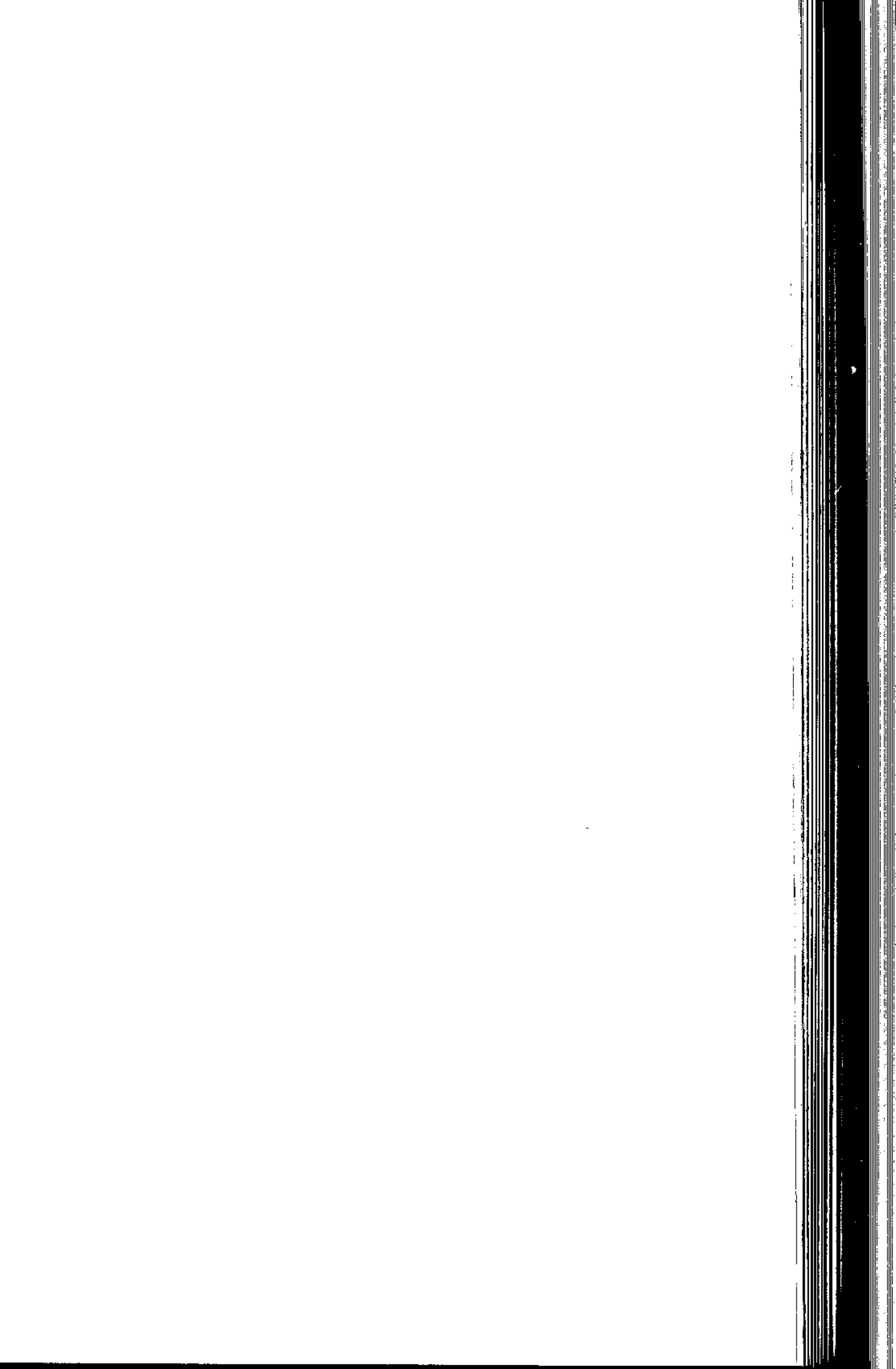
أخي إنْ نَمُتْ نَلْقَ أحْبَابنَا

فروْضاتُ ربي أُعدّتْ لَنَا

وأطيارُها رفرفتْ حَوْلَنا فطوبى

لنا في ديارِ الخُلودِ

سيد قطب



هبل.. هبل*

هُبَلٌ... هُبَلْ رَمْزُ السّخافَة والدَّجَل
مِنْ بَعْدِ ما اندَثَرَتْ على أيدي الأباة
عادَتْ إلينا اليَوْمَ في ثَوْبِ الطُّغاة
تتنشّق البحور تحرقُهُ أساطير النّفاق
مَنْ قُيِّدَتْ بالأسْرِ في قَيْدِ الخَنا والارْتِزاق[1]
وَثَنٌ يقودُ جُموعَهُمْ... يا لَلْخَجل
* * *

هُبَلٌ... هُبَلْ
رمزُ السَّخافَة والجَهالَة والدَّجَل
لا تَسْألَنْ يا صاحبي تلك الجُموع
لِمَن التَّعَبُّدُ والمثوبَةُ والخُضوع(٣)
دَعْها فما هي غيرُ خِرْفان... القطيع
معبودُها صَنَمٌ يَراهُ... العَمُّ سام
وتكَفَّلَ الدُّولارُ كي يُضْفي عَلَيْه الاحتِرام
وَسَعى القطيعُ غبَاوَةً... يا لَلْبَطَل
* * *

---

* من مجموعة شعرية قيلت بعد ثورة تموز (يوليو) عام ١٩٥٢صدرت في عمان تحت عنوان (لحن الكفاح)، ونقلها أحمد عبد اللطيف الجدع، وحسني أدهم جرار في كتابهما (شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث)٤ /٤١ هُبَل: صنم كان بالكعبة ، وهو رمز لكل طاغية.

١ - الخنا: الفحش في الكلام.

هُبَلٌ... هُبَلْ
رمزُ الخيانَة والجهالَة والسَّخافَة والدَّجَل
هُتَّافَةُ التَّهريج ما ملُّوا الثَّناء
زعموا لَهُ ما ليس... عنْدَ الأنبياء
مَلكٌ تَجَلْبَبَ بالضِّياءِ وجاء من كَبِد السَّماء
هو فاتحٌ... هُوَ عَبْقَرِيٌّ مُلْهَمُ
هو مُرْسَلٌ... هو عالِمٌ ومُعَلِّمُ
ومن الجهالَة ما قَتَلْ

* * *

هُبَلٌ... هُبَلْ
رمزُ الخيانَة والعَمالَة والدَّجَل
صيغَتْ له الأمجادُ زائفَةً فَصَدَّقَها الغبي
واسْتَنْكَرَ الكَذبَ الصُّراحَ وَرَدَّهُ الحُرُّ الأبي
لكنَّما الأحرار في هذا الزَّمان هُمُ القليل
فلْيَدْخُلوا السِّجْنَ الرَّهيبَ ويَصْبروا الصَّبْرَ الجَميل
وَلْيَشْهَدوا أقْسَى روايَةْ... فَلكُلِّ طاغية نهايَةْ
وَلِكُلِّ مَخْلُوقٍ أجَلْ... هُبْلٌ... هُبَلْ هُبَلٌ... هُبَلْ

* * *

أخي*

أخي أنــتَ حُرّ وراء السُّــدود   أخي أنــتَ حُــرٌ بتلــكَ القُيودْ

إذا كُنْــتَ بــالله مُســتعصماً   فمــاذا يَضيرُكَ كيــدُ العبيــد

* * *

أخــي سَــتبيدُ[٢٦] جُيــوشُ الظّلام   وَيُشــرِقُ في الكَــوْنِ فجرٌ جديد

فَأطلِــقْ لِرُوحِــكَ إشــراقَها   تَــرى الفَجْــرَ يرمُقُنا مــن بعيد

* * *

أخي قــد أصابَــكَ ســهمٌ ذليل   وغَــدْراً رَمــاك ذِراعُ كَليــل

سَــتُبْتَرُ يَوْمــاً فَصَبْــرٌ جميــل   ولم يَــدْمَ بعــدُ عريــنُ الأســود

* * *

أخي قد سَرَتْ من يَديْكَ الدِّماء   أَبَــتْ أن تُشَــلَّ بِقَيْــدِ الإمــاء

ســتَرْفَعُ قُرباهــا... للسَّــماء   مُخَضَّبــة بوســامِ الخُلــود

* * *

أخي هل تُــراكَ سَــئِمْتَ الكِفاحِ   وألْقَيْــتَ عن كاهِلَيْكَ السَــلاح

فَمَنْ للضّحايا يواســي... الجِراح   ويرفــعُ رايتهــا مِــن جديــد

* * *

---

* الكفاح الإسلامي الأردني-العدد ٢٩- الصادر في ٢٨/١٢/١٣٧٦هـ الموافق ٢٦/٧/١٩٥٧

أخـــي هل سمعـــتَ أنـــينَ التُّراب   تَـــدُكُّ حَصـــاهُ جيـــوشُ الخَراب
تُمَـــزِّقُ أحشـــاءه بالحِــرابِ وتَصْفَعُـــهُ وهـــوَ صلـــبٌ عنيد

* * *

أخـــي إنني اليـــومَ صَلـــبُ المِراس   أَدُكُّ صُخـــورَ الجبـــال الـــرَّواس
غَـــداً سأشـــيخُ بفـــأس الخَلاصِ رؤوس الأفاعـــي إلى أنْ تبيـــد

* * *

أخـــي إنْ ذَرَفْـــتَ علـــيَّ الدُّموع   وَبَلَّلْـــتَ قَبري بها في خُشـــوع
فَأَوْقِـــدْ لَهُمْ من رُفاتِي الشُّـــموع   وســـيروا بها نحـــو مَجْـــدٍ تليد

* * *

أخـــي إن نَمُـــتْ نَلْـــقَ أحبابَنـــا   فَرَوْضـــاتُ ربيّ أُعِـــدَّت لَنـــا
وأَطْيارُهـــا رَفْرَفَـــتْ حَوْلَنـــا فَطـــوبى لنـــا في ديـــارِ الخُلـــود

* * *

أخـــي إنّني مـــا سَـــئِمْتُ الكِفاح   ولا أنـــا ألقَيْـــتُ عني السِّـــلاح
وإن طَوَّقَتْـــني جُيـــوشُ الظَّـــلام   فَإِنِّـــى علـــى ثِقَـــةٍ... بالصبّاح

* * *

وإنَـــي علـــى ثِقَـــةٍ مِـــنْ طريقي   إلى الله رَبِّ السَّـــنا والشـــروق
فـــإنْ عافَـــني السَّـــوْقُ أوْ عَقَّـــني   فـــإني أمـــينٌ لعهـــدي الوثيـــق

* * *

أخـــي أخَـــذُوكَ علـــى إثْرِنـــا   وَفَـــوْجٌ علـــى إثْرِ فـــوجٍ جَديد
فـــإنْ أنـــا مُـــتُّ فإنّـــي شـــهيد   وأنَتْ سَـــتَمْضِي بنصـــرٍ جديد

* * *

قَـــدِ اختارَنـــا اللهُ في دعوتِـــه   وإنّـــا ســـنمضِي علـــى سُـــنَّتِه
فَمِنّـــا الذيـــن قَضَـــوْا نَحْبَهُـــم   ومنّـــا الحفيـــظُ علـــى ذِمَّتِـــه

* * *

أخـــي فَامْـــضِ لا تَلْتَفِـــتْ للوراء   طريقُـــكَ قـــد خَضبَّتْـــهُ الدِّماء
ولا تَلْتَفِـــتْ هَهنـــا أو هُنـــاك   ولا تَتَطَلَّـــعْ لغـــيرِ السَّـــماء

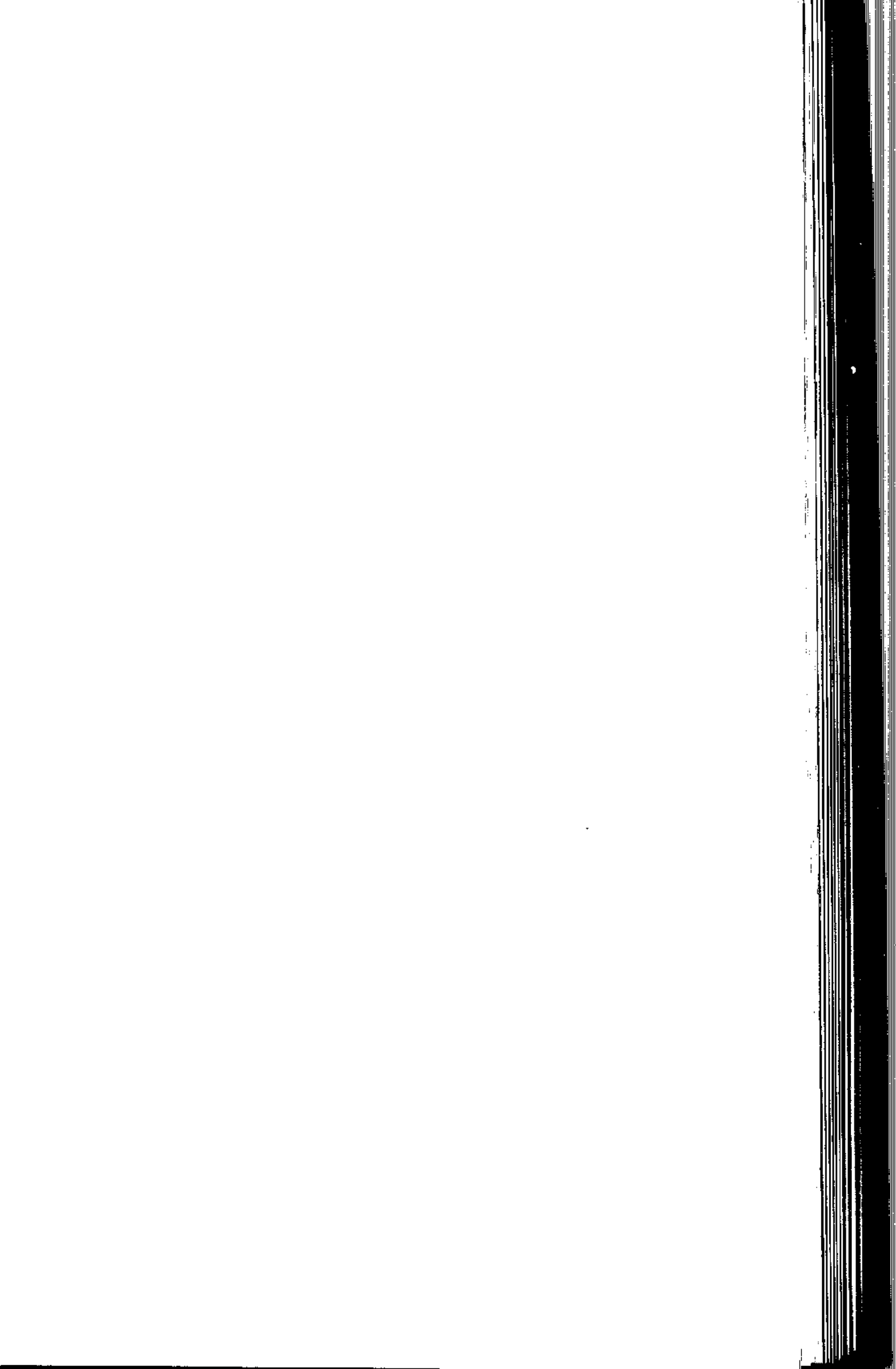
* * *

فلســـنا بطـــيرٍ مَهيـــض الجَنَـــاح   ولـــن نُسْـــتَذَلَّ ولن نُسْـــتَباح
وإنّـــي لأسْـــمَعُ صـــوتَ الدِّماء   قَويًّـــا يُنـــادي الكِفَـــاحَ الكِفَاح

* * *

سَـــأثْأرُ لكـــنْ لِـــرَبٍّ وديـــن   وأمْضـــي علـــى سُـــنَّتي في يَقين
فإمّـــا إلى النَّصـــرِ فَـــوْقَ الأنَـــام   وإمَـــا إلى اللهِ في الخالديـــنْ

* * *



ترجمة سيد قطب

ولد سيد قطب لأسرة شريفة في مجتمع قروي (صعيدي) في يوم ٩/١٠/١٩٠٦م بقرية موشا بمحافظة أسيوط، وهو الابن الأول لأمه بعد أخت تكبره بثلاث سنوات وأخ من أبيه غير شقيق يكبره بجيل كامل. وكانت أمه تعامله معاملة خاصة وتزوده بالنضوج والوعي حتى يحقق لها أملها في أن يكون متعلمًا مثل أخواله

كما كان أبوه راشدًا عاقلاً وعضوًا في لجنة الحزب الوطني وعميدًا لعائلته التي كانت ظاهرة الامتياز في القرية، واتصف بالوقار وحياة القلب، يضاف إلى ذلك أنه كان دَيِّنًا في سلوكه.

ولما كتب سيد قطب إهداء عن أبيه في كتابه (مشاهد القيامة في القرآن) قال: «لقد طبعتَ فيّ وأنا طفل صغير مخافة اليوم الآخر، ولم تعظني أو تزجرني، ولكنك كنت تعيش أمامي، واليوم الآخر ذكراه في ضميرك وعلى لسانك.. وإن صورتك المطبوعة في مُخيلتي ونحن نفرغ كل مساء من طعام العشاء، فتقرأ الفاتحة وتتوجه بها إلى روح أبيك في الدار الآخرة، ونحن أطفالك الصغار نتمتم مثلك بآيات منها متفرقات قبل أن نجيد حفظها كاملات».

وعندما خرج إلى المدرسة ظهرت صفة جديدة إلى جانب الثقة بالذات من أمه والمشاعر النبيلة من أبيه وكانت الإرادة القوية، ومن شواهدها حفظه القرآن الكريم كاملاً بدافع من نفسه في سن العاشرة؛

لأنه تعود ألا يفاخره أبناء الكتاتيب بعد إشاعة بأن المدرسة لم تعد تهتم بتحفيظ القرآن.

وفي فورة الإحساس والثقة بالنفس كان لظروف النضال السياسي والاجتماعي الممهدة لثورة ١٩١٩ أثر في تشبعه بحب الوطن، كما تأثر من الثورة بالإحساس بالاستقلال وحرية الإرادة، وكانت دارهم ندوة للرأي، شارك سيد قطب فيها بقراءة جريدة الحزب الوطني، ثم انتهى به الأمر إلى كتابة الخطب والأشعار وإلقائها على الناس في المجامع والمساجد.

الاستقرار في القاهرة

ذهب سيد قطب إلى القاهرة في سن الرابعة عشرة وضمن له القدر الإقامة عند أسرة واعية وجهته إلى التعليم وهي أسرة خاله الذي يعمل بالتدريس والصحافة، وكان لدى الفتى حرص شديد على التعلم

إلا أنه في القاهرة واجه عقبات محصته تمحيصًا شديدًا جعلته يخرج من الحياة برؤية محددة قضى نحبه –فيما بعد– من أجلها.

والتحق سيد قطب أولاً بإحدى مدارس المعلمين الأولية –مدرسة عبد العزيز– ولم يكد ينتهي من الدراسة بها حتى بلغت أحوال الأسرة درجة من السوء جعلته يتحمل المسئولية قبل أوانه، وتحولت مهمته إلى إنقاذ الأسرة من الضياع بدلاً من استعادة الثروة وإعادة المجد.

واضطر إلى العمل مدرسًا ابتدائيًا حتى يستعين بمرتبه في استكمال دراسته العليا من غير رعاية من أحد اللهم إلا نفسه وموروثاته القديمة. وكان هذا التغير سببًا في الاحتكاك المباشر بالمجتمع الذي كان لا بد له من أسلوب تعامل يختلف عن أسلوب القرويين وتجربتهم.

فالمجتمع الجديد الذي عاش فيه انقلبت فيه موازين الحياة في المدينة السليمة، وبدت في القاهرة سوءات الاحتلال الأجنبي ومفاسد السياسة؛ حيث سادت عوامل التمزق الطبقي والصراع الحزبي وغدت المنفعة وما يتبعها من الرياء والنفاق والمحسوبية هي الروح التي تسري، ويصف عبد الرحمن الرافعي هذا المجتمع بأنه :«مجتمع انهارت فيه الثقافة العربية أمام الثقافة الغربية التي تؤمن بالغرب حتى بلغت في بعض الأحيان حد التطرف في الإيمان بالغرب وبمبادئه إيمانًا مطلقًا». فكيف يواجهها هذا الشاب الناشئ المحافظ الطموح؟

كانت صلته بهذا المجتمع صلة تعليم، ثم أصبح الآن مشاركًا فيه، وعليه أن يختار ما بين السكون والعزلة، وبالتالي عدم إكمال تعليمه أو الحركة والنشاط، واختار سيد قطب المواجهة مع ما ينبت معها من عناصر الإصرار والتحدي وعدم الرضا بهذا الواقع المؤلم.

ارتحال فكري

واختار سيد قطب حزب الوفد ليستأنس بقيادته في المواجهة، وكان يضم وقتذاك عباس محمود العقاد وزملاءه من كتاب الوفد، وارتفعت الصلة بينه وبين العقاد إلى درجة عالية من الإعجاب لما في أسلوب العقاد من قوة التفكير ودقة التغيير والروح الجديدة الناتجة عن الاتصال بالأدب الغربي.

ثم بلغ سيد قطب نهاية الشوط وتخرج في دار العلوم ١٩٣٣ وعين موظفًا –كما أمل وأملت أمه معه– غير أن مرتبه كان ستة جنيهات ولم يرجع بذلك للأسرة ما فقدته من مركز ومال؛ فهو مدرس مغمور لا يكاد يكفي مرتبه إلى جانب ما تدره عليه مقالاته الصحفية القيام بأعباء الأسرة بالكامل.

وهذه الظروف التي حرمته من نعيم أسلافه منحته موهبة أدبية إلا أن الأساتذة من الأدباء -كما يصفهم- كانوا: «لم يروا إلا أنفسهم وأشخاصهم فلم يعد لديهم وقت للمريدين والتلاميذ، ولم تكن في أرواحهم نسمة تسع المريدين والتلاميذ» كل هذا أدى إلى اضطرابه وإحساسه بالضياع إلى درجة -وصفها الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه «مذكرات سائح من الشرق» انقطعت عندها كل صلة بينه وبين نشأته الأولى وتبخرت ثقافته الدينية الضئيلة وعقيدته الإسلامية» ولكن دون أن يندفع إلى الإلحاد، وكان دور العقاد حاسمًا في ذلك.

وانتقل سيد قطب إلى وزارة المعارف في مطلع الأربعينيات، ثم عمل مفتشًا بالتعليم الابتدائي في عام ١٩٤٤ وبعدها عاد إلى الوزارة مرة أخرى، وفي تلك الفترة كانت خطواته في النقد الأدبي قد اتسعت وتميزت وظهر له كتابان هما: «كتب وشخصيات»، «والنقد الأدبي - أصوله ومناهجه».

وبعد ميدان النقد سلك سيد قطب مسلكًا آخر بعيدًا: بكتابه «التصوير الفني في القرآن» الذي لاقى مقابلة طيبة من الأوساط الأدبية والعلمية فكتب: «مشاهد القيامة في القرآن» ووعد بإخراج: «القصة بين التوراة والقرآن» و»النماذج الإنسانية في القرآن»، و»المنطق الوجداني في القرآن»، و»أساليب العرض الفني في القرآن»، ولكن لم يظهر منها شيء.

وأوقعته دراسة النص القرآني على غذاء روحي لنفسه التي لم تزل متطلعة إلى الروح. وهذا المجال الروحي شده إلى كتابة الدراسات القرآنية فكتب مقالاً بعنوان «العدالة الاجتماعية بمنظور إسلامي» في عام ١٩٤٤.

الرحلة إلى أمريكا

وجد سيد قطب ضالته في الدراسات الاجتماعية والقرآنية التي اتجه إليها بعد فترة الضياع الفكري والصراع النفسي بين التيارات الثقافية الغربية، ويصف قطب هذه الحالة بأنها اعترت معظم أبناء الوطن نتيجة للغزو الأوروبي المطلق.

ولكن المرور بها مكنه من رفض النظريات الاجتماعية الغربية، بل إنه رفض أن يستمد التصور الإسلامي المتكامل عن الألوهية والكون والحياة والإنسان من ابن سينا وابن رشد والفارابي وغيرهم لأن فلسفتهم – في رأيه – ظلال للفلسفة الإغريقية.

فكان من المنتظر حين يوم ١٩٤٨/١١/٣ في بعثة علمية من وزارة المعارف للتخصص في التربية وأصول المناهج ألا تبهره الحضارة الأمريكية المادية ووجدها خلوا من أي مذهب أو قيم جديدة، وفي مجلة الرسالة كتب سيد قطب مقالا في عام ١٩٥١ بعنوان: «أمريكا التي رأيت» يصف فيها هذا البلد بأنه: «شعب يبلغ في عالم العلم والعمل قمة النمو والارتقاء، بينما هو في عالم الشعور والسلوك بدائي لم يفارق مدارج البشرية الأولى، بل أقل من بدائي في بعض نواحي الشعور والسلوك».

المصلح والأديب

امتلك سيد قطب موهبة أدبية قامت على أساس نظري وإصرار قوي على تنميتها بالبحث الدائم والتحصيل المستمر حتى مكنته من التعبير عن ذاته وعن عقيدته يقول: «إن السر العجيب – في قوة التعبير

وحيويته — ليس في بريق الكلمات وموسيقى العبارات، وإنما هو كامن في قوة الإيمان بمدلول الكلمات وما وراء المدلول، وإن في ذلك التصميم الحاسم على تحويل الكلمة المكتوبة إلى حركة حية، المعنى المفهوم إلى واقع ملموس».

وكان سيد قطب موسوعيًا يكتب في مجالات عديدة إلا أن الجانب الاجتماعي استأثر بنصيب وافر من جملة كتاباته، وشغلته المسألة الاجتماعية حتى أصبحت في نظره واجبًا إسلاميًا تفرضه المسئولية الإسلامية والإنسانية، وهذا يفسر قلة إنتاجه في القصة التي لم يكثر فيها بسبب انشغاله بالدراسات النقدية ومن بعدها بالدراسات والبحوث الإسلامية.

وطوال مسيرته ضرب سيد قطب مثل الأديب الذي غرس فيه الطموح والاعتداد بالنفس، وتسلح بقوة الإرادة والصبر والعمل الدائب؛ كي يحقق ذاته وأمله، اتصل بالعقاد ليستفيد منه في وعي واتزان، ولم تفتنه الحضارة الغربية من إدراك ما فيها من خير وشر، بل منحته فرصة ليقارن بينها وبين حضارة الفكر الإسلامي، وجمع بينه وبين حزب الوفد حب مصر ومشاعر الوطنية، وجمع بينه وبين العمل الإسلامي حب الشريعة وتحقيق العدالة الاجتماعية وبناء مجتمع إسلامي متكامل. واستطاع بكلمته الصادقة أن يؤثر في كثير من الرجال والشباب التفوا حوله رغم كل العقبات والأخطار التي أحاطت بهم، وأصبح من الأدباء القلائل الذين قدموا حياتهم في سبيل الدعوة التي آمنوا بها.

العودة والرحيل

عاد سيد قطب من أمريكا في ٢٣ أغسطس ١٩٥٠ ليعمل بمكتب وزير المعارف إلا أنه تم نقله أكثر من مرة حتى قدم استقالته في ١٨ أكتوبر ١٩٥٢، ومنذ عودته بدأ يؤكد توجهه الإسلامي.

خاض تجربة العمل الإسلامي السياسي إلى أن استشهد فجر الإثنين ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ الموافق ٢٩ أغسطس ١٩٦٦.

كتب سيد قطب

١ - مهمة الشاعر في الحياة، وشعر الجيل الحاضر. (نقد).

٢ - الشاطئ المجهول (شعر)

٣ - نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر (نقد).

٤ - التصوير الفني في القرآن (نقد).



الفهرس

